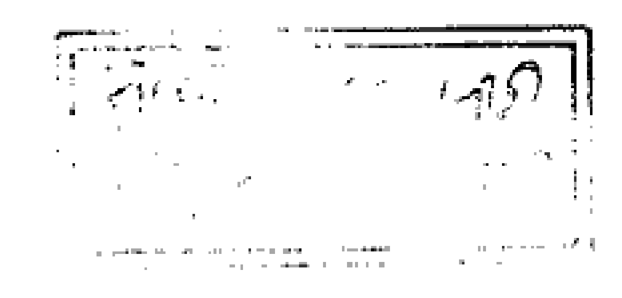
جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

مكتب تنسيق التعريب

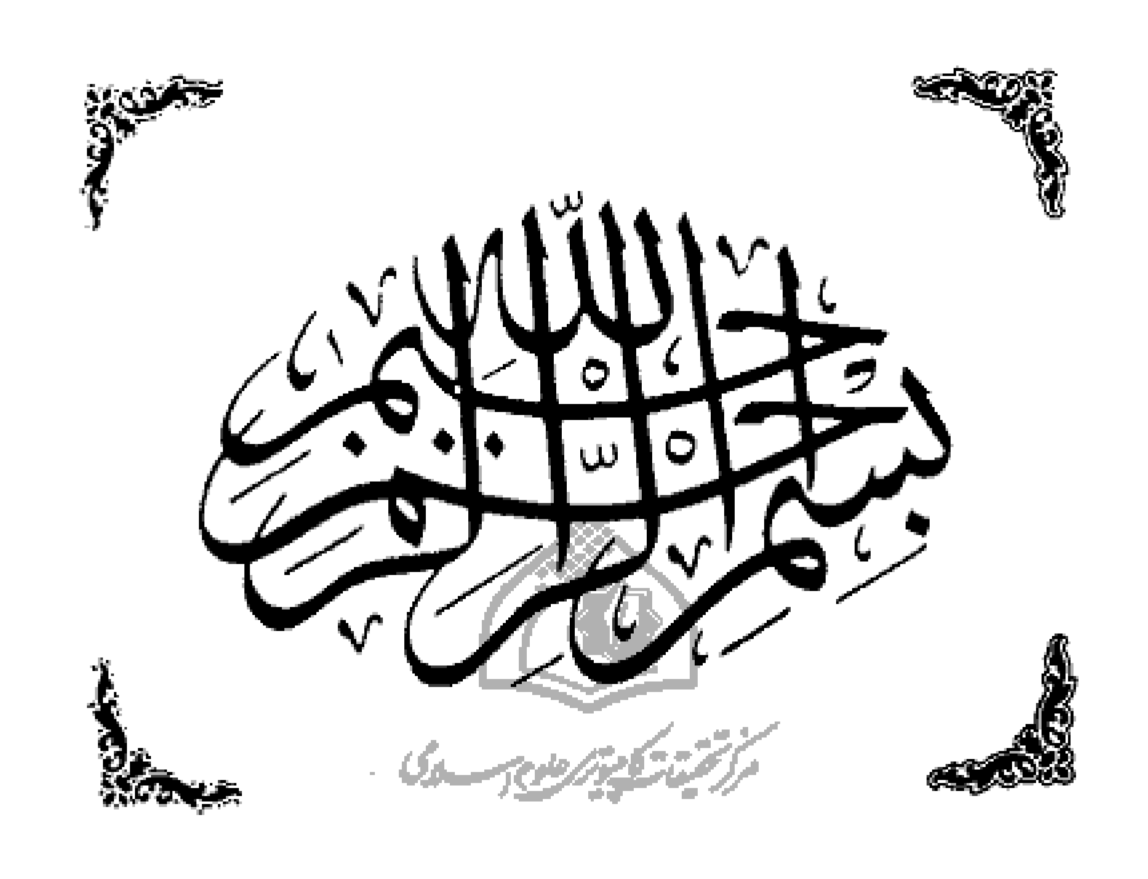


اللسان العربي

العدد : الثالث والثلاثون

(33)

1989



الدورة المالية : 88 / 1989



اللسان العربي

دورية متخصصة نصف سنوية تصدر عن :
مكتب تنسيق التعريب

★ ★ ★

تعنى بنشر :

- الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب.
- مشروعات معجمية ومصطلحية

★ ★ ★

المدير المسؤول ورئيس التحرير
عبد الجليل بلحاج

★ ★ ★

العنوان : 6، زنقة 16 نوفمبر ـ أكدال ـ
ص.ب :290/الرباط (المملكة المغربية)
تلكس : TANSARAB 31851 M
برقيا : TANSIKTARIB
الهاتف : 727.31/727.27



محتويات العدد

أبحاث ودراسات

أبحاث ودراسات بلغات أجنبية

العربية : الاعتبار القومي والبعد الأممي

محمد ديداوي
منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية
(اليونيدو)

خلاصة

لا شك أن العربية تتأرجح عند أبنائها بين الحب والتعلق من جانب المطلع عليها والعارف بأصولها ومن يغار على الاسلام ويسعى بالتالي إلى صون لغة القرآن الكريم، وبين المهانة من جانب من يجهلها أو يزدريها بسبب عدة عوامل، منها العامل الاجتماعي. ولقد استطاعت العربية أن تصل إلى بر الأمان رغم ما لقيته من عراقيل وما أصاب ألفاظها من ضعف تسبب فيه مريدوها أيضا، من حيث لم يحتسبوا.

ومن فضل المحفل الدولي على العربية أنه يعطيها دفعة إلى الأمام، على أنها يجب ألا تنفصم عن ماضيها التليد. وهي الآن تسعى إلى تدقيق المصطلح خدمة للمعنى والمفهوم. وما المصطلح إلا وسيلة للافهام، علما أن المعنى والمفهوم قد يكونان جديدين تماما على العربية وأن العقلية وراء النص المراد نقله غير عربية، إذ يكون مكتوبا بالانجليزية في الغالب الأعم، وهذا ما يضمن الفصل بين *اللغة والفكر* والخروج عن داء الانشغال بالألفاظ الذي طبع النص العربي ردحا من الزمن.

إن النص العربي (المترجم) في الأمم المتحدة هو عربي المبنى لكنه عجمي المعنى، وقد كان ذلك واضحا تماما في الوثائق الأولى التي صدرت بُعَيْدَ دخول العربية الأمم المتحدة وكانت وكأنها نصوص عربية مكتوبة بالانجليزية نظرا لما كان يتخللها من الحرفية الشديدة، التي ذكرت من قبل والتي كان لها ما يبررها. وإن المبنى المتماسك ملائم لروح العصر والمعنى الجديد مفيد للعرب.

كما أن حسن الاستعمال يحافظ على اللغة ويعزز التفاهم الدولي.

العربية : الاعتبار القومي والبعد الأممي*

«لابد من الشعور بالنقص ولا بد من علاجه ولا بد من الثقة المستعادة عن علم أو عن بينة علمية، نعرف بها الحقيقة لننتفع بمعرفتها ولا نبتغي بها أن نسوقها مساق الفخر الذي لا سند له غير أنه يرضينا»

عباس محمود العقاد
(أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف)

جميل أن نذكر مآثر علماء العرب وفضلهم الذي لا ينكر على حضارة هذا العصر، إذا كان لهم السبق في عدة ميادين.

ورائع أن يلتفت العربي إلى لغته ويرى أن الأمة العربية هي الأمة الوحيدة التي نزلت فيها معجزة لغوية محكمة البنيان بديعة البيان متينة الأركان صامدة أمام الزمان، ألا وهي القرآن الكريم، مما يدل على عظمة هذه اللغة واتساعها للمعجزات. لكن هل انتفع العربي على مر العصور بتراثه وهل مازال العربي اليوم يحافظ على هذه اللغة وهل يرقى استعماله لها إلى أنسب الدرجات ؟

ثم أن دخول العربية الأمم المتحدة في عام 1973 كان حدثا هاما. فماذا تستفيده هذه اللغة من هذا الوضع ؟

(*) إن الآراء الواردة في هذه الورقة آراء شخصية.

1 – العربية والعقلية العربية

1 – 1 التركة العربية

إن عقلية العرب متجلية في لغتهم، كغيرهم من الأمم مع لغاتها. وفي هذا الموضوع كتب الكثير وقيل الكثير. وفي الوقت الحاضر، «تتميز العربية باستعصائها على المقارنة في لسانيات اللغات السامية نظرا لنحوها [الكامل بأتم معنى الكلمة] الذي يكاد يكون هيئة الجبر، كالشأن في الأوزان والصرف»(1).

ومن ناحية أخرى، فإنه إذا كانت الفلسفة هي «معجزة» اليونان فإن علوم العربية هي «معجزة» العرب(2). وقد انتشرت العربية من المحيط الأطلسي حتى حدود الصين. كما أنها كانت «اللغة العالمية الأولى منذ القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت جامعاتها الكبرى قبلة طلاب الثقافة العالمية في أنحاء الأرض»(3).

«وإن جل ما كتب في العربية هو كتابات علماء ... وهناك ترجمات جليلة وهامة من الناحية التاريخية قام بها علماء في القرون الوسطى من اليونانية إلى العربية؛ ومؤلفات تاريخية ذات طابع عام وخاص؛ وتشكيلة من المؤلفات المستوحاة من الدين؛ وكتب في النحو والأسلوبيات والآداب والفلسفة.»(4)

ومن فرط غيرة العرب والمسلمين على اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث والشريعة الاسلامية ، هبوا للدفاع عنها وصونها من كل شائبة أو مكروه ، لا سيما وقد بدأ اللسان العربي يخالطه التحريف الأعجمي وتعتوره لكنة غريبة عنه ويتزعزع بنيانه وتركيبه بعد أن امتدت رقعة الامبراطورية الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها والتقى العربي بالعجمي .

وقد أفضى ذلك إلى الحفاظ على العربية فأبقى على رونقها وروعتها وخلد ذكرها على مر العصور والدهور ، وإن أصابها شيء من السقم في عصور الانحطاط ، لا لعيب فيها وإنما لتقصير عند أهلها ولتواطؤ عند من يناوؤونها لشتى الأسباب . وقد امتدح العربية مستشرقون منهم لويس ماسينيون ويوهان فك وأربري ووليم مرسيه وميليه وريجستير بلاشير وبروكلمان وجورج سارطون – وغوستاف غرونيباوم وأرنست رينان وجورج بوست وفان ديك وفيلا سبازا(5).

و «كان النحاة [العرب] أيضا على يقين من أن إلمامهم الكبير ببنية النحو العربي كان له أهمية قصوى في الحفاظ على جمال الأدب [العربي] الذي يعتز به العرب وغير العرب»(6)

ولعبت العربية دورا في تحرير البلدان العربية من الاستعمار لاقترانها بالاسلام وبالهوية الوطنية .

وقد عرفت الأمة العربية علماء يعدون من العمالقة نبغوا في شتى فروع المعرفة معا وجمعوا بين حسنات كثيرة، فأضافوا إلى المعارف المنقولة عن اليونان أساسا ، ونشط بيت الحكمة الذي أسسه المأمون فأثرى التراث العربي وطعمه. إلا أن هؤلاء العلماء، وإن كانوا يقومون بتجارب منعزلة للوقوف على خفايا الأمور واستنباط النتائج ، فقد ظلت ممارسة العلم عندهم «تجري على الهامش بدون ضجة وبصورة فردية ومتقطعة»(7) «وظل العلم العربي، علم الخوارزمي والبيروني وابن الهيثم وابن النفيس وغيرهم، خارج مسرح الحركة في الثقافة العربية فلم يشارك في تغذية العقل العربي ولا في تجديد قوالبه وفحص قبلياته ومسبقاته، فبقي الزمن الثقافي العربي هو هو ممتدا على بساط واحد من عصر التدوين إلى عصر ابن خلدون، وركد هذا الزمن وتخشبت موجاته منذ عصر ابن خلدون إلى «النهضة» العربية الحديثة التي لم تتحقق بعد»(8).

وكان هذا على عكس الثورة الصناعية

والتكنولوجية التي شهدها ويشهدها الغرب والتي شملت كل مناحي الحياة وداهمت بيوت الناس، فالعالم جزء لا يتجزأ من المجتمع يعيش عصره ومع عصره، يؤثر على غيره ويتأثر بهم.

ويمكن القول أن غير العرب قد استفادوا من علماء العرب أكثر مما فعله العرب. فهؤلاء العلماء كانوا يزاولون نشاطا فكريا وعلميا حبا في العلم ولوجه المعرفة، لالتسخيره لخدمة المجتمع آنئذ ورقيه، إلا قليلا. وكانوا بذلك بعيدين عن الواقع.

ومن الأندلس، خصوصا، عبرت هذه العلوم إلى الغرب، فنقلوها ودرسوها واستغلوها.

وفي المقابل، ازدهرت علوم اللغة والكلام والمنطق عند العرب، وعمت المجتمع تيارات لغوية هدفها النهائي تفسير القرآن الكريم والتأويل أو التشيع لمذهب. وقد وضعت مصنفات ذات شأن في اللغة والعلوم المرتبطة بها وظهر علماء كبار مثل الغزالي وابن حزم وابن رشد وابن طفيل والفارابي وأبو بشر متى بن يونس وابن السراج والجاحظ وابن وهب والقاضي عبد الجبار وابن جني وابن فارس وابن هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي وأبو عبيدة والفراء ، وغيرهم كثير .

واهتم العرب بالبيان وبالدلالة وأنواع تركيبها وبالفصاحة ومناهجها والبلاغة وأسبابها وضروبها. وانشغل الفقهاء ورجال الدين باللغة مثلما انهمكوا في أمور الدين، خدمة لهذه الأمور. ولقد ميزوا بين أنواع الخطاب، وبين التبين والفهم والتلقي والتبيين والافهام والتبليغ. وكان في كلامهم دقة وإمعان. واهتموا بالخطاب وصنفوه إلى صنفين «أحدهما يتصل بنفس الخطاب وموضوعه» [منظومة الخطاب] و«الآخر بما يدل عليه من الأحكام العقلية والسمعية» [معقول الخطاب](9).

وفيما يلي طائفة من أقوالهم تدل على مدى هذا الاهتمام ومدى الدقة والامعان :

«اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة»
(القاضي عبد الجبار)

وإن «الكلام يرجع في نهاية التحليل إما إلى إخبار المتكلم السامع عن شيء وإما إلى طلب شيء منه : الخبر والطلب».
(أبو يعقوب السكاكي في مفتاح العلوم)

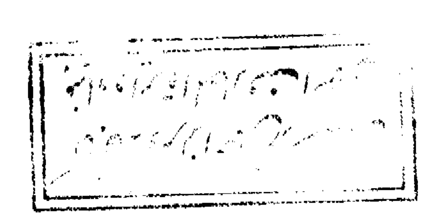
و «أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»
(أبو يعقوب السكاكي في مفتاح العلوم)

و «إن مدار الأمر على البيان والتبين وعلى الافهام والتفهم. وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم»
(الجاحظ، البيان والتبيين)

ويحتاج البيان إلى «تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة» و «إلى تمام الآلة وأحكام الصنعة»
(أبو عثمان الجاحظ)

و «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضهم ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك»
(عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز)

نرى إذن أن بعضهم ممن اهتم باللغة لم يفهم ما للفهم والافهام من أهمية وأن الكلام لا بد أن يكون موزونا ذا معنى.



لكن شدة الولوع بالنص قد جعلت النص محورا للتفكير العربي. ومما «يثير الاستغراب حقا أن لا يصادف المرء بين تلك الأبحاث والمناقشات الواسعة المتشعبة التي تزخر بها كتب اللغة والفقه والكلام والبلاغة حول أصل اللغات والمفاضلة بين اللفظ والمعنى وتحديد العلاقة بين نظام الخطاب ونظام العقل إلخ .. أي اهتمام بعلاقة اللغة بالفكر، هكذا بصورة أشمل وأعم، ولا أي اهتمام بدور اللغة في عملية التفكير. والسبب في هذا واضح أن غياب الاهتمام بعلاقة اللغة بالفكر راجع هنا إلى غياب الاهتمام بعملية التفكير ذاتها مستقلة عن الألفاظ واللغة. فلم يكن البيانيون، على اختلاف نزعاتهم وتنوع اختصاصاتهم، يشغلهم السؤال : كيف نفكر؟ إن السؤال الذي كان يملك عليهم كل حقل تفكيرهم هو : «كيف البيان؟»»(10).

لهذا، فإن «العقل العربي قد تكوَّن، أساسا من خلال التعامل مع النص (في التفسير واللغة والكلام)»(11)

لذا، «فتكوين العقل البياني إنما يتم عبر حفظ النص والنظر في النص وبالتالي فاهتمامه سيتركز أساسا على «نظام الخطاب» وليس على نظام العقل.»(12)

ومن المؤسف أنه لم «يكن في إمكان العقل البياني أن يتقدم أكثر مما فعل ... إن الانجاز العظيم الذي حققه في مجال اللغة والفقه لم يكن فقط عبارة عن قوانين للغة والتشريع يجب التقيد بها، بل كان أيضا عبارة عن قيود للعقل .. عن تأطير له، أعني تثبيت آليات نشاطه في إطار معين لا يجوز اختراقه. وعندما اكتمل البناء في اللغة والتشريع و لم يعد هناك مجال للمزيد اكتمل البناء أيضا في مجال التشريع للمشرع فأصبح العقل البياني العربي سجين هذا البناء الذي طوق نفسه، فلم يكن من الركود مناص ولا من «التقليد» مفر»(13).

وبعد أن انقضى عصر التدوين ووضعت المصنفات الكبرى، بدأ الاجترار وكانت «النتيجة ظهور أنواع من تراكيب الكلام لا تحمل أي معنى، ولكنها تقرأ وتسمع على أن لها معنى. وتلك هي السمة البارزة في أدبيات عصر الانحطاط في الثقافة العربية، العصر الذي بدأ مباشرة بعد السكاكي والذي اتجه فيه الاهتمام إلى المحسنات اللفظية في الثقافة العربية»(14).

ففي حين أن النحو العربي محكم التركيب ومقرون بالمنطق ومتفاعل معه، وفي الوقت الذي تزخر فيه العربية بالمفردات التي تتبع نسقا محكما ودقيقا للتعبير عن المدلولات، يلاحظ أن العرب توغلوا في متاهات النص وأغرموا بالألفاظ إلى أن أصبح اللفظ هو المبتغى وهو المراد.

وقد ساعد على ذلك أن العربية لغة موسيقية حتى «إن النغمة الموسيقية في اللغة العربية تعوض، أو تُغطي فقر المعنى، وتجعل الكلام الذي يجر معه فائضا من الألفاظ ذا معنى حتى ولو لم يكن له معنى. إن الأذن هنا تنوب عن العقل في الرفض والقبول»(15).

إلا أنه «كما يعطل السجع، وبكيفية عامة الانشغال بنظام الخطاب، الرقابة العقلية لدى المستمع يعطلها كذلك لدى المتكلم. فعندما ينشغل المتكلم بإلباس كلامه ما يستطيع من المحسنات اللفظية يكون ذهنه مسرحا لنوعين من التداعي : تداعي الألفاظ وتداعي المعاني»(16).

وهذه بالذات، الحالة التي تتخبط فيها خطب العرب ومراسلاتهم اليوم، على العموم.

ولقد كانت التقاليد صارمة إلى حد أن القارىء لا تصله سوى لمحات قليلة من أحاسيس الشاعر. وبالفعل، فإن تلك الأحاسيس كان يغربلها العقل، وكانت التجارب الشخصية تحول إلى نوع من

الزخرفة العربية المتكلفة. هكذا، أصبح الأدب [العربي] على يد بعض النظّام والكتّاب العاديين متصنعا تماما»[17].

1 - 2 القديم والجديد : صراع متجدد

القديم هو الجديد في وقت من الأوقات وكل جديد مصيره إلى القدم. لكن، كلما هم أحد بالاتيان بشيء غريب عن المألوف وأي جديد اصطدم بمن يخشى على قدميه. ولا بد من التجديد للتطور، شريطة أن يكون في الجديد تحسين وتحسن.

وبالنسبة للغة العربية ظل «الذهن العربي مشدودا، إلى اليوم، إلى ذلك العالم الحسي اللاتاريخي الذي شيده عصر التدوين اعتمادا على أدنى درجات الحضارة العربية عبر التاريخ، حضارة البدو الرحل التي اتخذت كأصل ففرضت على العقل العربي طريقة معينة في الحكم على الأشياء، قوامها : الحكم على الجديد بما يراه القديم»[18].

وقد نودي بالاعتماد على الشعر الجاهلي حتى لتفسير القرآن بحكيم آياته وجليل معانيه. قال الطبري :

«إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر ، فإن الشعر عربي»[19].

وقال ابن عباس :

«إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب»[20].

ولقد شغل العرب بالقرآن الكريم، وعنوا بتفسيره وحياطته، وكان أساسا لكثير من علوم العربية»[21].

وحاول بعض الشعراء، مثل بشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام، أن يخرجوا عن قاعدة الأقدمين فانبرى لهم النقاد، مثل ابن طباطبا وابن فارس، وهاجموهم أشد ما يكون الهجوم. لكن، بعض علماء العرب تشككوا في عصمة القدماء من الخطأ، ومن هؤلاء العلماء الجرجاني[22] والآمدي وابن قتيبة[23] الذي يقول :

«... ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقه».

واشتدت الخصومة بين أنصار القديم ودعاة الجديد وفيما بين الشعراء. وكانت تلك الخصومة «شخصية بعيدة عن الأسباب الفنية أذكتها عوامل لا علاقة لها بالتقاليد الأدبية»[24] أو كانت مذهبية و «كانت سببا في كثير مما وصل إلينا من النقد اللغوي»[25]

و «لقد وقر في نفوس المتقدمين من النقاد بوجه خاص أن العربية لغة استغرقت حظها من النضج، وبلغت أعلى مراتب الكمال، فلم يبق من واجب على أهلها والمتكلمين بها إلا حمايتها والدفاع عنها وتخليصها من كل ما يندس فيها أو يطرأ عليها.»[26]

وبهذا يحكمون على العربية بأن تكون لغة قديمة إذ لا تتجدد.

1 - 3 العربية والعرب اليوم

1 - 3 - 1 القديم والجديد من جديد

في العصر الحديث، ظهر مفكرون عرب بعضهم رأى التجديد في استعمال العاميات في الكتابة والقراءة وطائفة ثارت على القديم، ومنهم طه حسين الذي دعا إلى تطوير النحو وارتأى أن «اللغة ملك لنا ولا حق لرجال الدين أن يفرضوا وصايتهم عليها»[27].

وأحمد أمين الذي كان مذهبه «أن اللغة ملك لنا ولسنا ملكا للغة»، في حين أن غيرهما يرى أن اللغة العربية لا تقبل «إصلاح قواعدها بالازالة والوضع فيها، أو الوضع فقط، لأن هذا التغيير يخرجها عن لغة القرآن والحديث والأدب العربي والعقلية العربية الدينية والفلسفية والعالمية»[28].

ومن الذين دعوا إلى «التجديد» ومن الذين يسميهم أنور الجندي «أعداء العربية»[29] : لطفي السيد (1913) و قاسم أمين (1912) والخوري مارون غصن (1926) وعبد العزيز فهمي (1944) والزهاوي (1910) وسلامة موسى (1926) وسعيد عقل (1961) وأنيس فريحة/ وأمين الخولي (1955) ولويس عوض (1947).

ومن المفرح حقا أن الفصحى نجت من براثن العامية، وأصبح المثقفون العرب يميلون إلى تفصيح هذه الأخيرة في كلامهم اليومي ومعاملاتهم ولقاءاتهم. وقد دخلت الفصحى البيوت أيضا بواسطة الاذاعة والتلفزة. ولا يمكن أن ينكر أن اللغة العربية قد قفزت قفزة كبيرة في أيامنا هذه انطلاقا من القرن التاسع عشر، إلا أن الوضع ما زال غير مثالي. وفيما يلي بعض وسائل العلاج المقترحة.

(أ) جودة الكتابة : من الضروري اتخاذ قرارات رسمية تقضي بتوخي الجودة في المراسلات والكتابات في البلدان العربية على غرار بعض البلدان، مثل فرنسا، حرصا على اللغة والسهر على تنفيذ تلك القرارات.

(ب) تعدد السلطات اللغوية : الملاحظ أن السلطات اللغوية في العالم العربي متعددة وأنها غير قادرة على مواجهة الوضع نظرا لضآلة ميزانياتها وشح إمكاناتها. من الضروري إذن زيادة قدرة مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأن يشتد عضد مجامع اللغة العربية.

(ج) الانبهار بالثقافات غير العربية : هذا الاعجاب يعود إلى شتى الأسباب منها مخلفات الاستعمار والمنزلة الاجتماعية ولا عيب فيه إن لم يصاحبه حطّ من شأن العربية وتراثها، علما أن «الثقافة العربية في مجملها تراث هائل ومجهول وأرض مفقودة»[30] و «هل العربية من الآن لغة الماضي؟ كلا ثم كلا. إن العربية ستصبح عملية، وهي كذلك بالفعل في كثير من القطاعات»[31]. لقد آن الأوان أن ينظر العربي نظرة فاحصة إلى الوراء وعليه أن يعتز بلغته. ولا ضير أن يتعلم لغات أخرى ليتفتح على حضارات وعقليات أخرى.

(د) مستوى التعليم : من الضروري رفع مستوى التعليم وزيادة تعريبه لتكون العربية لغة الاستعمال والتداول، لا سيما في مستوى الجامعي، إذ أن مرحلة البحث العلمي تستلزم الدقة والمنهجية العلمية السليمة.

(ﻫ) النحو وتعليم العربية لغير العرب : ينبغي إعادة تبويب النحو العربي وتيسير تلقينه وكذلك تشجيع الأجانب على تعلم العربية بالوسائل السمعية – البصرية المتطورة[32].

(و) أزمة المصطلح : من اللازم زيادة التنسيق وإصدار قاموس جامع يميز بدقة بين ركام المترادفات التي أصبحت عالة على اللغة العربية كجزء من التركة اللفظية التي سبق الكلام عنها.

(ز) الصحافة العربية : يمكن أن تلعب الصحافة دورا هاما، لا سيما في تفصيح العامية أو، بمعنى آخر تبسيط الفصحى لجمهور الناس والمثقفين.

2 البعد الدولي

2 - 1 دخول العربية الأمم المتحدة

2 - 1 - 1 الفصل بين اللغة والفكر

دخلت اللغة العربية، لغة الأدب المرموق ولغة المساجلات اللفظية، الأمم المتحدة في ظرف زمني كان مواتيا لدخولها. وكان الاحتكاك اليومي باللغات الخمس الرسمية الأخرى، وهي الاسبانية والانجليزية والروسية والصينية والفرنسية. ويتميز الوضع في الأمم المتحدة بالآتي :

(أ) المواضيع علمية ومتخصصة وكثيرة التنوع ومن اللازم توخي الدقة العلمية.

(ب) المفاهيم جديدة في معظمها، إذ أن الاجتماعات تناقش قضايا الساعة.
ولا بد من مفردات جديدة للتعبير عن المدلولات الجديدة.

(ج) كانت الحرفية الشديدة تطبع وثائق الأمم المتحدة في بداية الأمر، وهذا مرده إلى ضرورة التخلص من الفوضى اللفظية التي اعتدت اللغة في عصور الانحطاط ولتحديد الفوارق تدريجيا، علما أن «من اللازم الآن أن يتسنى للمنظمة، إذ تعددت المواضيع التي يتم تناولها، أن تعطي لكل مدلول لفظا يدل عليه بالضبط»(33)، وهذا بالنسبة لكل اللغات الرسمية. ولقد ذهب البعض إلى «أن استعمال العربية في الجمعية العامة سوف يحد من تأثير العرب، ذلك أن البيانات التي يدلى بها بالانجليزية أو الفرنسية سوف تكون أنجع من الخطب التي تلقى بالعربية، والتي يضطر معظم الوفود إلى تتبعها عن طريق الترجمة الفورية»(34). وهذا غير صحيح من ناحية، ذلك أن هناك ترجمة فورية من الانجليزية والفرنسية أيضا، وليس فقط من العربية، وكثير من الوفود لاتجمع بين الانجليزية والفرنسية. ومن ناحية أخرى، هناك نقطتان : نوعية الخطاب العربي ونوعية الترجمة الفورية من العربية وهما مترابطتان ترابطا كبيرا. وإذا كان لا بد من أن يكون الترجمان (أي المترجم الفوري، وجمعه تراجمة) متمكنا من مهنته، فإن الخطاب هو المحور الأساسي والمنطلق. ومن المعلوم أن الترجمة الفورية ترتكز أساسا على المعنى والفحوى، فإذا كان الخطاب «لا يحمل أي معنى ولكنه يقرأ ويسمع على أنه له معنى» ، فإن نقله سيستعصي على الترجمان حتما، لأنه ستلهيه الألفاظ. بيد أن الوثائق التي تصدر بالعربية عن الأمم المتحدة تقيم الدليل على أن هذه اللغة قادرة على مسايرة اللغات الأخرى في كل الميادين، نظرا للخصائص التي تمتاز بها. ولئن دخلت العربية، في فترة ما، في متاهات لفظية، فإن اقترانها بالقرآن الكريم قد صان بنيانها وأوصلها إلينا مكتملة الأركان، رغم العيوب المذكورة آنفا.

نرى إذن أن المعنى في اجتماعات ومؤتمرات الأمم المتحدة هو الجوهر، من مواضيع اجتماعية مثل منع الجريمة ومكافحة المخدرات ومساعدة المعوقين والشيخوخة والنهوض بالمرأة، ومواضيع علمية مثل الطاقة الجديدة والمتجددة واستعمال الطاقة النووية في الأغراض السلمية، ومواضيع قانونية متخصصة في مجال القانون الدولي والقانون التجاري الدولي، إلخ.

ومع ذلك، فإن كثيرا من المناقشات العربية تدور حول الألفاظ في مؤتمرات ذات مواضيع هامة.

وإن المترجم العربي في الأمم المتحدة مبلغ للأفكار، فإذا اكتفى بالترجمة الحرفية الركيكة المجردة من المعنى فإنه يكون قد قصر. وكثيرا ما يضع الخبراء التقارير في غير لغاتهم، أحيانا في أسلوب غث، دون الاكتراث كثيرا بالنص. ومع ذلك، فلا بد أن يهتم المترجم العربي بالنص الذي يجب أن يكون مفهوما وسلسا ودقيقا في تأدية المعنى المقصود.

لذا، فإن من خاصيات الأمم المتحدة، عموما، ولا سيما في الأمور العلمية المتخصصة، *الفصل بين النص والتفكير*، أو اللغة والفكر، وإن كانت بعض الخطب في ميادين غير علمية تأخذ طابع «الاجترار» والتكرار في اللغات الست.

وفي الأمم المتحدة، لا سيما عند المترجم العربي، نوع من التحرر من العقل العربي لأن وراء النص المراد نقله تفكيرا غير عربي. وهذا من حسناتها على اللغة.

الحواشي

(1) Bernard Coorie, Major World's Languages, Croom Helm, London, 1987

(2) محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1987.

(3) علي عبد العظيم (عن عالمية اللغة العربية) مجلة الأزهر سنة 1392/1391 . عن أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، الموسوعة الاسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(4) The New Encyclopaedia Britannica, Macropaedia, Islamic Literatures, Vol. 9 P. 954, 1984.

(5) أنظر أنور الجندي، المرجع السابق الذكر، للمزيد من التفاصيل.

(6) Encyclopaedia Britannica، المرجع السابق الذكر.

(7) م.ع. الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(8) المرجع نفسه.

(9) القاضي عبد الجبار، عن م.ع. الجابري، المرجع السابق الذكر.

(10) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987.

(11) المرجع نفسه.

(12) المرجع نفسه.

(13) المرجع نفسه.

(14) المرجع نفسه.

(15) الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(16) الجابري، بنية العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(17) The New Encyclopaedia Britannica ، المرجع السابق الذكر.

(18) الجابري، تكوين العقل العربي، المرجع السابق الذكر.

(19) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آية القرآن عن «النقد الأدبي عند العرب».

(20) جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن.

(21) نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978.
الجرجاني (الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي بن عبد العزيز الجرجاني)

(22) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي.

(23) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء.

(24) نعمة رحيم العزاوي، المرجع السابق الذكر.

(25) المرجع نفسه.

(26) المرجع نفسه

(27) طه حسين، مستقبل الثقافة، عن أنور الجندي، المرجع السابق الذكر.

(28) علي العناني، مجلة النهضة الفكرية، 1933، عن أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(29) أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، المرجع السابق الذكر.

(30) Gilbert Grandguillaume. Arabisation, Maisonneuve et Larose. Collection Islam d'hier et d'aujourd'hui, Paris, 1983.

(31) المرجع نفسه.

(32) انظر أيضا توصيات ندوة مونص حول تشجيع العربية في بلدان الاتحاد الاقتصادي الأوروبي، 8 — 9 تشرين الأول / أكتوبر 1987.

(33) Françoise Cestac, la traduction et les services de conférences à l'Organisation des Nations Unies.

(34) Mala Tabory, Multilingualism in International Law and Institutions, sijthoff and Noordhoff, Rockville, Maryland, U.S.A.

اللسان العربي يحكي قصة نشأة الانسان و اللسان.

الدكتور جعفر دك الباب

أولا ـــ خصائص بنية العربية تدل على أصالة اللسان العربي .

1 . 0 . حين نصف لسانا ما بالأصالة نقصد أنه يتوافر فيه عنصران هما : الايغال في القدم من ناحية ، والاستمرار في الحياة من ناحية أخرى . وعليه فإن بنية اللسان الأصيل بهذا المعنى يجب أن تتمتع بجملة خصائص من حيث المفردات والأصوات والصرف والنحو تشير إلى إيغاله في القدم . ***وأول قرينة على إيغال لسان ما في القدم هي وجود شبه بين ألفاظه وأصوات الحيوان والطبيعة*** ، لأن هذا الشبه يدل على محاكاة الانسان القديم لأصوات الحيوان والطبيعة . ويؤكد بالتالي بدائية نشأة ذلك اللسان .

1 . 1 . ومن خلال استعراضنا ***لخصائص النظام اللغوي للعربية*** توصلنا إلى النتائج التالية :

(1) ـــإن الخاصة المميزة للبنية الصوتية العربية (التي تتجلى في المبدأ التالي : لاوجود بشكل منفصل للصوت الصائت ـــ القصير أو غير القصير أي الحركات والمدات ـــ عن صوت صامت يلفظ قبله ويتصل به) تعكس طور محاكاة الانسان القديم لأصوات الحيوان والطبيعة [1] ، وتؤكد بالتالي بدائية نشأة اللسان العربي .

(2) ـــانعكست الخاصة المميزة للبنية الصوتية للعربية في الكتابة العربية وتجلت في أنها ليست مقطعية كما أنها ليست أبجدية تماما[2] .

(3) ـــانعكست الخاصة المميزة للبنية الصوتية للعربية في طريقة تحديد أصل الكلمات في العربية . وظهر ذلك في تمتع البنية الصوتية لمعجم مفردات العربية بخاصة مميزةتجلت في أن أصل المفردات في المعجم العربي يتحدد على أساس الأصوات الصوامت التي يشتمل عليها فقط[3] . وبدا يطرح المعجم العربي سؤالا حول وجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول نتيجة لمحاكاة أصوات الحيوان والطبيعة .

ونستنتج من ذلك كله أن اللسان العربي لسان أصيل بدائي النشأة .

(*) قدم هذا البحث في المحاضرة التي ألقاها المؤلف في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق يوم 05 أيلول (سبتمبر) 1988 وعنوانها : *نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة (اللغة العربية أصل قائم بذاته)* .

1 . 2 . كتب **الأستاذ زكي الأرسوزي** عن منشأ اللسان العربي مايلي :

«اللسان العربي اشتقاقي البنيان ، ترجع كافة كلماته إلى صور صوتية ـــ مرئية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة .

ا ـــعن الطبيعة الخارجية تقليدا للأصوات الحاصلة فيها مثال ذلك :
(قرّ) (فقّ) (خرّ) (زمّ) .

ب ـــأو عن الطبيعة الانسانية بيانا لمشاعرها ، مثال ذلك :
(أنّ) (أهّ)»[4]

«وأما اللغة العربية فهي ذات طابع بدائي ترجع كلماتها جميعا إلى أصوات الطبيعة ... وفضلا عن أن اللسان العربي بدائي النشأة ، فإن كلمات هذا اللسان يبدأ تكوينها عفويا من انبثاق المعنى دون طائلة العقل . هذه الحقيقة تدل عليها أمور مختلفة ، منها أن أصوات الهيجان الطبيعية التي كانت مصدر اشتقاق لمعظم كلماتنا تشير إلى العلاقة بين اللغة الطبيعية واللغة المصطلح عليها كرموز عند الجماعة ، ونحن نستخلص من ذلك أن معاني الكلمات العربية تمثل تجربة الحياة تمثيلا مستقلا عن اجتهاد المجتهدين . فما للذهن إلا أن يستحضرها حتى ينبعث من النفس المعنى الذي أنشأها»[5] .

وعن خصائص اللغة العربية كتب الأستاذ زكي الأرسوزي : «إنه لمن الثابت بحكم التاريخ أن اللغات الافرنسية والايطالية والاسبانية قد حصلت من تحول اللغة اللاتينية ، وكان ذلك بتأثير عوامل سياسية اجتماعية . وإنه لمن الثابت بحكم التاريخ أيضا أن اللغة الافرنسية هي لهجة منطقة باريس ، المنطقة التي طبعت مقاطعات فرنسا الأخرى بطابعها السياسي والثقافي فجعلت لهجاتها تتراجع أمامها فتندثر .

وإنه على هذه الدراسة قد قام الزعم بأن العلاقة بين اللسان العربي واللغات السامية الأخرى علاقة أخوة ترجع بأصولها إلى للغة الأم التي هي لغة سامية بائدة ، وإن ثمة لهجات عربية تقلصت أمام طغيان لهجة قريش ، لهجة الديانة والسياسة ...

إن الكلمات العربية ذات أصول في الطبيعة ، وإن مبدأ الصحة فيها قد تعين من قبل الفطرة لا من قبل العرف والعادة . ثمة خطأ شائع بين اللغويين وهو أن العلاقة بين المعنى واللفظة في اللسان العربي على مثال العلاقة بينهما في اللغات الحديثة ـــ علاقة اصطلاحية . بمعنى أن اللفظة تشير إلى معناها إشارة فقط . بيد أن اللسان العربي ذو بنيان عضوي تنم فيه الكلمة عن المعنى وتوحي به إيحاء حتى أن اتجاه المعنى هو اتجاه المتغلب على اللفظة مما يجعل صاحبه أكثر استعدادا من غيره لفهم الأخلاق والديانة . إنما هو منظومة صوتية تعبر عن وجهة الأمة التي أنشأته ودلت عليه»[6] .

1 . 3 . أوجد **الأستاذ عبد الحق فاضل** في كتابه «مغامرات لغوية (ملكة اللغات)»[7] فرعا جديدا في علم اللسان سماه (الترسيس) ويميز الأستاذ فاضل دراسة أصول الكلمات أو التأثيل Etymology عن الترسيس . فالترسيس هو إعادة اللفظة إلى جدتها الأولى في صورتها التي نطق بها الانسان الأول (البدائي) تقليدا لأحد الأصوات المسموعة مثل محاكاة أصوات الطبيعة أو الحيوانات ، مع تعقب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت إلى الصورة التي نعرفها في إحدى اللغات أما التأثيل (أي دراسة أصول الكلمات) فهو رد الكلمة إلى أمها المباشرة أو جدتها المباشرة أو القريبة .

وكان الأستاذ فاضل قد ذكر أمثلة عن الترسيس في مقالته بعنوان : «آثار حيوانية في اللغة العربية[8]» .

يرى الأستاذ فاضل «أن اللغة العربية مازالت تحتفظ بالألفاظ البدائية — الرسية — الأولى إلى جانب الألفاظ الراقية الحضارية المتفرعة منها . فهي لذلك تمكننا من إقامة علم (نشأة اللغة) على أركان وطيدة بالطريقة الترسيسية . وهي وحدها تمدنا بمادة (علم الترسيس) . بينما جميع بناتها الساميات والحاميات والآريات وغيرها من لغات بني آدم لا تكفي إلا للتأثيل[9]» .

كما يرى الأستاذ فاضل أنه «لما كان الترسيس هو الأساس الذي سيقوم عليه علم (نشأة اللغة) وما يتصل به من علوم اللغة ، وبما أن الترسيس سيهدم كذلك بعض النظريات اللغوية وتطوراتها وتفرعاتها وهجراتها ستكون الأساس المكين لعلم (فقه اللغة) العالمي العام الذي سيعاد النظر فيه بجملته ومختلف فروعه ويعاد تخطيطه وتشييد صرحه على تصميم جديد من قوانين اللغة العربية وإيحاءاتها . وسيتضح كم سيرتقي (علم اللغة) ويصحح الكثير من أخطائه ويقضي على الكثير من تلكئه هنا وتردده هناك . وبأي سرعة ، حالما يأخذون بسلوك الطريق الاستقرائي العلمي الصحيح في دراسته ابتداء من اللغة العربية[10]» .

وكتب الأستاذ عبد الحق فاضل مقالة بعنوان : «حول (المغامرات اللغوية)»[11] جاء فيها «المعروف أن اللغات البدائية هي التي يقرب الشبه بين ألفاظها والأصوات الطبيعية التي نشأت منها . أما اللغات الراقية فقد ذهبت أصواتها وبقيت الكلمات الحضارية الراقية التي تولدت منها ، لا سيما وأن الأمم المتحضرة قد تنقلت منذ أقدم العصور من مكان إلى مكان واختلطت لغاتها بغيرها . ولكن العربية وحدها تقدم لنا أرقى الكمات الحضارية والثقافية مع الحلقات المتسلسلة التي تقودنا إلى البدايات الأولى . وسبب ذلك هو الظروف الفريدة التي تلابس الجزيرة العربية ، فقد بقي وسطها الرملي المجدب محافظا على حياة البداوة والبدائية على حين راحت أطرافها المتحضرة تصنع من تلك الخامة اللغوية مفردات حضارية باذخة ، وإذ بهذه العربية تغذو لغة الراعي والفيلسوف في وقت واحد» .

وأشار الأستاذ فاضل في تلك المقالة إلى أن العلماء قرروا أن اللغة البشرية تكونت من أصول خمسة بوجه العموم نجدها كلها صريحة واضحة في العربية ، على حين أن أية لغة حية أخرى لا توجد فيها إلا بعض هذه الأصول إن وجدت . والواقع أنهم إنما توصلوا إلى هذه الأصول الخمسة من استقراء عدد غير قليل من اللغات البدائية التي لا تزال تحتفظ بجذورها الصوتية لعدم ارتقائها وابتعادها عن صورة ولادتها . وهذه الأصول الخمسة هي :

1 - محاكاة أصوات الطبيعة : وكمثل نذكر صوت الماء (شلشل) ومنه ترشرش الماء ، ثم رش ورشاش ، ثم رذ ورذاذ ، ثم رذر وذرى ومذارة وذرة ...
2 - تقليد أصوات الحيوانات : ونذكر من الأسماء التي سميت بأصواتها : البلبل واللقلق والجدجد والصرصر .
3 - تقليد الأصوات المصطنعة : أي الأصوات التي يحدثها الانسان في بعض أعماله ، مثل صوت القطع (قط) و (وضج) و (طق) .
4 - تقليد الانسان لنفسه : في الأصوات الطبيعية التي تصدر عنه تلقائيا في مختلف حالاته ، مثل (قهقه) و (قاء) و (أنّ) و (عطس) .
5 - تقليد أصوات الطفل : (لغ لغ)و (بابا) و (تاتا) و (دادا) . إننا نرى أن الأستاذ عبد الحق فاضل بنى نظريته القائلة بأن اللغة العربية (ملكة اللغات) بعد دراسة صوتية مقارنة للفظ كلمات مفردة في عديد من اللغات بالطريقة

الترسيسية . وقد سمى كتابه (مغامرات لغوية) لأن النظرية التي يقترحها تحتاج من أجل تدعيمها إلى الكشف عن حقائق في اللغة العربية نفسها تؤكد أنها اللغة الانسانية الأولى ، وتبين نشأتها ومراحل اكتمال نظامها اللغوي . دفعتنا آراء الأستاذ عبد الحق فاضل (الجريئة) – ولا نقول (المغامرة) – إلى طرح السؤال التالي : ***هل ترتبط بدائية نشأة اللسان العربي بداية تشكل الكلام الانساني؟*** للاجابة عن هذا السؤال لابد من ***دراسة نشأة الألسن دراسة موضوعية ، انطلاقا من دراسة الأصوات اللغوية وباعتماد منهج تاريخي علمي .***

ثانيا : السامية والساميون – العرب والعربية .

2 . 0 . صنف العلماء بنتيجة الدراسات المقارنة التاريخية اللغات حسب منشئها إلى أسر لغوية معروفة ، ثم قسموا الأسر إلى مجموعات وفصائل وشعب ، ولكن ما يلفت الانتباه أنه تم تمييز أسرة سميت «اللغات السامية» وأسرة أخرى سميت «اللغات الحامية» ويدمج بعض العلماء الأسرتين في أسرة واحدة يسمونها «اللغات السامية – الحامية» . وقد استخدمت تسمية «السامية» و «الحامية» استنادا إلى شجرة أنساب الأمم الواردة في التوراة والتي ترجع أنساب البشر إلى أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث / سفر التكوين ، الاصحاح العاشر / . واعتبرت اللغة العربية فرعا من أسرة اللغات السامية . وكان العالم الألماني شلوتسر أول من استخدم تسمية «السامية» في بحث له عن الأمم القديمة عام 1781 . وقال أن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت وتتكلم هذه اللغات هي من أولاد سام بن نوح .

وتجدر الاشارة إلى أن العماء الذين صنفوا اللغات في أسر بحسب قرابتها لم يستطيعوا أن يثبتوا تاريخيا وجود اللغة الأصل أو الأم لكل أسرة ، كما أنهم لم يتمكنوا من إثبات وجود الشعب الذي تكلم بها ، بل اكتفوا بافتراض وجود اللغة الأصل ووصف صفاتها العامة المستنبطة من التشابه بين اللغات التي تدخل في كل أسرة لغوية .

فمن خلال تحديد التشابه بين اللغات التي صنفت ضمن أسرة اللغات الهندية الأوربية مثلا ، افترض وجود لغة هندية أوربية أصل أو أم لجميع تلك اللغات . وكذا الحال بالنسبة للغات التي تدخل في الأسرة السامية – الحامية أو في بقية الأسر اللغوية .

يذكر الدكتور فيليب حتي أن «لفظة سامي مأخوذة من سام الوارد ذكره في التوراة . ولقد دخلت إلى اللغات الأوربية عن طريق الترجمة اللاتينية المتداولة للتوراة . إن التفسير التقليدي المألوف الذي يذهب إلى أن الساميين قد تحدروا من كبير أبناء نوح لا تؤيده الأبحاث العلمية الحديثة . فمن هم الساميون إذن؟»(12) .

ويبين الدكتور حتي معنى لفظة / سامي / في الغرب بقوله : «ولقد أصبحت لفظة / سامي / في أوربا وأمريكا ذات مدلول يهودي قبل كل شيء ولعل مصدر ذلك هو كثرة انتشار اليهود في هاتين القارتين» .(13)

وحول موطن الجنس السامي – الحامي يقول الدكتور حتي : «وهذا يجعل إفريقية الموطن المرجح للجنس السامي الحامي والجزيرة العربية المهد للشعب السامي والمركز الذي تفرعوا منه ، أما الهلال الخصيب فهو مرتع الحضارة السامية»(14) .

أما الدكتور جواد علي فيشير إلى أن السامية ليست عرقا ويقول : «السامية ليست رسا بالمعنى المفهوم من الرس عند علماء الأحياء ، أي جنس له

خصائص جسمية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى . فبين الساميين تمايز وتباين في الملامح وفي العلامات الفارقة يجعل إطلاق / الرس / عليهم بالمعنى العلمي الحديث المفهوم من / علم الأجناس / ، أو الفروع العلمية الأخرى نوعا من الاسراف واللغو ، كما أننا نرى تباينا في داخل الشعب الواحد من هذه الشعوب السامية في الملامح والمظاهر الجسمية»[15] .

ظلت الآراء مضطربة ومختلفة حول الأصل المشترك للغات السامية ، ولم يعرف العلم الكلمة الأخيرة في ذلك . فبينما تعتبر اللغة العربية آخر لغة سامية على الاطلاق ظهرت كتابيا لا يمكن الاستغناء عنها لدى كل دراسة لغوية مقارنة . بلى هي الأساس الأول والأخير لتحديد خصائص اللغة السامية الأم التي يفترض وجودها نظريا . فما السبب ياترى؟ وهل يعني ذلك أن اللغة العربية من أقدم ما يسمى باللغات السامية على الاطلاق؟

2 . 2 . يقول الدكتور فيليب حتي : «لفظة العرب من ناحية الاشتقاق سامية معناها (البادية) أو (ساكن البادية) وهي لا تعين قومية صاحبها . وهذا هو المعنى الذي أدته في العبرانية . وفي القرآن الأعراب هم البدو . وفي سفر المكابيين الثاني جاءت كلمة (العرب) بمعنى (البدو) . وأول نص صريح لمعنى هذه اللفظة في التوراة إنما هو في / ارميا 25 : 24 / (ملوك العرب) . وغالب الظن أن (الملوك) المشار إليهم هم مشائخ الشمال وبادية الشام . وما أقبل القرن الثالث قبل الميلاد حتى صار هذا اللفظ يطلق على ساكن الجزيرة كائنا من كان ...»[16] .

ويقول الدكتور جواد علي : «وترى علماء العرب حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية . فبينما يذهبون إلى أن (يعرب) كان أول من أعرب لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي أنهم يرجعون عهده إلى مبدأ الخليقة ، وقد كانت الخليقة قبل خلق (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل . ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاما ، وكان أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشرة سنة ، وإسماعيل هو جد العرب المستعربة على حد قولهم ...»[17] .

ويتابع الدكتور جواد علي فيقول : «وخلاصة ما تقدم أن لفظة (ع ر ب) هي بمعنى التبدي والاعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم النصوص التاريخية التي وصلت إلينا وهي النصوص الآشورية . وقد عنت بها البدو عامة مهما كان سيدهم أو رئيسهم . وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم . ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب توسعوا في استعمال اللفظة حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار أنهم أهل بادية وأن حياتهم حياة أعراب . ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم فصارت علمية عند أولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانها . وأطلق لذلك كتبة اللاتين على بلاد العرب لفظة ARABE ARABIA أي (العربية) بمعنى بلاد العرب»[18] .

ويقول الدكتور جواد علي : «اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون ، على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات : عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة وعرب متعربة وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة وعرباء وهم الخلص ، والمتعربة . واتفقوا ، أو كادوا يتفقون ، على تقسيم العرب من حيث النسب إلى

قسمين : قحطانية منازلهم الأولى في اليمن ، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز . واتفقوا ، أو كادوا يتفقون ، على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل والعدنانية الفرع ، منهم أخذوا العربية وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز ، شرح الله صدر جدهم إسماعيل فتكلم بالعربية بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الارمية أو الكلدانية أو العبرانية على بعض الأقوال»[19] .

2 . 3 . حصلت عام 1973 على درجة الدكتواره في علم اللغة المقارن التاريخي من جامعة موسكو ، وناقشت فيها رسالة عنوانها «مبادىء الدراسة المقارنة لترتيب الكلمات في اللغة العربية الفصحى واللغة الروسية الأدبية المعاصرة» . ولقد اتضحت لي بعض الحقائق الجديدة حول النظرية السامية منذ بدأت عام 1968 بإعداد رسالة الدكتوراه . ومنها ادعاء بعض المستشرقين أن صلة العربية الجنوبية بالعبرية أقوى من صلتها بالعربية الشمالية . ويرجع السبب في ذلك الادعاء إلى أن المستشرقين جميعا كانوا – حين يحللون الكتابات العربية الجنوبية (اليمنية القديمة) – يكتبونها أولا بالأحرف العبرية ثم يترجمونها إلى لغاتهم . ثم جاء الأكاديمي كراتشكوفسكي وقرر أن من الأفضل كتابتها بالأحرف العربية لأنها أكثر ملاءمة من الأحرف العبرية لخصائص البنية اللغوية للعربية الجنوبية .

وتابعت دراسة الموضوع بعد عودتي إلى الوطن ، فنشرت عام 1981 بحثا عنوانه : «السامية والساميون – العرب والعربية»[20] أكدت فيه أن تاريخ الأمة العربية ولغتها قد تعرضا لتشويه وتزييف خطيرين . فاضطررنا لدى تدريس تاريخنا إلى الاعتراف بأن العرب من الشعوب السامية . وأخذنا نتحدث عن الهجرات السامية في أول الأمر ، ثم عمدنا إلى القول بأن العرب هم الساميون ، فصرنا نقول «العرب الساميون» ونتحدث عن «الهجرات العربية السامية» . وكذا الحال بالنسبة للغة العربية . فأخذنا ندرس طلبتنا أن اللغة العربية من أسرة اللغات السامية .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن لفظة «سامي» – كما أشار الدكتور فيليب حتي – ذات مدلول يهودي قبل كل شيء في أوربا وأمريكا ، يكشف لنا أننا كنا طوال سنوات عديدة نتبنى ونردد حقائق زائفة ليس لها أي سند علمي ، ولا تستند إلا إلى التوراة التي تعتمد عليها الصهيونية في تأييد مزاعمها حول الحق التاريخي لليهود في فلسطين وبقية الأقطار العربية . وأصبح العرب والحالة هذه في وضع شاذ غريب لا مثيل له في التاريخ . فنحن نعترف أننا ساميون وأن لغتنا العربية من اللغات السامية . ويفهم العالم وخاصة في أوربا وأمريكا أن السامي هو اليهودي . والنتيجة المنطقية عندهم هي أن الشعب اليهودي هو الشعب الأول والأصيل في «أرض إسرائيل كما يزعمون وأن اللغة العبرية هي اللغة الأم لجميع اللغات السامية .

لذا فإننا نرفض فرضية أسرة اللغات السامية لأن الشواهد التاريخية العلمية لا تؤيدها . ولا يعني ذلك أننا نرفض الاقرار بوجود شبه كبير في أصوات اللغات التي صنفت ضمن أسرة اللغات السامية ومفرداتها وصرفها ونحوها . وإنما ينصب اعتراضنا الأساسي على وصف تلك اللغات بأنها (سامية) لأن لفظة (سامي) ذات مدلول يهودي في أوربا وأمريكا . ونرفض القول بوجود (الشعب السامي) مادام يستند فقط إلى افتراض وجود لغة ساميه — أصل . وندعو إلى دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام منهج

تاريخي علمي متحرر من الآراء الواردة في التوراة حول نشأة اللغات البشرية .

ثالثا : الدعوة إلى دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام منهج تاريخي علمي .

3 . 0 . ينبع المنهج التاريخي العلمي الذي ندعو إليه في دراسة اللغات من اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني في (الخصائص) وعبد القاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز في علم المعاني) في نظريتين لغويتين متتامتين[21] .

3 . 1 . بعض جوانب نظرية ابن جني التي بلورها في «الخصائص» .

أ -انطلق ابن جني من منطلق وصفي لأن بحثه في «الخصائص» كان يدور بشكل رئيسي في نطاق بنية الكلمة المفردة . فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها وسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة . فبحث في الاشتقاق وأنواعه ودرس التقليبات الممكنة للكلمة الواحدة . وبين أن الأمر المشترك الذي يجمع التقليبات هو وحدة المعنى وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول . ويعني هذا أن ابن جني لجأ إلى الوصف التطوري لبنية الكلمة الذي يأخذ بالاعتبار عامل الزمن .

ب -اهتم ابن جني باكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي . لذا لم يتبن - لدى البحث في نشأة اللغات - نظرية التوقيف أو الاصطلاح ، بل جوزهما على حد سواء لأن ذلك لا يغير من حقيقة القوانين اللغوية . ولكن ابن جني أكد بشكل حازم على أمرين :

1 - لم تنشأ اللغة في وقت واحد بل نشأت في أوقات متلاحقة .

2 - كانت اللغة باستمرار تحافظ على اتساق نظامها .

ج - بحث ابن جني في القوانين الصوتية العامة التي ترجع إلى الخصائص الفزيولوجية للانسان (وعبر عنها بحس المتكلم) . كما وازن بين لغة العرب ولغة العجم .

3 . 2 . بعض جوانب نظرية الامام الجرجاني التي بلورها في «دلائل الاعجاز في علم المعاني»

أ -انطلق عبد القاهر الجرجاني من منطلق وصفي وظيفي لأنه بحث في نظم الكلم . فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة التي تؤديها في الكلام ، انطلاقا من الوظيفة الأساسية للغة كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض . وكان يرى أن اللغة نظام لربط الكلمات . ولدى السعي لاكتشاف هذا النظام ، لم يكن الجرجاني بحاجة إلى وصفه وصفا تطوريا ، بل عمد إلى وصفه وصفا تزامنيا . وأدى ذلك به إلى القول باعتباطية الاشارة اللغوية .

ب -انصب اهتمام الجرجاني على اكتشاف القوانين للنظام اللغوي وأكد على ارتباط اللغة بالفكر . ولدى البحث في نشأة اللغات ، بين دور التفكير في نشأة اللغة . وجوز الجرجاني - كما فعل ابن جني - القول بأن اللغة تواضع أو إلهام . ولكنه أكد أن مهمة الكلمات المفردة لم تقتصر منذ بداية وضعها على (التسمية) فقط بل كانت

مهمتها مرتبطة أيضا ب (الاخبار) .

ج -بحث الجرجاني في القوانين اللسانية العامة .

وقرر ما يلي :

1 - لا يمكن أن تكون الكلمة المفردة أدل على معناها الذي وضعت له من كلمة أخرى ، سواء أكان ذلك في لغة واحدة أم في لغات مختلفة .

2 - الخبر معنى بين شيئين ، وليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل .

إنني أرى أن ***نظريتي ابن جني والجرجاني متتامتان ، بل يصح القول أنهما تؤلفان جانبين لنظرية لسانية واحدة تعبر - برأيي - عن اتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية*** . ويظهر التتام بين النظريتين جليا في الأمرين التاليين :

1 - ضرورة الربط بين الدراسة التزامنية للنظام اللغوي (التي تقدمها نظرية الجرجاني) والدراسة التطورية له (التي تقدمها نظرية ابن جني) .

2 - ضرورة الربط بين القول بأن اللغة لم تنشأ دفعة واحدة (الذي اعتمدته نظرية ابن جني) والقول بارتباط نشأة اللغة بالتفكير (الذي اعتمدته نظرية الجرجاني) ويعني ذلك أن اللغة قد نشأت وتطور نظامها واكتمل ، بشكل مواز لنشأة التفكير الانساني وتطور نظامه واكتماله .

3 . 3 . وأرى أن **الملامح العامة لاتجاه مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية** يمكن تحديدها في المبادىء التالية :

1 - الانطلاق من مفهوم منظومي للغة .

2 - اللغة ظاهرة اجتماعية ، وترتبط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة .

3 - تلازم اللغة والتفكير .

وبما أن النظام اللغوي في حركة مستمرة ، لذا يجب أن يستخدم في دراسته منهج تاريخي علمي .

3 . 4 . **ويقوم المنهج التاريخي العلمي** - الذي استنبطناه من التتام بين نظريتي ابن جني وعبد القاهر الجرجاني - على المبادىء التالية :

1 - اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بالتفكير منذ نشأتها .

2 - يجب علينا - لدى دراسة النظام اللغوي - أن نهتم بما هو عام ومطرد دون أن نهمل الاستثناءات ، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة أو بدايات لتطور جديد .

3 -يؤلف النظام اللغوي كلا واحد ، توجد المستويات المتدرجة للبنى اللغوية فيه في علاقة تأثير متبادل فيما بينها . ويحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساسي والموجه بالنسبة لبقية المستويات ، لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى . ولا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من المستويات الأعلى ، في حين أن العكس ممكن .

3 . 5 . **تستهدف دعوتنا إلى استخدام منهج تاريخي علمي في دراسة المادة اللغوية للعربية اكتشاف التاريخ الحقيقي للغة العربية وبالتالي التاريخ الحقيقي للأمة العربية .**

ونبدأ في تنفيذ هذه الدعوة ***بالاجابة عن السؤال*** الذي طرحناه في الفقرة الأولى :

هل ترتبط بدائية نشأة اللسان العربي ببداية تشكل الكلام الانساني؟

إنه ليصعب نظريا تصور استمرار وجود لغة حقيقية حتى الوقت الراهن ، تحمل مادتها عناصر تتوافر فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الانساني ، ويمكن أن تكون نموذجا لبداية تشكل الكلام الانساني . إلا أنه لا يوجد برأينا ما يحرم من حيث المبدأ دراسة مادة لغوية للغة حقيقية من أجل بيان هل تقدم مادتها العناصر التي تتوافر فيها الصفات الموضوعية للأصل الأول في نشأة الكلام الانساني .

وبما أن المعاجم العربية هي التي حفظت لنا المادة اللغوية للعربية منذ النشأة الأولى للعربية وحتى يومنا الراهن ، يتوجب البحث في الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية استنادا إلى المنهج التاريخي العلمي .

رابعا : الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية

4 . 0 . قرر علماء العربية ***أن المبدأ الذي يقوم عليه نظام المعجم العربي هو الأصل المجرد من حروف الزيادة*** . ويتحدد وفق قواعد الاشتقاق الصغير (في علم الصرف) كيف يتم الحصول على الأصل المجرد من حروف الزيادة . ***فهل يعني ذلك أنهم قرروا أن الأصل في المعجم هو الأصل في الاشتقاق؟***

يوجد اتجاهان في تحديد العلاقة بين الأصل في المعجم العربي والأصل في الاشتقاق في العربية :

الأول : اتجاه علماء البصرة : يقول بتمايز الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية فبالنسبة لأصل المعجم العربي ، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل في المعجم مادة مجردة (الحروف الثلاثية الأصلية) يتم الحصول عليها بالاستنباط الصرفي وليس الأصل صيغة لغوية حقيقية . ***وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية*** ، يرون أن أصل الاشتقاق هو المصدر وهو الصيغة اللغوية الأولى التي يتولد منها النظام اللغوي .

الثاني : اتجاه علماء الكوفة والمستشرقين وعلماء الساميات : يقول بعدم تمايز الأصل في المعجم عن أصل الاشتقاق في العربية . ***فبالنسبة لأصل المعجم العربي*** ، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأصل صيغة لغوية حقيقية هي صيغة الفعل الماضي المجردة المسندة للشخص الثالث المفرد المذكر . ***وبالنسبة لأصل الاشتقاق في العربية*** ، يرون أنه الأصل المعجمي نفسه .

وكنا نتبنى الاتجاه الثاني .

4 . 1 .كتب الدكتورتمام حسان في كتابه «اللغة العربية – معناها ومبناها»(22) ما يلي :

((ومعنى الحدث مشترك بين جميع المشتقات ، ولكن كل مشتق منها يضم إلى الحدث معنى آخر ... وأما المصدر فهو اسم الحدث فقط إذ لا يدل على معنى آخر إلى جانب الحدث . ولذلك رآه البصريون أصلا للاشتقاق حين نظروا من هذه الزاوية ، وأوردوا في تدعيم ذلك مناقشات طويلة . وأما وجهة النظر الكوفية فقد نظرت إلى المشكلة من ناحية التجرد والزيادة . فالمجرد من بين هذه الصيغ هو في فهم أصحاب هذه النظرة أقرب إلى الأصالة من المزيد . وقد نظروا في صيغ الكلام فلم يجدوا أكثر تجردا من الفعل الماضي الثلاثي المجرد المسند إلى المفرد الغائب نحو (ضرب) فقالوا إن أصل المشتقات هو الفعل الماضي ، وأورد هؤلاء أيضا في تدعيم نظرتهم مناقشات ضافية)) .

ويعقب الدكتور تمام حسان على الرأيين فيقول : والواقع أن الصعوبات تقوم فعلا دون الاقتناع برأي البصريين أو برأي الكوفيين على حد سواء . فأما للرد على البصريين فأنا أسألهم عن

(كان) الناقصة (وهي عندهم فعل) ألها مصدر أم لا مصدر لها؟ إن مذهبهم يقول إن كان الناقصة لا مصدر لها ومع ذلك يعتبرونها مشتقة ، فما أصل اشتقاقها؟ وأما للرد على الكوفيين فإن (يدع) و (يذر) في رأيهم لا ماضي لهما وهما مشتقان على رغم ذلك ، فما أصل اشتقاقهما إذا؟

ثم يقدم الدكتور تمام حسان رأيا ثالثا في الاشتقاق فيقول :

والذي أراه أجدى على دراسة هذه المشكلة (مشكلة الاشتقاق) أن يعدل الصرفيون بها عن طريقهم إلى طريقة المعجميين بل أن يجعلوا دراستها في دراسة علم الصرف حسبة لوجه علم المعجم : مبتعدين بها عن شكلية الصيغ أو الزوائد والملحقات ذات المعاني الوظيفية جانحين بها في اتجاه المعجم بحيث يكون (الاشتقاق) حدودا مشتركة بين المنهجين . وإذا صح لنا أن نوجد رابطة بين الكلمات فينبغي لنا ألا نجعل واحدة منها أصلا للأخرى ، وإنما نعود إلى صنيع المعجميين بالربط بين الكلمات بأصول المادة فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثية أساس منهجنا في دراسة الاشتقاق . وبذلك نعتبر الأصول الثلاث أصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها والفعل الماضي مشتق منها كذلك .

4 . 2 . بالاستناد إلى المنهج التاريخي العلمي في دراسة اللغات ، ***نرى أن اللغة الانسانية كانت منذ نشأتها الأولى عبارة عن أصوات نطقها الانسان بشكل واع لاستخدامها وسيلة لابلاغ الآخرين أغراضه وفهم أغراضهم في عيشه المشترك معهم من ناحية ، ولاستخدامها من ناحية أخرى وسيلة يصوغ بوساطتها أفكاره ويعبر عن مشاعره . وتحدد الأمور المشتركة بين البشر جميعا الصفات العامة للغات الانسانية*** . وتتمثل تلك الأمور المشتركة فيما يلي :

1 - البنية التشريحية الواحدة لجهاز النطق الانساني .
2 - الطرائق العامة الواحدة للتفكير الانساني .
3 - النزوع الانساني الواعي للحياة الاجتماعية .

وتتلخص هذه الأمور المشتركة في العبارة القديمة التي عرفت ***الانسان*** بأنه كائن ***ناطق مفكر اجتماعي*** . ومن استعراض التاريخ الحضاري للانسانية يظهر أن التفكير الانساني لم ينشأ مكتملا طفرة واحدة وأن خط السير العام لتطور التفكير الانساني انطلق من إدراك المشخص المحدد (بحاستي السمع والبصر) واكتمل بالانتقال إلى المجرد العام . وقد تطورت البنية اللغوية واكتملت تدريجيا بشكل مواز لتطور التفكير الانساني واكتماله .

وبنتيجة التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية باستخدام المنهج التاريخي العلمي ، تأكد لنا تمايز الأصل في المعجم العربي عن أصل الاشتقاق في العربية . وقررنا رأيا خاصا بنا بشأن العلاقة بين الأصل في المعجم وأصل الاشتقاق اللغوي ، هو التالي :

الأصل في المعجم اللغوي الانساني رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها مفردات اللغة من ناحية أولى ، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . والأصل في الاشتقاق في النظام اللغوي الانساني هو الصيغة اللغوية الانسانية الأولى التي ولد تطورها النظام اللغوي الانساني في جميع مستوياته .

4 . 3 . لذا نقرر أن ***الأصل في المعجم العربي*** (ك . ت . ب) ***رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها المفردات العربية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية*** . ويعني هذا أن ***الأصل في المعجم العربي ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر / كتب (هو) /*** . ويظهر ذلك أن علماء البصرة أصابوا حين قرروا أن الأصل ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث

المفرد المذكر نفسها . ولكن علماء البصرة لم يصيبوا حين قرروا أن الأصل مادة أصلية ويقصدون بذلك الحروف المجردة أي صيغة افتراضية (مجردة) لأن الأصل الأول في المعجم اللغوي الانساني صيغة صوتية (مادية) ترتبط بالنشأة الصوتية للغة الانسانية . وسنفصل القول في ذلك بعد عرض رأينا في نشأة الكلام الانساني .

أما بالنسبة *للأصل في الاشتقاق في العربية* ، *فنقرر أنه الصيغة اللغوية الانسانية الأولى* . ***فما هي الصيغة اللغوية الانسانية الأولى؟*** ينقلنا ذلك إلى عرض رأينا في نشأة الكلام الانساني .

خامسا : رأينا في نشأة الكلام الانساني :

5 . 0 .بعد الرجوع إلى أبحاث معمقة حول الكلام الانساني ونشأته في اللسانيات العامة والتاريخ الحضاري الانساني والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم النفس وعلم الأديان المقارن ، بلورنا ***نظريتنا في نشأة الكلام الانساني*** .

ولما كانت بنية اللغة الانسانية تتألف من جانبين : صوتي (مادي) ودلالي (معنوي) ، فمن الطبيعي أن ننطلق في البحث في نشأة اللغات الانسانية من تحليل الجانب الصوتي لننفذ من خلاله إلى تحليل الجانب الدلالي . وإننا ، إذ نتمسك بالمنهج التاريخي العلمي لدى دراسة نشأة اللغة الانسانية ، نؤكد ضرورة الربط بين الدراسة التطورية لبنية اللغة الانسانية (التي تكشف – كما قال ابن جني – وجود علاقة بين مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول بنتيجة المحاكاة) وبين الدراسة التزامنية لبنية اللغة الانسانية (التي تقول – كما أكد الجرجاني – بعدم وجود مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول وترى أن العلاقة بينهما اعتباطية حددها التواضع) .

5 . 1 . لذا نرى إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه كان البداية الأولى في تكوين التفكير الانساني . ويعني ذلك بالضرورة أن ***الكلام الانساني قد مر في نشأته بطور أولي كان أصل المعجم اللغوي فيه عبارة عن محاكاة لأصوات الحيوان وظواهر الطبيعة*** ، لأن تلك المحاكاة كانت بمثابة قرينة تساعد الانسان القديم في الادراك الذهني للعلاقة بين الصوت وما يشير إليه . وعقبه ***طور ثان*** انعدمت فيه محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة وظهر فيه ***أصل جديد للمعجم اللغوي كانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني***[23] .

5 . 2 . ولذا نعلن أننا ***نرفض رأي سوسور بأن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم***[24] وأنها كيان نفسي ذو وجهين : الأول – التصور أو المدلول ، والثاني – الصورة السمعية أو الدال . ***ونرى أن العلامة اللسانية كانت منذ النشأة الأولى للكلام الانساني تربط شيئا باسم*** . لقد نزع سوسور من الدال الصيغة الصوتية ، لذا اضطر إلى استخدام مصطلح (اللغة : langage) للربط بين (اللسان : langue) (والكلام : parole) . وهكذا يتحدد نطاق اللغة عند سوسور بقصرها على التداعيات القائمة في الدماغ بين معنى الكلمات وصورها السمعية ، أي في نطاق ما يسمى اللغة الداخلية . ويؤدي ذلك إلى ***الفصل بين نشأة اللغة المنطوقة وبين نشأة التفكير ، وافتراض أن نشأة التفكير أسبق من نشأة اللغة المنطوقة*** . لذا فإننا نرفض التمييز التبريري بين مصطلحي (اللسان) و (اللغة) ونرى أنهما يعبران عن شيء واحد . وعليه لا نرى فرقا بين قولنا في العصر الحديث (اللسان العربي) وقولنا (اللغة العربية) . ونقر بضرورة التمييز بين اللغة أو اللسان وبين الكلام .

5 . 3 . إن اللغة الانسانية حسب مارتينيه[25]

قابلة للتقطيع على صعيدين : الوحدات الدالة (مونيمات) على الصعيد الأول ، وبضع عشرات من الوحدات الصوتية (فونيمات) على الصعيد الثاني . والكلام الانساني وحده قابل لمثل ذلك التقطيع المزدوج . ومبدأ التقطيع المزدوج قانون أساسي من قوانين اللغة الانسانية .

صحيح أن الفونيم هو وحدة صوتية دنيا تتمتع بجملة من الصفات تميزها من وحدة صوتية دنيا أخرى في نفس النظام اللغوي . ولكننا نرى أن الفونيم وحدة صوتية افتراضية لأن التقطيع الفعلي للصيغة الصوتية للوحدة الدالة (مونيم) لا يوصلنا إلى الفونيم ، بل يوصلنا فقط إلى المقطع الصوتي (Syllable) . وعليه فإننا ***لا نوافق مارتنيه في أن مبدأ التقطيع المزدوج قانون أساسي من قوانين اللغة الانسانية . ونرى أن القانون الأساسي في جميع اللغات الانسانية هو مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية يتألف منها الكلام الانساني .***

ولا بد من الاشارة هنا إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية قد أثبتت بشكل جازم أن حنجرة الانسان القديم (الذي انقرض) ما كانت تسمح له إلا ينطق أصوات مندمجة بعضها ببعض مثله في ذلك مثل سائر الحيوانات الناطقة . ويعني ذلك أن الانسان القديم لم يكن قادرا على تقطيع الأصوات التي تتألف منها اللفظة التي حاكى فيها أصوات الحيوان إلى مقاطع صوتية متميزة . ثم تطورت البنية التشريحية للحنجرة عند الانسان الحديث فتمكن من تغيير نطق تلك اللفظة بتقطيعها إلى مقاطع صوتية متميزة . فتميز حينئذ النطق الانساني (عند الانسان الحديث) عن النطق الحيواني ، وظهرت اللغة الانسانية التي تقوم على مبدأ تقطيع السلسلة الصوتية إلى مقاطع صوتية يتألف منها الكلام الانساني .

لذا فإننا نميز في الطور الأول في نشأة الكلام الانساني (الذي ظهر فيه أصل معجمي بنتيجة محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة) مرحلتين : الأولى – مرحلة محاكاة أصوات الحيوان ، والثانية – مرحلة محاكاة ظواهر الطبيعة .

أ -المرحلة الأولى : كانت مرحلة تمهيدية لنشأة الكلام الانساني . ظهر فيها الأصل المعجمي الأول الذي حاكى فيه الانسان القديم أصوات فصائل الحيوان التي تمتلك جهازا للتصويت قريبا من جهاز التصويت عنده ، لذا نطقه مثلها في مجموعة صوتية مندمجة (شحج ، نزب) .

ب -المرحلة الثانية : كانت مرحلة بداية نشأة الكلام الانساني ، بدأت بظهور الصيغة اللغوية الانسانية الأولى ، ثم ظهرت فيها أصل معجمي ثان حاكى فيه الانسان أصوات ظواهر الطبيعة .

5 . 5 . ***هل كان الأصل المعجمي الأول الذي ظهر في المرحلة الأولى من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني صيغة لغوية إنسانية؟***

كنا في مقالة «نظرة جديدة إلى المعجم العربي»(26) قد ذكرنا ما يلي : «***ما هو السبب في أن نظام المعجم العربي بني انطلاقا من الأصل ثلاثي الأصوات الصامتة؟ ولماذا يعتبر ذلك الأصل خوارزما رياضيا لاشتقاق كلمات وصيغ جديدة منه؟ ولماذا حافظ هذا الأصل الثلاثي على لحمته دون تغيير على مر القرون؟*** لاشك أن هناك سرا يرتبط بطبيعة الأصل العربي ثلاثي الأصوات الصامتة فما هو ذلك السر؟ وكيف نكشفه؟»

وبالرجوع إلى الدراسات الصوتية في علم اللغة العربية وعلم اللغة العام وعلم اللغة المقارن قررنا أن «الأصل المؤلف من ثلاثة أصوات صامتة

(شحج ، نزب) كان الانسان البدائي يلفظه في مقطع صوتي واحد لأنه يحاكي أصوات الحيوان ، فلا تتميز في الأصل أصوات منفصلة بعضها عن بعض في مقاطع صوتية منفصلة ، بل تتصل بكل صوت صامت فتحة خفيفة تمكن فقط من النطق به» .

ولدى التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية ، يتضح لنا أن الأصل الأول (نزب ، شحج) لم يكن يشتمل على ما يشير إلى أقسام الكلم أو الجنس أو العدد بل كان يفيد الفعل والفاعل معا ويؤدي وظيفة إبلاغ ضيقة جدا لا تتعدى – برأينا – التنبيه الصوتي الارادي بدلا من الصيحات غير الارادية التي كان الانسان القديم يصدرها . ولكن هذا الأصل لعب على الرغم من ذلك دورا هاما في بداية تكوين التفكير الانساني تجلى في إدراك العلاقة بين الصوت والشيء الذي يسميه من ناحية ، وفي تمييز الشخص الثالث (غير المتكلم وغير المخاطب) من ناحية أخرى . كما لعب دورا هاما آخر تجلى في الاستخدام الارادي لمجموعة الأصوات المندمجة التي حاكاها الانسان منذ البداية الأولى لنشأة الكلام الانساني .

وهكذا يظهر أن هذا ***الأصل الأول كان شبيها بصيحة تنبيه إرادية . ويعني ذلك أن الأصل الأول لم يكن بداية عملية التخاطب الانساني اللساني . بل كان تمهيدا ضروريا لها*** تجلى في الانتقال من إصدار صيحات غير إرادية إلى إصدار صيحات تنبيه إرادية لا تشتمل على تمييز الفعل من الفاعل من ناحية ولا تشتمل على تمييز الجنس والعدد من ناحية أخرى . واقتصر الأصل الأول على التعبير عن تمييز الشخص الثالث الذي كان يمثل بالنسبة للانسان القديم في تلك المرحلة كل ما يتحرك ويصدر صوتا أمكن محاكاته من دون تمييز لجنسه أو عدده . لذا لم يكن هذا الأصل الأول كلمة – جملة بالمعنى اللساني لأن التخاطب الانساني اللساني لا يمكن أن يقوم إلا بعد تمييز الشخص الثاني (المخاطب) . ويعني ذلك أن ***الأصل الأول لم يكن صيغة لغوية إنسانية ، بل كان أصلا تاريخيا حيوانيا مهد لنشأة اللغات الانسانية .***

وبذل الانسان القديم قصارى جهده في السعي إلى خلخلة وحدة المجموعة الصوتية المندمجة التي تألف منها الأصل الأول ، وذلك من أجل توليد ألفاظ مقطعة تسد حاجته ا لمتزايدة في الاتصال الارادي بالآخرين . ***ونجح الانسان القديم في خلخلة وحدة المجموعة الصوتية المندمجة للأصل الأول حين قطعها فحصل منها على لفظة الطلب (الأمر) للشخص الثاني التي نطقها في مجموعتين صوتيتين (شْحجْ ، نْزبْ)*** . وكانت لفظة الأمر هذه أول كلمة جملة بالمعنى اللساني حملت معها بداية تشكل النظام الصوتي للعربية . كما حملت في الوقت نفسه بداية عملية الاتصال والتخاطب الانساني اللساني نتيجة لتمييز الشخص الثاني (المخاطب) من دون تمييز لجنسه أو عدده .

وحين نجح الانسان القديم في الحصول على لفظة الأمر للشخص الثاني (التي حملت في طياتها تمييز الشخص الثاني – المخاطب من ناحية أولى ، وغرضا ابلاغيا يزيد إيصاله للمخاطب من ناحية ثانية) ***بدأت عملية التخاطب الانساني اللساني .*** وصاحبت عملية التخاطب بداية تبلور الأصوات اللغوية الانسانية التي تجلت في التقطيع الارادي لمجموعة الأصوات المندمجة في الأصل الأول (التاريخي الحيواني) إلى مجموعتين صوتيتين متصلتين في لفظة واحدة (شْحجْ ، نْزبْ) .

وهكذا يظهر أن ***الأصل الأول التاريخي الحيواني (شحج ، نزب)*** الذي كان ينطق في مجموعة أصوات مندمجة بعضها ببعض ***كان أصلا في المعجم العربي ولم يكن أصلا حقيقيا للاشتقاق في العربية ،*** بل استخدم رصيدا للأصوات اللغوية من ناحية أولى

وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وقد ظهرت من تقطيعه الصيغة اللغوية الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني (شحج) . ومن تطور هذه الصيغة اللغوية الأولى تولدت اللغة الانسانية واكتملت نظاما كاملا للأصوات والدلالات في جميع المستويات : مستوى الأصوات اللغوية ومستوى البنية الدلالية للمفردات في إطار المعجم ومستوى البنية الصرفية للكلمات المفردة والبنية النحوية للتراكيب (المستوى القواعدي) . وخضع تطور صيغة الأمر للشخص الثاني الذي ولد النظام اللغوي الانساني لقانون أساسي للتطور الصوتي . وارتبط به قانون توسع اللغة في القيام بوظيفة الاتصال من ناحية وقانون توسع اللغة في القيام بالتعبير عن الأفكار من ناحية ثانية .

وبذا نكون قد حللنا لغز طبيعة الأصل السالم الثلاثي في المعجم العربي الذي حافظ على لحمته من دون تغيير على مدى القرون وكان خوارزما رياضيا لتوليد النظام اللغوي للعربية في جميع مستوياته عن طريق الصيغة اللغوية الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني – التي أخذت منه عن طريق تقطيع مجموعة الأصوات المندمجة التي كان الأصل الأول (الثلاثي السالم) يتألف منها .

5 . 6 . *هل كان الأصل المعجمي الثاني الذي ظهر في المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني صيغة لغوية إنسانية؟*

تصدر بعض ظواهر الطبيعة بنتيجة الحركة مجموعات من الأصوات المندمجة بعضا ببعض ، ولكنها تتميز عن المجموعات المندمجة التي تصدرها فصائل الحيوان التي حاكاها الانسان في المرحلة الأولى بأن مجموعات الأصوات المندمجة الطبيعية أقصر . وكان الانسان القديم في المرحلة الأولى عاجزا عن محاكاة أصوات ظواهر الطبيعة هذه بسبب قصرها ،لأن حنجرته لم تكن تمكنه من نطق مثل تلك المجموعات المندمجة القصيرة والتوقف عن النطق بعدها مباشرة . ولكن نجاح الانسان القديم في نطق أول صيغة لغوية إنسانية (عن طريق تقطيع مجموعة الأصوات المندمجة في الأصل الأول التاريخي الحيواني إلى مجموعتين صوتيتين متصلتين في لفظة واحدة) *كان تطورا هاما في البنية التشريحية لحنجرة الانسان القديم حمل معه بداية انقراض الانسان القديم وبداية ظهور الانسان الحديث* ، كما حمل معه بداية عملية التخاطب الانساني اللساني وبداية مرحلة جديدة هي المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني .

وهكذا *استطاع الانسان الحديث في هذه المرحلة الثانية محاكاة أصوات ظواهر الطبيعة التي تصدر مجموعة قصيرة من الأصوات المندمجة بعضها ببعض بأن عمد إلى تكرار نطق محاكاتها في لفظة واحدة متصلة* ، ليتخلص بذلك من صعوبة التوقف عن النطق بعد محاكاة تلك الأصوات في المرة الأولى (خرْ ← خرْخرْ / صلْ ← صلْصلْ) ، وذلك على غرار ما فعله الانسان الحديث حين خلخل الوحدة الصوتية المندمجة للأصل الأول التاريخي الحيواني فقطعها إلى مجموعتين متصلتين في لفظة واحدة . ثم *استطاع الانسان الحديث محاكاة أصوات فصائل أخرى من الحيوان تصدر مجموعات صوتية مندمجة قصيرة مماثلة لأصوات ظواهر الطبيعة* (زق ← زق زق) .

ولدى التعمق في دراسة المادة اللغوية للعربية يتضح لنا أن هذا *الأصل الثاني الطبيعي – الحيواني* (خرْخرْ ، زقْ زقْ)– الذي ظهر في المرحلة الثانية من الطور الأول في نشأة الكلام الانساني – كان على غرار الأصل الأول الحيواني لا يشتمل على ما يشير إلى أقسام الكلم أو الجنس أو العدد ، وكان يفيد

الفعل والفاعل معا . لذا لم يكن الأصل الثاني كلمة – جملة بالمعنى اللساني ، ***أي لم يكن صيغة لغوية إنسانية ، بل كان أصلا تاريخيا طبيعيا – حيوانيا مهد للتوسع في نشأة اللغات الانسانية*** .

وهكذا يظهر أن الأصل التاريخي الطبيعي – الحيواني الذي كان ينطق في مجموعتين صوتيتين متماثلتين ومتصلتين في لفظة واحدة (خرْخرْ ، زقْ زقْ) ***لم يكن أصلا حقيقيا للاشتقاق في العربية ، بل كان أصلا في المعجم العربي*** استخدم رصيدا للأصوات اللغوية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وبذل الانسان الحديث قصارى جهده في تغيير نطق المجموعتين الصوتيتين المتماثلتين المتصلتين في لفظة واحدة هي الأصل الثاني من أجل الحصول منه على الصيغة الأولى للتخاطب الانساني اللساني – صيغة الأمر للشخص الثاني . ونجح في ذلك حين تمكن من تغيير نطق المجموعة الثانية من الأصل التاريخي الطبيعي – الحيواني لتتمايز عن نطق المجموعة الأولى (خرْخرْ ← خرْخِـرْ ، زقْ زقْ ← زقْ زِقْ) .

وحدث تطور في التقطيع الصوتي حين تمكن الانسان الحديث من تغيير طريقة التكرار التي عرفها في الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني . وتم ذلك حين نجح الانسان في عدم تكرار نطق المجموعة القصيرة من الأصوات المندمجة بعضها ببعض التي حاكى فيها أصوات ظواهر الطبيعة ، بل عمد إلى تقطيع المجموعة الصوتية القصيرة المندمجة ونطقها في مقطعين صوتيين متصلين في لفظة واحدة هي صيغة الأمر عن طريق تكرار نطق الصامت الثاني منها . وحسب نجاح الانسان في طريقة تكرار الصامت الثاني تحدد نوع التقطيع الصوتي الذي بلغه :

(خرْ ← خُرُرْ)تقطيع إلى مقطعين صوتيين قصيرين مغلقين .

(خرْ ← خُرُر)تقطيع إلى مقطعين صوتيين الأول مغلق والثاني مفتوح .

5 . 7 . أما بالنسبة ***للطور الثاني في نشأة الكلام الانساني*** (الذي ظهر فيه أصل معجمي كانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني) ، فنقرر ***أن الأصل التواضعي كان الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر للشخص الثاني*** . ونرى أن ***الطور الثاني مر بمرحلتين*** : المرحلة الأولى كان الأصل التواضعي فيها مؤلفا من صامتين نطقا في البداية في مقطعين صوتيين قصيرين الأول مغلق والثاني مفتوح (رْمِ ، سْعِ) . وفي نهاية المرحلة الأولى نطق الصامتان في مقطع صوتي واحد قصير مغلق (قُمْ ، نمْ) . ومهد ذلك للانتقال إلى المرحلة الثانية التي ظهر فيها أصل تواضعي مؤلف من صامت واحد ينطق في مقطع صوتي قصير مفتوح (قِ ، فِ) .

سادسا : نظرة صوتية جديدة إلى المعجم العربي .

6 . 0 . قررنا في الفقرة السابقة (خامسا) أن نشأة الكلام الانساني مرت بطورين ومر كل طور منهما بمرحلتين .

الطور الأول : كان الأصل المعجمي فيه محاكاة لأصوات الحيوانات والطبيعة .

أ -**المرحلة الأولى** : ظهر فيها أصل تاريخي حيواني مهد لنشأة اللغات الانسانية . كان هذا الأصل ينطق في مجموعة أصوات مندمجة بعضها ببعض (شحج ، نزب) . ولم يكن صيغة لغوية إنسانية ، أي أنه لم يكن أصلا للاشتقاق في النظام اللغوي الانساني .

ب -**المرحلة الثانية** : ظهر فيها أصل تاريخي طبيعي حيواني مهد للتوسع في نشأة اللغات الانسانية . كان هذا الأصل ينطق في مجموعتين صوتيتين متماثلتين ومتصلتين في لفظة واحدة (خرْخرْ ، زقزقْ) ولم يكن أصلا للاشتقاق في النظام اللغوي الانساني .

هذا وقد حصل الانسان على الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر العامة للشخص الثاني – عن طريق تقطيع نطق الأصل التاريخي الحيواني (شحج ← شْحجْ) (نزب ← نْزبْ) وعن طريق تغيير تقطيع نطق الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني (خرْخرْ ← خرْخِرْ ، زقْ زقْ ← زقْزِقْ) أو عن طريق تغيير طريقة التكرار المتبعة في الأصل التاريخي الطبيعي الحيواني (خرْ ← خْــرُرْ ، خرْ ← خُرْر) .

الطور الثاني : انعدمت في الأصل المعجمي محاكاة أصوات الحيوان وظواهر الطبيعة وكانت العلاقة فيه بين الصوت والمدلول اعتباطية تقوم على التواضع الانساني . وكان هذا الأصل التواضعي الصيغة اللغوية الانسانية الأولى – صيغة الأمر العامة للشخص الثاني .

أ -**المرحلة الأولى** : كان الأصل مؤلفا من صامتين ونطقا في مقطعين صوتيين (زِمِ ، سْع) ثم في مقطع صوتي واحد (قُمْ ، نَمْ) .

ب -**المرحلة الثانية** : كان الأصل مؤلفا من صامت واحد ونطق في مقطع صوتي واحد (قِ ، فِ) .

وهكذا يظهر أن نشأة الكلام الانساني كانت خاضعة لقانون صوتي يرتبط بقدرة الانسان على التقطيع الصوتي وتطور قدرته على التقطيع . ويعني ذلك أن نشأة الكلام الانساني لم تخضع لقوانين المنطق .

6 . 1 . وكنا في مقالة ((نظرة جديدة في تأريخ نشأة اللسان العربي))[27] قد ذكرنا أن (علماء العربية الأوائل حاولوا بعد الكشف الصحيح عن خصائص بنية العربية تقديم تفسيرات لأسباب تمتع العربية بخصائصها المميزة ، فاعتمدوا المنهج المنطقي في وصف تسلسل منطقي لنشأة النظام اللغوي للعربية وتطوره ، نجم عنه تمتع العربية بخصائصها البنيوية المميزة . ولنأخذ على سبيل المثال سيبويه[28] . يرى (أن الفعل مأخوذ من لفظ أحداث الأسماء – أي المصادر – وأن الاسم قبل الصفة كما أنه قبل الفعل ، وأن النكرة قبل المعرفة ، وأن المفرد قبل الجمع وأن المذكر قبل المؤنث) . وأكدنا أن (تاريخ تطور الأصل في اللسان العربي وتشكل النظام اللغوي للعربية واكتماله لم يخضع لقوانين المنطق بل خضع لقانون أساسي للتطور الصوتي وارتبط به قانون توسع اللغة في القيام بوظيفة الاتصال (الابلاغ) من ناحية ، وقانون توسع اللغة في القيام بوظيفة التعبير عن الأفكار من ناحية أخرى . لذا يتضح أن المنهج المنطقي عاجز عن تحديد مراحل التطور ووصفها قبل اكتمال النظام الصوتي للغة ونظامها القواعدي ونظام التعبير فيها عن الأفكار المجردة العامة . كما يتضح أن المنهج الوصفي الوظيفي عاجز أيضا عن تحديد مراحل التطور ووصفها) . وقررنا أن (المنهج التاريخي العلمي لمدرسة أبي علي الفارسي اللغوية هو المنهج القادر على تحديد مراحل التطور ووصفها) .

6 . 2 . قررنا أعلاه (في الفقرة 4 . 3 .) أن الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) رصيد للأصوات التي تتألف منها مفردات العربية من ناحية وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية . وقلنا أن ذلك يعني أن الأصل في المعجم العربي ليس صيغة الفعل الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر / كتب (هو) / .

كان الأصل التاريخي الحيواني (شحج ، نزب) ينطق في مجموعة صوتية مندمجة ، ثم تطور النطق الانساني لهذا الأصل بحيث صار الانسان ينطقه فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية . وبعد اكتمال النظام اللغوي للعربية الذي عكس اكتمال نظام التفكير الانساني ببلوغه المفاهيم المجردة ظهرت صيغة الاخبار للفعل العربي الخاصة بالشخص الثالث غير المشار إليه التي تميزت بأنها فارغة لا تشمل على ضمير يفيد المسند إليه الفعل . وبما أن الصيغة الفارغة (كتب 0) تتطابق مع الصيغة غير الفارغة / كتب (هو / وقع الوهم في أن صيغة الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) هي صيغة الفعل الماضي المجردة المسندة إلى المفرد الغائب / كتب (هو) / .

وفي ضوء ذلك يظهر أن الأصل في المعجم العربي (ك . ت . ب) ليس صيغة فعلية فارغة (كتب 0) لأنه يحمل معنى الفعل والفاعل معا بينما تحمل الصيغة الفارغة معنى الفعل وحده من دون الفاعل . ولكن الأصل في المعجم بالمقابل ليس صيغة افتراضية مجردة بل هو صيغة صوتية (مادية) ترجع إلى الأصل التاريخي الحيواني لنشأة اللغة العربية الذي كان ينطق في مجموعة صوتية مندمجة ، ثم صار ينطق فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية فأصبح يتطابق صوتيا مع صيغة الفعل الماضي المجردة للشخص الثالث المفرد المذكر .

6 . 3 . وهكذا يظهر أن نظام المعجم العربي استند إلى الأصل التاريخي الحيواني لنشأة اللغة العربية الذي صار ينطق فيما بعد في ثلاثة مقاطع صوتية ونظر إليه على أنه يتألف من ثلاثة صوامت متحركة . والسؤال الذي يبرز هنا هو التالي : ***كيف تم إدخال الأصول الذي ظهرت بعد الأصل الأول (التاريخي الحيواني) في نظام المعجم العربي مع المحافظة على اتساق نظامه؟***

للاجابة عن هذا السؤال ***طرحنا نظرة جديدة في دراسة المعجم العربي . تقوم النظرة الصوتية إلى المعجم العربي على القانون التالي : الأصل الحقيقي في المعجم العربي*** (الذي هو رصيد للأصوات اللغوية التي تتألف منها المفرادت من ناحية ، وللمدلولات التي ترتبط بها من ناحية ثانية) ***هو ذلك الرصيد الذي يشتمل على الحد الأدنى من الصوامت المشترك بين جميع الكلمات التي تدخل في العنقود الاشتقاقي الواحد وبالترتيب نفسه .***

كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي ***خمسة مبادىء يقوم عليها نظام المعجم العربي***[29] هي التالية :

أ ـ اعتماد مادة تتطابق مع صيغة الفعل للشخص الثالث المفرد المذكر المؤلفة من ثلاثة صوامت متحركة (كتب) أصلا في المعجم .

ب - اعتماد مادة تتطابق مع صيغة مفترضة تتألف من ثلاثة صوامت متحركة أصلا في المعجم (مدد) بنتيجة فك الادغام في الثنائي المضعف بالنسبة لصيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر (مدَّ) .

ج - اعتماد مادة تتطابق مع الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر رباعية الأصوات الصامتة (بعثر) أصلا في المعجم .

د - اعتماد مادة تتطابق مع صيغة مفترضة - تتألف بنيتها من ثلاثة صوامت متحركة - على أنها أصل في المعجم بنتيجة رد الألف المدة في صيغة الماضي إلى أصلها الواو المتحركة أو الياء المتحركة بالنسبة لصيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر .

1 - المعتل الأجوف : قام ← قوم ، باع ← بيع
2 - المعتل الناقص : رمى ← رمي ، دعا ← دعو
3 - المعتل اللفيف المقرون : طوى ← طوي

4 - المعتل اللفيف المفروق : وق ← وقي

هـ -اعتماد مادة تتطابق مع صيغة الماضي للشخص الثالث المفرد المذكر المعتل المثال (وعد) والمهموز (أكل ، سأل ، قرأ) - وتتألف بنيتها من ثلاثة صوامت متحركة - أصلا في المعجم .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه المبادىء تؤمن اتساق نظام المعجم العربي من ناحية ، وتعتبر من ناحية أخرى سمات تشير إلى البعد الزمني في نظام المعجم العربي .

سابعا : اللغة العربية أصل قائم بذاته .

لقد كشفت نظرتنا الصوتية إلى المعجم العربي أن النظام اللغوي للعربية يعكس جميع المراحل التي مرت بها نشأة الكلام الانساني . ويثبت ذلك بشكل قاطع أن اللغة العربية أصل قائم بذاته .

ويعني ذلك أن ***المادة اللغوية للعربية المتوافرة حتى يومنا الراهن والتي حفظها لنا نظام المعجم العربي تقدم شواهد تاريخية علمية تروي قصة نشأة الانسان واللسان ، ويترتب على هذه الحقيقة العلمية الجديدة النتائج التالية :***

أ -***العرب هم عرب منذ ظهور الحياة الانسانية في وطنهم .***

ب -***اللغة العربية هي اللغة الأصلية للشعب العربي منذ بداية وجوده .***

ج -***كشف زيف فرضية (أسرة اللغات السامية) و(الشعب السامي) ويتبع ذلك بالضرورة إعادة كتابة التاريخ العربي .***

د -***اكتشاف خصائص جديدة تتميز بها بنية العربية . وقد عمدنا بالاستناد إليها إلى اقتراح طريقة صوتية جديدة في وصف قواعد صرف العربية تنطلق من الأصل في الاشتقاق في العربية هو صيغة فعل الأمر العامة للشخص الثاني .***

هـ -***إغناء المعارف الانسانية*** في المجالات التالية :

1 - الكشف من كيفية ارتباط اللغة بالتفكير وتحديد المراحل والأطوار التي مرت بها نشأة الكلام الانساني .

2 - الكشف عن تاريخ ظهور الانسان العاقل ، وعن معطيات أنثروبولوجية جديدة وعن جوانب هامة في التاريخ الانساني في الفترة المسماة (ما قبل التاريخ) .

3 - ***إمكانية اقتباس اللسانيات الحديثة للمنهج التاريخي العلمي - منهج مدرسة أبي علي الفارسي اللغوية الذي بلوره ابن جني وعبد القاهر الجرجاني في نظريتين متتامتين لدى دراسة تاريخ مختلف اللغات . والاستفادة من النموذج الفريد الذي تقدمه العربية لنشأة اللغةالانسانية ومراحل تشكل نظامها اللغوي واكتماله .***

الهوامش

(1) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي» المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق - العدد 224 - آب 1981 .
(2) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «الساكن والمتحرك في علم العربية» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط - العدد 20 1983 .
(3) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «نظرة جديدة إلى المعجم العربي - القسم الأول : مراحل تشكل نظام المعجم العربي وكتابه» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط - العدد 26 1986 .
(4) المؤلفات الكاملة - المجلد الأول - مطابع الادارة السياسية للجيش - دمشق 1982 ص 71 .
(5) - المؤلفات الكاملة - المجلد الأول . ص 341 344 .
(6) المؤلفات الكاملة - المجلد الأول . 258 259 .
(7) دار العلم للملايين - بيروت .
(8) نشرت في مجلة (المعرفة) بدمشق - عدد تشرين الأول سنة 1962 .
(9) (مغامرات لغوية) ص 366 .
(10) (مغامرات لغوية) ص 242 .
(11) نشرت في مجلة (اللسان العربي) بالرباط - عدد يناير سنة 1972 .
(12) تاريخ العرب / مطول / بقلم د . فيليب حتي ود . إدورد جرجي ود . جبرائيل جبور الطبعة الرابعة ، 1965 ، دار الكشاف ، ج 1 ، ص 9 .
(13) تاريخ العرب / مطول / ، ج 1 ، ص 8 .
(14) تاريخ العرب / مطول / ج 1 ، ص 14 .
(15) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام تأليف د . جواد علي ، دار العلم للملايين بيروت - الطبعة الأولى ، 1968 - ج 1 ، ص 225 .
(16) «تاريخ العرب (مطول)» ، ج 1 / ص 53 .
(17) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ، ج 1 / ص 14 .
(18) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ، ج 1 / ص 25 - 26 .
(19) «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ج 1 / ص 294 .
(20) مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق - العدد . 117 - كانون الثاني 1981 .
(21) للتوسع في الموضوع ارجع إلى :
أ) مقالتنا «استجابة اللغة العربية لتحولات العصر» المنشورة في مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق - العدد 180 - نيسان 1986 .
ب) الخصائص لابن جني - حققه محمد علي النجار - دار الهدى بيروت .
ج) «دلائل الاعجاز في علم المعاني» للامام عبد القاهر الجرجاني - صحح أصله الامام محمد عبده - الناشر مكتبة القاهرة - 1961 .
د) «الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني» الدكتور جعفر دك الباب - مطبعة الجليل - دمشق - 1980 .
(22) إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - 1979 .
(23) للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتنا «مراحل نشأة الكلام الانساني» المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط - العدد 25 .
(24) ارجع إلى «محاضرات في الألسنية العامة» ترجمة يوسف غازي ووحيد النصر - المؤسسة الجزائرية للطباعة /1986 .
(25) ارجع إلى «مبادىء اللسانيات العامة» ترجمة د . أحمد الحمو - إصدار وزارة التعليم العالي السورية / 1984 - 1985 .
(26) في القسم الأول منها المشار إليه أعلاه .
(27) المنشورة في مجلة (التراث العربي) بدمشق - العدد رقم 11 - 12 / 1983
(28) الكتاب ج 1 ، الأبواب (علم ما الكلم من العربية) (مجاري أواخر الكلم في العربية) (المسند والمسند إليه) .
(29) في قسمها الثاني (المبادىء التي يقوم عليها نظام المعجم العربي والتسلسل الزمني لظهورها) المنشورة في مجلة (اللسان العربي) بالرباط - العدد 27 / 1987 .

مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية(*)

بقلم : الدكتور علي القاسمي
مدير التربية
المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الرباط

جرائم الترجمة :

قبل ثلاث سنوات فقط نشر الأستاذ جوليو - سيزار سانتويو الأستاذ بجامعة ليون كتابا بالاسبانية بعنوان (جريمة الترجمة)[1] أو كما ترجمه بعضهم إلى الأنجليزية (هؤلاء المترجمون المجرمون) . والأستاذ المؤلف هو نفسه مترجم مشهود له بالكفاءة والمقدرة . ويفتتح مقدمة كتابة بالقول إنه لا يفهم لماذا لا تعج السجون بالمترجين ولا تزخر المحاكم بهم مادام العديد منهم يقترف جرائم السرقة ، والكذب ، والتزوير ، والجهل . ثم يعقب على ذلك شارحا : «إن مما لاشك فيه أن سمعة كثير من المؤلفين الأجانب قد نالها الأذى وأصابها الضرر من جراء الترجمات الاسبانية لأعمالهم ، فقد تمت صياغة هذه الترجمات بأسلوب رديء ، وأغفلت فقرات برمتها أو ترجمت بكلام لا معنى له حيث أن القارىء الاسباني لابد أن يتسائل لماذا يتمتع ذلك المؤلف الأجنبي بتلك السمعة الطيبة في بلاده ...» . ويخلص المؤلف إلى القول بأن المثل الايطالي«المترجم خائن» (traduttore, traditor...) صادق تماما ويقترح أن يكتب على أغلفة بعض الكتب المترجمة (خيانة فلان) بدلا من (ترجمة فلان) . ولكي يبرهن المؤلف على صحة وجهة نظره وصوابها يضرب في كتابه الذي يقع في 225 صفحة أمثلة على الأخطاء الصارخة في ترجمة الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية وفي ترجمة الأفلام السينمائية[2] .

وإذا كان في حكم الأستاذ سانتويو شيء من القسوة على المترجمين فإن له ما يبرره بالنسبة للمترجمين الاسبان الذين سرد نصوصا من ترجماتهم حافلة بالأغلاط الفظيعة مليئة بالتجاوزات الشنيعة . وليس لدينا ما يرجح اختلاف الوضع في الأقطار الأخرى عنه في اسبانيا . وليس لدينا ما يشير إلى أن المترجمين الاسبان أقل براعة من نظرائهم المترجمين في بقية أنحاء العالم ، ولو اضطلع بعض أساتذة الترجمة

(*) ألقيت في اللقاء العالمي حول (مشاكل الترجمة المهنية في العالم العربي وإسهام التكنولوجيا الحديثة في معالجتها) الذي نظمته مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، 1 — 3 يونيو 1989.

في البلاد العربية أو أوربا أو أمريكا بدراسة مقارنة للكتب المترجمة وأصولها كتلك التي قام بها الأستاذ سانتويو لتوصلوا إلى نتائج لا تختلف عن نتائجه كثيرا على الأرجح .

بين المترجم الأدبي والمترجم الدولي :

وفي ظني أن الخطأ الذي يقع فيه مترجم النص الأدبي (وسأشير إليه فيما يلي بالمترجم الأدبي) أقل فداحة من الخطإ الذي يرتكبه المترجم العامل في المنظمات الدولية أو المؤتمرات العالمية (وسأشير إليه فيما يلي بالمترجم الدولي) . فخطأ المترجم الأول يؤدي إلى الاساءة إلى النص الأدبي والتقليل من قيمته الجمالية وبالتالي حرمان القارئ من التمتع بالنص المترجم بنفس الدرجة التي يبلغها قارئ النص بلغته الأصلية . أما خطأ المترجم في المنظمات الدولية أو المؤتمرات العالمية فقد يتسبب في إطالة المناقشات ، أو عدم التوصل إلى اتفاق مرجو ، أو حتى إلى توتر العلاقات بين الأطراف المعنية . وكم من مرة لاحظت في المؤتمرات الدولية نقاشا يحتد وجدلا يتفاقم نتيجة عدم استطاعة الترجمان (المترجم الفوري) نقل أقوال المتكلم بأكملها ، أو بسبب نقله لمعان لم يرم إليها المتكلم ولم يقصدها بتاتا ، وقد اعتذرت إحدى الدول الأسيوية من الانضمام لاحدى الوكالات الدولية المتخصصة في منظومة المؤتمر الاسلامي لأن ميثاق تلك الوكالة المترجم إلى الأنجليزية يشير إلى «الدول الاسلامية الأعضاء» في حين أن دستور تلك الدولة ينص على أنها دولة علمانية . وفي حقيقة الأمر كان النص الأصلي في ميثاق تلك الوكالة الدولية المتخصصة المدون باللغة العربية يشير إلى «الأقطار الاسلامية الأعضاء» وعندما أوضح المدير العام للوكالة الأمر للمسؤولين في تلك الدولة تم انضمامها إلى الوكالة بعد تأخر دام أكثر من سنتين اضطر المدير العام خلالها السفر مرتين إلى تلك البلاد . وهكذا فإن خطأ ذلك المترجم أدى إلى ضياع كثير من الوقت والجهد والمال .

مشاكل المترجم العربي :

ولكن للمترجم العربي الدولي بعض العذر ، ولا يجدر بنا أن نلقي عليه اللوم كله ، وإنما ينبغي علينا تسليط الضوء على المشاكل التي يواجهها ، وتمحيصها ، وتحليلها ، والوقوف على مصادرها ، واقتراح الحلول الناجعة لها . فالمترجم العربي خليق بالدعم والمساعدة لأنه يقوم بخدمة جليلة للثقافة العربية ورقيها في داخل الوطن العربي وخارجه . وفي الصفحات القادمة سأعرض بعض هذه المشاكل مع الحلول المقترحة .

مشكلة الوقت :

من أهم العوامل التي تؤدي إلى وقوع المترجم الدولي في الخطأ هو عامل الوقت ففي حين أن المترجم الأدبي يزاول هوايته أنى يروق له ذلك وحيثما يرغب فإن المترجم الدولي مقيد بوقت محدود . وإذا كان للمترجم الأدبي أن يشرع في عمله بعد العشاء في داره المريحة وهو يتناول قهوته أثناء استشارته لعدد من المعاجم الأحادية اللغة أو الثنائية اللغة ويترجم المقدار الذي يحلو له ، فإن المترجم الدولي يشترك عادة في مكتب واحد مع عدد من المترجمين الآخرين وأحيانا مع بعض الراقنات وعليه أن يتم ترجمة مقدار محدد من الصفحات يوميا . أما زميله الترجمان (المترجم الفوري) فهو في وضع لا يحسد عليه إذ أنه يجلس في مقصورة لا تربو مساحتها على المترين المربعين وليس في استطاعته أن يعود إلى معجم أو مرجع . وفي كثير من المؤتمرات الدولية التي شاركت في تنظيمها رأيت المترجمين يمضون النهار بأكمله ويسهرون الليل حتى الصباح لاتمام ترجمة الوثائق التي ستعرض على جلسة اليوم التالي .

قدرة المترجم الانتاجية :

إن كثير من المؤسسات التي تستخدم المترجمين تطلب من المترجم حدا أدنى من الانتاج في كل يوم عمل . وقد قام المترجم الايطالي فابريزيو مجالي ، رئيس تحرير مجلة (المترجم الجديد) الايطالية بمسح إحصائي لمعرفة قدرة المترجم الانتاجية في عدد من الأقطار والمؤسسات . وقد حدد وحدته المعيارية بالصفحة الايطالية المستخدمة مقياسا للترجمة التقنية ، وهذه الصفحة تشتمل على 25 سطرا يحتوي كل سطر على 60 حرفا أو بعبارة أخرى أن الصفحة الواحدة تضم ما معدله (220) كلمة وهذا يوافق تقريبا متوسط الصفحات باللغتين العربية والأنجليزية . واستنادا إلى مصادر متعددة أفاد السيد مجالي أن معدل إنتاج المترجم الواحد في اليوم هو بين خمس وسبع صفحات (لمترجمي الحكومة الأمريكية) ، وثماني صفحات (لمترجمي منظمة الأمم المتحدة) ، وتسع صفحات (لمترجمي الشركات الألمانية الغربية)[3] .

ومن ناحية أخرى ، قامت المترجمة إيزابل ليونارد بمحاولة لقياس القدرة الانتاجية للمترجمين الأحرار ، أي الذين يعملون لحسابهم الخاص ، فوزعت استبيانا على المترجمين الأحرار الذين شاركوا في مؤتمر جمعية المترجمين الأمريكيين الذي انعقد في نيويورك عام 1984 ، وحصلت على إجابات 79 مترجما ، ووجدت أن 57% منهم يترجمون ما معدله 2900 كلمة في اليوم الواحد أي حوالي 13 صفحة بمقياس السيد مجالي . وكانت نتائجها التفصيلية كما يلي :

عدد المترجمين	نسبتهم	عدد الكلمات يوميا
1	% 1	1،000 – 0
21	% 27	1،999 – 1،000
22	% 28	2،999 – 2،000
25	% 32	3،999 – 3،000
5	% 6	4،999 – 4،000
4	% 5	5،999 – 5،000
1	% 1	6،999 – 6،000
0	% 0	7،999 – 7،000
2	% 3	8،999 – 8،000
المجموع : 79	(103% بسبب تقريب الأرقام)[4]	

العوامل المؤثرة في قدرة المترجم الانتاجية :

ولا شك في أن قدرة المترجم الانتاجية تتوقف على عدد من العوامل أهمها :

1) **صعوبة النص** : هل يتناول النص قضايا الجينات في الكيمياء الحيوية ، أم خبرا عن زيارة يقوم بها وزير الخارجية لدولة صديقه مثلا ؟

2) **الهدف من الترجمة** : هل المقصود من الترجمة مجرد اطلاع المسؤولين على الموضوع أم أنه معد للنشر في صحيفة ، أو للنشر في كتاب أدبي ؟

3) **وسائل المترجم** : هل يكتب المترجم الترجمة بنفسه ، أو يرقنها على آلته الكاتبة ، أو يمليها على كاتبة اختزال ، أو يستخدم الحاسوب في ذلك ؟ ومن ناحية أخرى هل يستخدم المعاجم العادية وسيلة معينة أم يستخدم المعاجم والمعلومات المخزونة في الحاسوب ؟

4) **خبرة المترجم** : هل للمترجم خبرة طويلة في الترجمة ؟ وهل له خبرة في ترجمة نصوص في حقل الاختصاص ذاك ؟

5) **اللغة التي يترجم إليها** : هل يقوم المترجم بنقل النص الأجنبي إلى لغته الوطنية ، أم بنقل النص إلى اللغة الأجنبية ؟

6) **الضوضاء الخارجية** : والمقصود هنا بالضوضاء الخارجية عدد المرات التي يقاطع فيها المترجم أثناء عمله ، وهل يعمل في المكتب لوحده أم يشترك مع آخرين قد يشوشون عليه ؟

ويصرف النظر عن هذه العوامل التي سنعرض لبعضها بعد قليل ، فإن المشكلة التي يواجهها معظم المترجمين العرب في المنظمات الاقليمية والدولية في البلاد العربية ، تتمثل في النقص في عدد المترجمين بحيث يضطر المترجم إلى العمل بصورة متواصلة وتحت ضغط الوقت لاتمام العمل المطلوب ، ولا تكمن مشكلة المترجم الدولي أثناء المؤتمرات في عدد الصفحات التي ينبغي عليه ترجمتها وإنما في التعديلات والتحريرات المتكررة التي يجري إدخالها بصورة مستمرة على النصوص وضرورة ترجمتها وإدخالها في بقية النصوص ، وكذلك في مطابقة النص بلغات عمل المؤتمر المختلفة فالتعديلات والتغييرات التي تجري على الصفحة قد تستغرق وقتا أطول من ترجمة الصفحة ذاتها . وخليق بنا أن نزيد عدد المترجمين وننظم عملهم بطريقة تضمن الراحة لهم بصورة منتظمة ، وخاصة أثناء انعقاد المؤتمرات إذ يجب أن يكون هنالك فريقان من المترجمين أحدهما يعمل أثناء النهار والآخر يعمل أثناء الليل بعد أن نال قسطا من الراحة .

مشكلة تأهيل المترجمين وتخصصهم :

من الممكن جدا أن تكون شاعرا مفلقا أو مترجما بارعا دون أن تحصل على أية شهادة جامعية . وكان المترجمون في السابق يحترفون مهنتهم دون إعداد متخصص وإنما كان معظمهم من دارسي اللغات الأجنبية الذين نمّوا لديهم مهارات الترجمة بالممارسة . أما اليوم فإن معظم المترجمين قد حصلوا على تأهيل رسمي متخصص في الترجمة . ففي الولايات المتحدة لاتتجاوز نسبة المترجمين الذين لم يتموا تكوينهم الجامعي في الترجمة إلى 30% ، وتنخفض هذه النسبة في بريطانيا وألمانيا والأراضي المنخفضة إلى 10% . أما في البلاد الاسكندنافية فيكاد أن يكون هذا النوع من المترجمين معدوما[5] .

وفي داخل معاهد الترجمة الحديثة في أوربا يتخصص الطالب بالترجمة التجارية ، أو الصناعية ، أو العلمية ، أو القانونية ، وقد أقدمت جامعة دسلدورف الألمانية على منح شهادة في الترجمة الأدبية . وهذا أمر تفرضه الفروق المعرفية واللغوية القائمة بين نصوص تنتمي إلى حقول المعرفة المتباينة .

ولكن معاهد الترجمة في الوطن العربي لا تتعامل مع تخصصات الترجمة المختلفة وتعد طلابها إعداد عاما موحدا . فأحدث هذه المعاهد (مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة) يقدم لطلابه بالاضافة إلى دروس اللغات ، والترجمة ، والمصطلحية ، موضوعات أخرى : مبادىء في الاقتصاد ، ومدخل إلى دراسة القانون ، والعلاقات الدولية ، والقانون الدولي العام ، ومنظمات جهوية (إقليمية) ودولية ، وقضايا الساعة[6] . وهذا يعني أن المدرسة تعد طلابها ليصبحوا مترجمين في منظمات دولية مثل منظمة الأمم المتحدة . ولكن المنظمات الدولية ليست كلها منظمات سياسية مثل منظمة الأمم المتحدة في نيويورك ، فمعظم منظمات منظومة الأمم المتحدة هي منظمات متخصصة مثل منظمة

الصحة العالمية بجنيف ومنظمة التنمية الصناعية بفينا ومنظمة التغذية والزراعة بروما ، وغيرها . أضف إلى ذلك أن سوق العمل بالمنظمات الدولية السياسية محدود وأنه لابد لمعظم خريجي معاهد الترجمة العربية أن يطرقوا أبواب الشركات الصناعية والتجارية العالمية والوطنية .

ولهذا كله يتحتم على معاهد الترجمة في الوطن العربي أن تفتح المجال لطلابها لاختيار التخصصات المختلفة فهذا ييسر للمتخرجين الحصول على عمل كما يحقق لهم النجاح في عملهم لتوفرهم على التدريب اللازم في اللغة المتخصصة ذاتها .

مشكلة المعجم العربي :

إن أهم وسيلة من وسائل المترجم هي المعجم الثنائي اللغة سواء أكان يدويا أم إلكترونيا . فكلما كان المعجم جيدا دقيقا شاملا كلما كان عمل المترجم سهلا أمينا سريعا . وقد دلت نتائج استبيان وزعته مجلة (اللغة الشهرية) على قرائها من المترجمين في أوربا وأمريكا أن الأغلبية الساحقة منهم تفضل المعاجم الثنائية اللغة على المعاجم الأحادية اللغة والمعاجم المتعددة اللغة ، وذلك لدقة المعاجم الثنائية اللغة وشموليتها ، ولأن إيجاد المعنى المطلوب فيها يستغرق وقتا أقصر مما في المعاجم الأحادية اللغة . ولكن المعجم العربي الثنائي اللغة حديث العهد لا يتجاوز عمره القرن الواحد من الزمن فهو لا يتوفر ع‍ى الخبرة التي تجمعت لشقيقه المعجم العربي الأحادي اللغة خلال قرون طويلة من النمو يعد ب‍فضلها عميد المعاجم في العالم . ويعاني المعجم العربي الثنائي اللغة من مشكلتين أساسيتين هما :

ا) تكديس أشباه المترادفات في مقابل الكلمة الأجنبية الواحدة : ففي معجم المنهل (فرنسي – عربي) الذي يعد أكثر المعاجم الفرنسية – العربية انتشارا في العالم العربي نجد مثلا ما يلي :

«Tombeau sm.	رمس ، لحد ، ضريح ، قبر
Tombe sf.	ضريح
Fosse sf.	لحد ، ضريح
Mausolée sm.	ضريح ، قبر ضخم»(7)

فهنا نجد أن المعجمي يستخدم الكلمات : رمس ولحد وضريح وقبر ، وكأنها مترادفات كاملة الترادف ، أو كأن الكلمة الأجنبية (Tombeau) تعني تلك الكلمات العربية جميعا . وواقع الأمر لا هذا ولا ذاك . فاللغتان العربية والفرنسية تفرقان تفريقا واضحا بين الجدث والرمس والقبر والضريح . فالجدث هو الحفرة التي تحفر لوضع الميت فيها ، وعندما يوضع الميت فيها ويحثى عليها التراب وتتساوى مع الأرض تصبح (رمسا) ، وعندما ينصب عليها الشاهد تصبح (قبرا) وعندما يبنى حوله مسجد أو بناء كبير يكون (ضريحا)(*) . ولما كانت اللغة الفرنسية تتوفر على الفروق ذاتها تكون المقابلات على الوجه التالي :

fosse sf	trou creusé pour l'inhumation des morts	جدث
tombe sf	endroit où un mort est enterré	رمس
tombeau sm	monument élevé sur les restes d'un mort	قبر
mausolée sm	monument funéraire ayant les dimensions d'un bâtiment.(8)	ضريح

وبذلك يمكن أن نصف المعجم بالدقة لأنه يعطي كل كلمة أجنبية مقابلا واحدا يسهل على المترجم استعماله ، أما معاجمنا العربية الثنائية اللغة فغالبا ما تكدس أشباه المترادفات أمام اللفظ الواحد

(*) مع ملاحظة أن (قبر) لفظ عام، وأن الاستعمال القديم خصص كلمة (لحد) للشق في جانب الحفرة وكلمة (ضريح) للشق في وسط الحفرة، كما يدل لفظ (رمس) على التراب الذي يحثى على القبر كذلك.

والأمثلة على ذلك غزيرة :

2) خلط مفردات الحقل الدلالي الواحد : وهي، مشكلة ثانية ذات صلة بالمشكلة السالفة التي يعاني منها المعجم العربي الثنائي اللغة وتؤدي إلى زيادة نثر الأشواك في طريق المترجم العربي .

وتمتاز هذه الظاهرة – إضافة إلى تكديس أشباه المترادفات – بالخلط بين العام والخاص بحيث يستخدم لفظ عام مقابلا لعدد من المفردات الأجنبية المنضوية تحت حقل دلالي واحد . ولنعد إلى معجم المنهل ذاته للنظر في المفردات التالية مع مقابلاتها المنتمية إلى حقل دلالي واحد :

accord sm	***اتفاق*** ، وفاق ، تراض ، تفاهم . ميثاق ، معاهدة
charte sf	قانون ، دستور ، شرعة
compromis sm	تسوية ، صلك تراض ، **اتفاق التحكيم**
concordance sf	انسجام ، ***اتفاق*** ، توافق
concorde sm	ألفة ، ود ، وفاق
convention sf	***اتفاق*** ، مشارطة ، تعاقد
entente sf	***اتفاق***
pacte sm	ميثاق ، عهد ، ***اتفاق*** ، عقد
traité sf	(9)معاهدة ، ***اتفاق***

يتبين لنا أن المعجمي قد استخدم كلمة ***اتفاق*** كمقابل وحيد أو أحد المقابلات في جميع المفردات التي سردنا تقريبا . كما اختارها مقابلا رئيسيا لثلاث كلمات من الكلمات التسع . وهو بذلك مصيب ومخطئ في الوقت نفسه . وعلى أية حال فإجراؤه لا تقره مبادئ الصناعة المعجمية الحديثة ، فكلمة ***اتفاق*** لفظ ينضوي تحته كثير من الألفاظ الخاصة المنتمية إلى الأسرة الاشتقاقية ذاتها أو الحقل الدلالي نفسه . فكل (معاهدة) وكل (حلف) هي اتفاق ولكن ليس كل (اتفاق) هو (معاهدة) أو (حلف) . ولو رجعنا إلى أقسام الترجمة في منظومة الأمم المتحدة لوجدناها تستخدم المقابلات التالية بصورة تكاد تكون منتظمة :

accord	اتفاق
charte	ميثاق
compromis	توافق
concordance	انسجام
concorde	وئام
convention	اتفاقية
entente	وفاق
pacte	عهد
traité	معاهدة

ومعلوم أن الكلمة الفرنسية لا تترجم إلى اللغة العربية بمقابل ثابت دائما لا يتغير وإنما ينال معناه شيء من التحوير والتبديل طبقا للسياق الذي ترد فيه والاستعمالات الاصطلاحية للكلمة في لغة الأصل . ومن هنا يضطر المعجمي أن يورد المقابلات الأخرى . ويستطيع أن يفعل ذلك بطريقتين : الأولى بأن يضع المقابلات المحتملة بعد المقابل الأساسي للكلمة ، مثلا :

Pacte : عهد ، ميثاق ، عقد ، وعد ، دستور

والثانية أن يضع المقابل الأساسي فقط متبوعا بمقابلات الاستعمالات الاصطلاحية للكلمة ، مثلا :

Pacte	عهد
Pacte de préférence (Droit)	وعد بالتفضيل
Pacte fédéral (Suisse)	دستور سويسرا الاتحادي
Pacte de Varsovie	حلف وارشو
Pacte de la ligue des Etats arabes	ميثاق جامعة الدول العربية

وقد يجمع بين الطريقتين فيضع المقابل الأساسي متبوعا بالمقابلات المحتملة ثم يدرج الاستعمالات السياقية والاصطلاحية للكلمة مع مقابلاتها العربية .

إن المترجم العربي الدولي بحاجة إلى معجم

جيد دقيق يسهّل عمله ويوفّر عليه كثيرا من الجهد والعناء .

مشكلة ميكنة الترجمة :

إن معظم الشركات المتعددة الجنسيات تستخدم الحاسوب وسيلة مساعدة للترجمة ، ويملك بعضها بنوكا للمصطلحات مثل شركة سيمنز بألمانيا التي يضم بنك مصطلحاتها أكثر من أربعة ملايين مصطلح في تسع لغات . ودل مسح إحصائي أجري في أنجلترا عام 1986 على أن أكثر من 50% من المترجمين يستعينون بمعدات إلكترونية في عملهم ، كما أعرب كثير غيرهم عن أملهم في حيازة مثل تلك المعدات في القريب العاجل .

ولا تتجاوز نسبة المترجمين الذين يقدمون ترجماتهم بخط اليد 6،9% في فرنسا و 2،4% في الأراضي المنخفضة و 3،8% في بريطانيا، وجميع هؤلاء المترجمين تزيد أعمارهم على 35 عاما[10]

والمعدات الالكترونية التي يستعين بها المترجم الغربي تحقق له السرعة وتيسّر عمله ، وهي كثيرة منها الحاسوب الذي يستخدمه لمعالجة النصوص وقد يكون مزودا بمدقق التهجئة ومدقق القواعد ، أما الترجمة الآلية بواسطة الحاسوب فيمكنها ترجمته 300.000 كلمة في الساعة (ماعدا وقت الادخال والاخراج) ، ويستطيع المحرر المكلف بمراجعة الترجمة الآلية أن ينتج 6000 كلمة في اليوم . ولكن معظم المترجمين في البلاد العربية لم يحصلوا بعد على التجهيزات الالكترونية المساعدة التي تدخل ضمن ما يسمى اليوم بالصناعات اللغوية[11] .

دليل المترجم الدولي :

إذا كان المترجم الأدبي يكتفي بالمعجم الأحادي اللغة والمعجم الثنائي اللغة ومعجم المترادفات لاختيار ألفاظه وانتقاء عباراته ، فإن المترجم الدولي يحتاج إلى معلومات لا تتوفر عليها تلك المعاجم ، فهو يحتاج مثلا إلى مسميات الوزارات والمؤسسات والتقسيمات الادارية ، بل وحتى المصطلحات الحضارية التي تختلف مع الأسف من قطر عربي لآخر . فلو كان على المترجم مثلا أن يترجم رسالة موجهة إلى وزارات التربية في البلاد العربية فلا يكفي أنه يعرف معنى عبارة Ministère de l'éducation nationale إذ أن هذه الوزارة تختلف تسميتها من قطر عربي لآخر حتى في تلك الأقطار التي تبنت تلك التسمية الفرنسية ففي المغرب هي وزارة التربية الوطنية وفي تونس وزارة التربية القومية وفي موريطانيا وزارة التهذيب الوطني . كما أنه لا يكفي معرفته لمعنى (Ministry of Education) إذ أن هذه الوزارة تتباين تسميتها من دولة عربية لأخرى حتى في تلك الدول التي تبنت تلك التسمية الأنجليزية ففي مصر وزارة التعليم وفي السعودية وزارة المعارف وفي سوريا وزارة التربية وفي الأردن وزارة التربية والتعليم وهكذا . فالمترجم العربي إذن بحاجة إلى دليل يشتمل على تسميات تلك المؤسسات ليختار التسمية المناسبة لكل قطر .

والمترجم الدولي يحتاج كذلك إلى قائمة بمقابلات الأسماء المختصرة ، فجميع المنظمات الدولية واللجان المتفرعة عنها والصناديق المتشعبة منها تستخدم حروفا قليلة بدلا من أسمائها الطويلة مثل :

ISESCO : Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

والمترجم الدولي لا يمكن أن يحفظ تلك التسميات عن ظهر قلب لأنها تبلغ الآلاف ، وهي غير مدرجة في المعاجم ، ومن هنا أصبح المترجم

الدولي بحاجة إلى دليل يضم هذه المختصرات وما يقابلها سواء أكان هذا الدليل يدويا أو إلكترونيا .

ولفترة طويلة كانت المكتبة العربية تفتقد مثل هذا الدليل حتى استطاعت وحدة الترجمة العربية التي يرأسها السيد محمد الديداوي في منظمة التنمية الصناعية في فينا من إخراج هذا الدليل[12] .

الهوامش

(1) J.C. Santoyo, *El delito de traducir* (Léon : Universidad de Léon, 1985) 225 pp.

(2) Wendy Williams, «Those Criminals the translators» in *Language Monthly*, 29 (1986) 8.

(3) Fabrizio Megale, «Metodo di calcolo della produttività d'un traduttore» in *Language Monthly*, 21 (1985) 9 - 10

(4) Isabel Leonard, «How Many Words does a Translator Produce in a Day ? in *Language Monthly*, 21 (1985) 11.

(5) Margaret Grindod, «Portrait of a Profession», in *Language Monthly*, 29 (1986) 9 - 10

(6) البرنامج الدراسي لمدرسة الملك فهد العليا للترجمة — طنجة، 1989

(7) الدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل ادريس، *المنهل* (بيروت : دار العلم للملايين الطبعة التاسعة 1986).

(8) التعاريف الفرنسية مأخوذة من معجم لاروس للتدليل على أن اللغة الفرنسية تفرق بين معاني الكلمات الأربع
Petit Larousse Illustré (Paris : Librairie Larousse, 1983)

(9) معجم *المنهل*، مصدر سابق

(10) «Translators going electronic», in *Language Monthly*, 29 (1986) 7.

(11) Pierre Auger, «Les métiers langagiers et les industries de la langue : Presentation». *L'actualité terminologique*, Vol. 22 no. 3 (1989) 1 - 2

(12) منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، دليل المترجم (فينا : اليونيدو، 1986).

الخلاصة :

لقد استعرضت في الصفحات القليلة التي مرت بعض الصعوبات والمشكلات التي تؤثر في قدرة المترجم العربي الدولي الانتاجية ودقته وسير عمله بشكل عام ، وأهم هذه المشكلات عدم صلاحية الاعداد والتدريب المتوفران له ، وحجم العمل الملقى على عاتقه ، وقلة الوسائل الالكترونية الموضوعة تحت تصرفه ، وسوء المعاجم العربية الثنائية اللغة التي يستخدمها وعدم توفر الأدلة المتخصصة للمترجمين ، كما اقترحت بعض الحلول لها .

الأسلوب

دراسة لغوية إحصائية

د . مازن الوعر
جامعة دمشق

مدخل

(الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية) هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني العربي الدكتور سعد مصلوح[1] ونشرته دار الفكر العربي بمصر عام 1984 .

يطرح الكتاب منهجا حديثا في الأسلوبيات يمكن أن يعتبر بديلا لسانيا للنقد الأدبي المعروف . وهذا ما يجعل المؤلف يوضح الأسباب التي دعت لصياغة مثل هذا المنهج الأسلوبي فيدرس ماهية الأسلوب القديم والحديث ويبين الحاجة الماسة إلى تطبيق المعايير العلمية الدقيقة على دراسة الأنواع الأدبية ولا سيما استخدام علم الاحصاء .

وبعد أن يصوغ المؤلف المنهج الأسلوبي الحديث يحاول تطبيقه على بعض النماذج النثرية المعاصرة سواء أكان ذلك في المسرح أم في الرواية .

تطمح الدراسة الحالية إلى إعطاء فكرة واضحة ومكثفة لهذا المنهج الأسلوبي الجديد وتبيان كيفية تطبيقه على الأنواع الأدبية النثرية ... ثم تبيان الجوانب الايجابية والجوانب السلبية التي يتسم بها هذا المنهج .

1 . الحاجة إلى منهج

(1) يميز المؤلف هنا بين تذوق الأدب وبين دراسته دراسة علمية موضوعية . فالقارىء المتمرس يميز في صبر وحذق بين مختلف الأساليب . وهذا التمييز التلقائي سلاحه «الحدس» و «الذوق» وكلاهما لا يكون من فراغ ، ولكنه محصلة خبرات طويلة .

وليس بنادر أن تجد مثل هذا القارىء ينفر من أسلوب ما ، لأنه يتسم في رأيه بالجفاف أو الرتابة أو الصعوبة والتعقيد وينعطف إلى أسلوب آخر ، لأنه يتصف في ميزانه بالثراء والتنوع أو اليسر والتشويق أما دارس الأدب فلا ينبغي له أن يكون مجرد قارىء متذوق لا يختلف عن سائر القراء إلا في الدرجة . بل إن عليه أن يتمتع بازدواجية تمكنه من أن يكون حين يشاء قارئا متذوقا ، وحين يشاء دارسا محللا . والحقيقة إن الفرق بين الموقفين هو الفارق ما بين ذاتية المتلقي وموضوعية الباحث .

(2) يعتقد المؤلف أن الأدب فن ولكن دراسة الأدب ينبغي أن يكون علما منضبطا . والعلم المنضبط يحتاج إلى أن تكون له فلسفة وموضوع

ومنهج يشتمل على معايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط . ومن ثم لابد لدراسة الأدب من استيفاء هذه الشروط لكي تكون جديرة بأن تحتل مكانها بين العلوم . ولكن المذاهب النقدية خضعت في نشأتها وتطورها لتأثيرات الاتجاهات والمدارس الفلسفية المختلفة ومن ثم حملت معها عيوب الفلسفة ومزاياها . ومن أخص هذه العيوب الاتفاق على عدم الاتفاق . والذي نلاحظه دائما أن دائرة الخلاف كثيرا ما تتسع كلما بعدنا عن «النص الأدبي» وخضنا بالحديث في بيئة النص وعصره وحياة مؤلفه على ما هو سائد في النقد التاريخي . أما حين يكون النص هو محور الاهتمام . وموضوع الدراسة فإن حديثنا يصبح أكثر التزاما بموضوعية العلم .

(3) المذهب الشكلي في النقد – حسب رأي المؤلف – يكاد يكون أقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم . فقد استمد هذا المذهب فلسفته النظرية من الوضعية المنطقية وعبر عن نفسه أوضح تعبير في مؤلفات الناقد الشهير ايفور ريتشاردز . ولما كان فلاسفة الوضعية المنطقية يعتبرون اللغة كلها رمزا وجعلوا الدراسة الرمز اللغوي علما خاصا أطلقوا عليه مصطلح «السيميولوجيا» أو «السيميائيات» لذلك انعكس هذا كله في دراسة النقاد الشكليين فبرزت فيها أهمية التحليل اللغوي الذي قام على أساس من التمييز الواضح بين لغة العلم ولغة الأدب .

فهم لم يستعينوا بسيرة الشاعر ولا اعتمدوا على التاريخ ، ولا استندوا إلى علم الاجتماع وعلم النفس التحليلي في فهم العمل الأدبي وتقويمه . لقد عزفوا عن الدراسة التاريخية التي كانت تدور حول النص ، وانكبوا على النص ذاته .

وهكذا فإن المذهب الشكلي في النقد كان من أهم الاتجاهات التي نبهت إلى دراسة لغة النص ، ومهدت بذلك لاثارة اهتمام علماء اللغة الخلص بقضية الأسلوب وإقامة الجسور ما بين علم اللغة ودراسة الأدب .

(4) وهكذا فإن المؤلف يدعو إلى ضرورة العمل على إرساء منهج لساني في نقد الأدب العربي يكون فيه النص أولا وقبل كل شيء موضوع الدراسة ويكون منهج الدراسة فيه لسانيا بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح .

لقد نشأت الدراسات اللسانية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها تحت تأثير فكرة أساسية هي البنيوية . واستطاعت هذه الدراسات اللسانية – على اختلاف اتجاهاتها – أن تطور من أدواتها وأن تولي جانبا من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي باعتباره نمطا متميزا من أنماط الاستعمال اللغوي وأن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار «نحو الجملة» – وهو النحو الذي يعتبر الجملة أكبر وحدة في التحليل اللغوي – إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل اصطلح على تسميته «نحو النص» وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل .

وفي رأي المؤلف ، ما تزال دراسة الأدب العربي بعيدة كل البعد عن الافادة من إنجازات الدرس اللغوي المعاصر في هذه السبيل . وهو أمر لا يثير دهشة ، إذ أن المدرس اللساني المعاصر نفسه ما يزال محدود التأثير على دراسة العربية .

(5) يتحدث المؤلف بعد ذلك عن الثمرات التي يمكن أن نجنيها باستخدامنا هذه المناهج اللسانية الحديثة في وصف النص الأدبي .

أول ثمرة هي الوقوف في وجه طوفان المصطلحات الذي تهدر به الدراسات الأدبية المتداولة ، إذ إنه من المستحيل إخفاء الصفة العلمية على أي دراسة لا تستعمل مصطلحات محددة المدلول .

ويتساءل المؤلف هنا هل يزيد القارىء العربي معرفة بزيد أو عمرو من الكتاب أو الشعراء أن يُقال له : إنه جزل الألفاظ ، متين السبك ، سلس الأفكار : عذب الموسيقى ، محلق الخيال ، قوي العاطفة ، أو أن يقال له – على عكس ذلك – أن أسلوبه يمتاز بالركاكة والضعف والجفاف وخمود العاطفة . ؟

إن شيوع هذه الألقاب في كتب التراث لا تسوغ للمعاصرين استعمالها دون تحديد ، فلا شك أن دلالاتها عند علماء السلف كانت واضحة . وحسب رأي المؤلف ، ليس من التجاوز أن نقول : إن غالبية الأحكام النقدية التي تنتشر في مؤلفات طه حسين هي من هذا القبيل .

وليست هذه الدراسات عند جمهرة من نقادنا المتأثرين بالثقافات الأجنبية بأوفر حظا من الدقة في هذا المضمار . ذلك أن أكثر هذه الدراسات تفر من مواجهة مشكلات البنية اللغوية في النصوص لتناقش مضامين مجردة عن أزمة الانسان المعاصر ، وقضايا العبث والغثيان والقلق والمخاض ، حتى إذا رجع إلى معالجة لغة النصوص وجدناه يستخدم التعبيرات الذاتية المرنة التي لا ترقى إلى أن تكون مصطلحات علمية ، أو يقع قريبا منها :

هذه المناقشة تقود المؤلف لأن يطرح السؤال التالي : ترى هل نعني بذلك أن «الأسلوبيات» هي البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟ والجواب حسب رأيه أن ذلك قد يكون وقد لا يكون فهو من مسائل الخلاف . لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل . والأسلوبيات هي المرجوة لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن . وهكذا فإن الأسلوبيات ليست النقد كل النقد بل هي أساس لابد منه لتقويم العمل الأدبي تقويما موضوعيا .

(6) الواقع هناك معايير موضوعية كثيرة لتحليل النص الأدبي .. ولكن المؤلف يخص كتابه كله لنوع واحد من هذه المعايير الموضوعية هو القياس الكمي أو التحليل الاحصائي للنصوص الأدبية . أي أن النص الأدبي يمتاز عادة باستخدام سمات لغوية معينة من بينها :

1 . استخدام وحدات معجمية معينة .
2 . الزيادة أو النقص النسبيان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من الكلمات (صفات ، أفعال ، ظروف ... إلخ)
3 . طول الكلمات المستخدمة أو قصرها .
4 . طول الجمل .
5 . نوع الجمل .
6 . إيثار تراكيب أو مجازات معينة .

فهذه السمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من التكرار وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالته تصبح خواص أسلوبية تظهر في النصوص بنسب (Ratios) وكثافة (Density) وتوزيعات (Distributions) مختلفة .

يطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح «الأسلوبيات الاحصائية» وهي إحدى مجالات الدراسة اللسانية الأسلوبية المعاصرة .

2 . ماهية الأسلوب

(1) يبحث المؤلف هنا في المادة اللغوية المدروسة ليبين كيف يمكن أن تتلون وتتسم بطرائق مختلفة من أجل التعبير ... تلك الطرائق المختلفة المسماة بـ «الأساليب» .

إن العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشىء إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية

المشتركة بينهما . ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة المشتركة . ولكن كيف يتميز هذا المنشيء أو ذاك بأسلوبه الخاص في استعمال اللغة؟

(2) يرى بعض الباحثين أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الامكانات المتاحة للتعبير ومن ثم فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه *«اختيار»* أو *«انتقاء»* يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين .

ويكون الأسلوب عند هؤلاء الباحثين اختيار لا يعني أن كل اختيار يقوم به المنشيء لابد أن يكون أسلوبيا ، إذ علينا أن نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار :

ا - اختيار محكوم بالموقف أو المقام (context of situation) وهذا الانتقاء هو انتقاء نفعي ربما يؤثر فيه المنشيء كلمة أو عبارة على أخرى لأنها أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة أو لأنه يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معينة .

ب - اختيار محكوم بمقتضيات التعبير الخالصة . وهذا الانتقاء هو انتقاء نحوي . والمقصود بالنحو في هذا المصطلح قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة . ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشيء كلمة على كلمة أو تركيبا على تركيب لأنها أصح عربية أو أدق في توصيل ما يريد . ويدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف .

ويتحدد الشكل النهائي للنص بهذين النوعين من الاختيار ، أعني الاختيار النفعي والاختيار النحوي . والقول بأن الأسلوب اختيار ربما كان موافقا لما هو معلوم بالضرورة عن عملية الابداع ، واشتمالها بحكم طبيعتها على سلسلة من الاختيارات .

(3) وقد أولى فريق آخر من رواد الدراسة الأسلوبية اهتماما أكبر إلى ما يتولد عن الرسالة (أو النص) من ردود فعل لدى المتلقي ، ومن ثم أقام تعريفه للأسلوب على إبراز هذه الخاصية فيه . ويرى ميشيل ريفاتير أحد أعلام هذا الاتجاه - أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارىء بواسطة «إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، وحمل القارىء على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها تشوه النص» .

ويرى المؤلف هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ، ووصلت ذروة نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» .

(4) وثمة رؤية أخرى للأسلوب ترى فيه مفارقة أو انحرافا عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري .

إن سوغ المقارنة بين النص المفارق والنص النمط هو تماثل السياق في كل منهما .

إن أداة التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذا الرأي هي المقارنة بين الخصائص والسمات اللغوية في النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النص المفارق .

(5) والأسلوب - من وجهة نظر رابعة - ليس اختيارا ، ولا قوة ضاغطة ينبغي البحث عنها في ردود فعل المتلقي ، ولا انحرافا عن نمط معياري .

وإنما الأولى أن يعتبر إضافة.. وتفترض هذه النظرة ابتداء وجود تعبير محايد لا يتسم بأي سمة أسلوبية محددة يمكن أن يسمى بالتعبير غير المتأسلب أوتعبير ما قبل التأسلب ، ثم تكون السمات الأسلوبية إضافة إلى هذا التعبير المحايد لكي تنحو به منحى خاصا موافقا للعبارة عن سياق بعينه .

وتقتضي مهمة الباحث عند أصحاب هذا المفهوم القيام بعملية تجريد أو تعرية للعبارة المتأسلبة بغية الوصول إلى الجوهر المجرد قبل أن تكسوه هذه السمات الأسلوبية المعينة .

(6) أما وجهة النظر الخامسة فتميل إلى القول بأن الأسلوب تضمين (connotation) . وهذا يعني أن كل سمة لغوية تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة ، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف . وهذه القيمة قابلة للتغير بتغير البيئة التي توجد فيها والموقف الذي تعبر عنه .

(7) ويمكن رد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادىء ثلاثة :

أولها : أن من ركز من الدارسين على العلاقة بين المنشىء والنص راح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المنشىء . وانعكاس ذلك في اختياراته حال ممارسته للابداع الفني . وبذلك رأى أن الأسلوب اختيار .

ثانيها : أن من اهتم منهم بالعلاقة بين النص والمتلقي التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارىء أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص .

ثالثها : أن أنصار الموضوعية في البحث أصروا على عزل كلا طرفي عملية الاتصال وهما المنشىء والمتلقي ، ورأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفا لغويا .

وقد اختلف هؤلاء في الزاوية التي يتم الانطلاق منها إلى وصف النص على النحو الذي سبق بيانه ، فمنهم من قال بأنه انحراف عن نمط ومنهم من رأى بأنه إضافات إلى تعبير محايد ومنهم من رأى أنه خواص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع البيئة والسياق .

والحق أن هذه المناهج الموضوعية الثلاثة كما يقول اينكيفت إنما هي مناهج متكاملة أكثر من كونها بدائل .

(8) يتضح مما سبق أن الخلاف النظري هنا حول تعريف الأسلوب ليس من قبيل الخطأ والصواب : إن أي تعريف من التعريفات السابقة قابل لأن يكون أساسا للبحث وأن الطرز النحوية جميعها ــ بما في ذلك الطراز التقليدي ــ قابلة من حيث المبدأ لأن تشكل أساسا منهجيا للبحث الأسلوبي . فالجرجاني استطاع أن يصل إلى نظريته الأسلوبية التي عرفت بنظرية النظم من خلال استخدامه النحو العربي التقليدي أساسا لتمييز الأساليب .

وقد اتفقت المدرسة البنيوية والمدرسة التوليدية التحويلية على ظاهرة واحدة هي إعراضهما في أول الأمر عن تبني دراسة الأسلوب . ومرد ذلك إلى اهتمامها بالجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية . ولما كانت دراسة الأسلوب لا تكتفي بتحليل الجملة بل تتجاوزها إلى تحليل النص باعتباره هو في ذاته أكبر وحدة للتحليل وليس باعتباره مجرد سلسلة متتابعة من الجمل ، لذا فقد أحجم اللغويون في بادىء الأمر عن دراسة الأسلوب .

ولكن حيوية المشكلة الأسلوبية وطرافتها ، وصلتها الوثيقة باللغة كظاهرة وبدراستها كعلم

ما لبث أن اجتذبت اهتمام اللغويين من سلوكيين وتحويليين ، وظهرت ثمرة هذا الاهتمام عند تلامذة بلومفيلد من أمثال بلوخ وزيليغ هاريس وكينيث بايك . كما أعطت بعض الفرضيات عند التحويليين مثل فرضية القدرة اللغوية (Competence) والأداء (performance) وفرضية البنية الظاهرة والبنية الباطنة وفرضية الجملة النواة والجملة المحولة وفرضية القاعدة الجبرية (الملزمة) والقاعدة الاحتمالية وغيرها مجموعة التصورات المنهجية التي أعانت على تمييز الفروق بين الأساليب بطريقة علمية وموضوعية .

3 . الاحصاء ودراسة الأسلوب

(1) البعد الاحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب ، وتمييز الفروق بينها .

وترجع أهمية الاحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية وبين السمات التي ترد في النص ورودا عشوائيا . وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جديرا بأن يعد خاصة أسلوبية هامة ، بل لابد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق .

لقد مر استخدام الاحصاء في دراسة اللغة بمرحلتين ، ساد في أولاهما اتجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) في الاستعمال . أما في المرحلة الثانية فقد ساد اتجاه مقابل هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة (أو المميزة) بين الأساليب والحق أن الاتجاهين يتكاملان في دراسة الأسلوب لا يتسغنى بأحدهما عن الآخر .

(2) ومن الأسئلة المطروحة في مجال الأسلوب ودراسته سؤال عن مدى ارتباط المصطلح «أسلوب» بالمصطلح «أدب» . أو بعبارة أخرى : هل الأسلوب صفة مميزة للغة الأدب فحسب أو للغة الأدب والعلم إذا شئنا شيئا من التوسع؟ أم أن جميع أنواع الاستعمال اللغوي على اختلافها قابلة لأن تصنف باعتبارها أساليب ؟ .

هنا تبرز – على حد رأي المؤلف – إحدى ثمرات الارتباط بين دراسة الأسلوب واللسانيات حيث يتخذ منظور الأسلوب آفاقا أكثر رحابة توسع من محدودية النظرة القديمة . إن كثيرا من الدراسات الأسلوبية وإن كانت تولي عناية كبرى للغة الأدب — ترى أن الأسلوبية صفة يمكن إسباغها على أي نص من نصوص اللغة .

وبهذا المفهوم توجد وجوه شبه قوية بين الأساليب واللهجات ولا سيما اللهجات الاجتماعية حتى ليمكن القول بأن الأساليب إنما هي أنواع خاصة من اللهجات الاجتماعية . وينشأ عن ذلك أن مفهوم الأسلوبيات يمكن أن يكون أشمل من أن يقتصر على دراسة لغة الأدب .

وينبغي أن يكون واضحا أننا إزاء هذا النوع من الأساليب الجماعية لا نهتم بالفروق الفردية بين الأساليب وإنما نهتم بما يميز الأسلوب الأدبي من الأسلوب العلمي أو من الأسلوب الرسمي والأسلوب المستخدم في العبادات والشعائر الدينية ، وذلك بنفس الطريقة التي نميز بها بين اللهجات المهنية ولهجات المثقفين ولهجات اللصوص والخارجين على القانون .

إن هذه الانتماءات يصنفها المشتغلون باللسانيات الاجتماعية إلى صنفين رئيسين : أولهما الانتماء المتجانس أو المتوحد وثانيهما الانتماء المتعارض أو المتعدد .

وقد نجحت الجغرافية اللغوية – وهو العلم الذي يدرس اختلاف اللهجات في المكان – نجاحا

ملحوظا في رسم الحدود بين اللهجات وذلك بابتكار فكرة خط التوزيع (Isograph) وهو الخط الذي يفصل بين منطقتين متباينتين في نطق ما . وشجع هذا النجاح على استخدام فكرة خطوط التوزيع في تمييز الحدود اللهجية بين اللهجات الاجتماعية في منطقة واحدة ، وكذلك في تحديد الأساليب .

وتتنوع خطوط التوزيع إلى خطوط التوزيع المعجمي (isolexics) وخطوط التوزيع الصوتي (isophonics) وخطوط التوزيع الصرفي (isomorphics) وخطوط التوزيع النغمي (isotonics) وخطوط التوزيع النحوي (isogrammatics) .
وبعد رصد العلاقات المختلفة بين الاستعمالات اللغوية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية يتم رسم خطوط التوزيع الخاصة بكل مستوى .

(3) ويقود هذا المؤلف لأن يحدد العلاقة بين ما هو أسلوبي وما هو إحصائي عند دراسة أساليب الأعمال الأدبية . وحسب رأيه فإن الدراسة الأسلوبية تستعين بالاحصاء في المجالات الآتية :

أولا : المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراسته .

ثانيا : قياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية في عمل معين أو عند كاتب معين . فإذا أردنا على سبيل المثال قياس كثافة الجمل الاسمية (أو الفعلية) في نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرار الجمل الاسمية (أو الفعلية) في النص ثم نقسمها على طول النص (مقدرا بعدد الجمل الأخرى) وبذلك يمكننا تحديد كثافة الجمل الاسمية .

ثالثا : قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما . ويتم حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصة الأولى وعدد مرات تكرار الخاصة الثانية في نص من النصوص وقسمة حاصل جمع تكرار إحداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى .

ويمكن بهذه الطريقة حساب نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية أو نسبة الأفعال إلى الصفات ، أو نسبة الجمل الطويلة إلى القصيرة .

رابعا : قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة . إن التوزيع الاحتمالي كما يراه المؤلف يصف الاحتمال (أو التوقع) الذي تتكرر به ظاهرة ما في مجموعة من العينات .

خامسا : يخدم الاحصاء أيضا في التعرف إلى النزعات المركزية في النصوص . وبيان ذلك أن تميز نص باستخدام جمل طويلة مثلا لا يعني انعدام الجمل القصيرة في ذلك النص . بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبة إلى استخدام الجمل الطويلة مع وجود إمكان محتمل لورود الجمل القصيرة .

(4) وطبقا لرأي المؤلف فإن هذه الاستخدامات المتنوعة لعلم الاحصاء تفيدنا في دراسة ومعالجة عدد كبير من قضاياه . إنها - بالاضافة إلى المعايير الموضوعية الأخرى - تسهم في تمييز الأساليب وتشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب وهي ما يسمى بالدراسة السنكرونية كما أن استخدامها في تمييز التطور التاريخي للأساليب ليس بأقل جدوى ويسمى هذا النوع من الدراسة بالدراسة الدياكرونية .

(5) وتمتد الافادة من الاحصاء إلى منطقة تتصل اتصالا وثيقا بنقد الأدب ، وتغطي دائرة واسعة من المسائل النقدية مثل لغة الأدب ونقد الأسلوب بتمييز خصائصه كالتنوع أو الرتابة والسهولة أو الصعوبة والطرافة أو الاملال . ذلك لأن هذه الأحكام الذاتية التي يصدرها القراء وطائفة من النقاد الذين يحتكمون إلى أذواقهم المدربة ترتبط

بوجود منبهات هي في معظم الأحيان سمات لغوية معينة ترد في النصوص بتكرار معين ونسب وكثافات وتوزيعات معينة .

(6)هناك ميدان هام حقق فيه القياس الكمي نتائج طيبة ، ونعني به ميدان ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف أو المشكوك في نسبتها إلى مؤلفين بأعيانهم . وتشتد الحاجة إلى الاستعانة بالمنهج الاحصائي عندما تنعدم الشواهد التاريخية أو الوثائقية النصية التي يمكن الاعتماد عليها لترجيح قول على قول .

(7) ولا تنحصر أهمية القياس الكمي للأسلوب في مجالات الدراسة الأدبية عامة ، ونقد الأدب خاصة بل تتجاوزها إلى دائرة واسعة من العلوم الانسانية التي تهتم بعملية الاتصال اللغوي . ويأتي علم النفس اللغوي أو اللسانيات النفسية في مقدمة هذه العلوم ، حيث تستخدم هذه القياسات كمؤشرات هامة في التعرف إلى القدرات ودراسة كثير من الجوانب المتصلة بالشخصية والأسس النفسية للابداع القولي .

4 . قضايا أساسية في دراسة لغة الأدب

يعرض المؤلف هنا للاستفادات التي يمكننا أن نجنيها أن من الأسلوبيات عندما نطبقها على دراسة لغة الأدب بأنواعه المختلفة .

(1) أولى هذه الاستفادات حل الاشكال بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي . ويعرض بهذا الشأن لكتاب الأسلوب لأحمد الشايب الذي ميز بين الأسلوبين العلمي والأدبي بما يلي :

فالشايب يعتمد أولا على تقرير العقل الرزين مصدرا ، وعلى الافادة وخدمة المعرفة غاية الأسلوب العلمي . كما يعتمد على تقرير الانفعال (أو العاطفة) مصدرا ، وعلى الاثارة إلى جانب الافادة غاية الأسلوب الأدبي .

والشايب يضفي ثانيا على العبارة في الأسلوب العلمي صفة الدقة والتحديد والاستقصاء والسهولة والوضوح . على حين يصف العبارة في الأسلوب الأدبي بأنها تعرض الحقائق رائعة جميلة ، وأنها تمتاز بالجزالة والقوة والكلمات الموسيقية .

ويرى المؤلف أن جل ما ذكره صاحب كتاب الأسلوب ربما كان صادقا تمام الصدق من زاوية حساسية القارىء المثقف المتمرس تجاه النصوص ، ولكن جميع التصورات والمصطلحات المستخدمة عصية جدا على التقنين العلمي ، فكل أولئك مفاهيم نسبية مرنة إلى حد كبير . وأنى لنا – حسب رأي المؤلف – أن نميز على وجه الدقة مقدار السهولة أو الوضوح أو الجزالة أو القوة وغير ذلك من المصطلحات ما لم نستند في التحديد إلى معايير موضوعية تتخذ أساسا للحكم .

وحين لاحظ الباحثون وجود درجات متفاوتة من الأسلوب تتدرج ما بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي ظهرت فكرة تعترف بوجود قسم ثالث شاعت تسميته بالأسلوب العلمي المتأدب .

(2) ثاني هذه الاستفادات هو التمييز بين لغة الشعر ولغة النثر وذلك التمييز الذي هو أيسر على القارىء والباحث . وهذا حق إذا قبلنا معيار الشكل وهو الوزن والقافية أساسا للتمييز على حد تعريف قدامة بن جعفر .

ولكن وجود خصائص شعرية على درجات متفاوتة في بعض النثر وغياب هذه الخصائص الشعرية في بعض ما هو موزون مقفى دفعت بعض المنشئين العرب إلى أن يستحدثوا تحت تأثير الآداب الأوربية ما سمي بقصيدة النثر أو الشعر المنثور .

وينشأ عن هذه المناقشة على حد رأي المؤلف أننا إذا نحينا الاطار الشكلي من الوزن والقافية جانبا — وجدنا أنفسنا أمام مشكلة حقيقية حين نريد أن نميز لغة الشعر من لغة النثر . وهذه مسألة أخرى تضاف إلى مسألة التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب . ولا شك — حسب رأي المؤلف — أن أفضل حل لهاتين المسألتين لا يتأتى إلا بمحاولة تحليل لغة النصوص كما أسلفنا .

(3) هناك مسألة ثالثة يمكن أن يلتمس حلها في تحليل لغة النصوص من الوجهة الأسلوبية وهي تنوع الأساليب بتنوع الأجناس الأدبية . ولعل من أهم الأفكار المستنيرة التي سبق إليها صاحب كتاب «الأسلوب» دعوته إلى اعتبار دراسة الأسلوب بديلا للبلاغة القديمة وإلى أن تشتمل هذه الدراسة فيما تشتمل على دراسة ما تتميز به فنون الأدب المختلفة كالمقالة والمقامة والخطبة والجدل والمناظرة وغيرها .

والسؤالان الواردان هنا هما : هل يتميز كل جنس من أجناس الأدب بسمات أسلوبية مميزة ؟ وهل تتنوع السمات الأسلوبية داخل العمل الأدبي الواحد تبعا لاختلاف المؤثرات التي تكيف البنية اللغوية والفنية للنصوص ؟ .

(4) من الطبيعي أن يكون لعلاج «لغة الأدب» منظوران : أحدهما «لغوي» والآخر «أدبي» وأن نتوقع من اللغويين والنقاد عملا دائبا نشطا في محاولة تشخيصها . ويبرز النقد الشكلي كواحد من أهم الاتجاهات النقدية التي أولت عنايتها لتحليل لغة العمل الأدبي ، وهذا ما عبر عنه الناقد الانكليزي أيفور رتيشاردز بنصه الشهير في كتابه «مبادىء النقد الأدبي» تحت عنوان «الوظيفة المزدوجة للغة : الوظيفة العلمية والوظيفة الانفعالية» .

وبالرغم من دعوى رتيشاردز أن التمييز بين الاستعمالين بسيط لم تحض أفكاره هذه بلا معارضة حتى بين النقاد أنفسهم ، وكان من بين معارضيه الناقد ج . رانسوم والناقدة إيزابيل هانجرلاند .

وقد أدى الجدل النقدي حول التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب إلى تزايد اهتمام اللغويين بها وحفزهم على إنضاج مفاهيمهم وتصوراتهم المنهجية وتحسين وسائل الدراسة . وبذلك محاولة هامة للانتقال من دراسة قواعد تركيب الجملة إلى قواعد تركيب النص (أو الخطاب) .

5 . معادلة بوزيمان

(1) يحاول المؤلف هنا تقديم بديل موضوعي يمكن على أساسه تمييز الأساليب وحل القضايا التي أسلف الحديث عنها . وهي :

ا . تمييز لغة الأدب من لغة العلم .
ب . تمييز لغة الشعر من لغة النثر .
ج . تمييز اللغات المستخدمة في الأجناس الأدبية .

تعرف المعادلة التي تستخدم لقياس هذه الخصائص وتشخيص لغة الأدب تشخيصا كميا باسم معادلة بوزيمان نسبة إلى العالم الألماني أ . بوزيمان .

وخلاصة الفرض الذي وضعه أن من الممكن تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير : أولهما التعبير بالحدث أي الكلمات التي تعبر عن حدث أو فعل . وثانيهما التعبير بالوصف أي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما .

ويتم حساب هذه النسبة — بإحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول وعدد كلمات النوع الثاني ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية . ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد وتنقص تبعا لزيادة ونقص عدد كلمات

المجموعة الأولى على المجموعة الثانية ، وتستخدم هذه القيمة باعتبارها دالا على أدبية الأسلوب فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي ، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي .
وانتهت بحوث بوزيمان إلى ملاحظة أخرى حول العلاقة بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة تتلخص في القول بأن اللغة المنطوقة تمتاز بزيادة النسبة المذكورة على حين تمتاز اللغة المكتوبة بانخفاضها .

وبما أن معدل السرعة في الكتابة أكثر بطئا منه في النطق — لذا فإن الفواصل الزمنية بين تدوين الكلمات تؤدي إلى إتقان عملية تجسيد الأفكار وتحديدها ويؤدي هذا بدوره إلى مزيد من استخدام الصفات على حساب استخدام الأفعال .

وبالرغم من ملاحظة بوزيمان زيادة نسبة الأفعال (الحدث) في الأسلوب الأدبي عنها في الأسلوب العلمي ، وفي الكلام المنطوق عنها في الكلام المكتوب نجده يقرر في دراساته الأولى أن هذه النسبة ثابتة في أسلوب ألفرد . بيد أنه عدل في دراساته اللاحقة من دعواه الأولى .
وواضح من عرضنا للفرض الذي وضعه بوزيمان والمعادلة التي اقترحها أن نظرية بوزيمان قد تشكلت ملامحها في إطار البحوث السيكولوجية التي تهتم بدراسة الشخصية أو على وجه الدقة في إطار اللسانيات النفسية . وقد أسفر تطبيق المعادلة عن إمكانات كبيرة لقياس درجة الاستقرار العاطفي عند الأفراد وخاصة في بحوث علم نفس الطفل ، كما اكتشف أيضا وجود ارتباط مرتفع بين زيادة هذه النسبة واتصاف الشخصية بخصائص معينة مثل الحركية والعاطفية وانخفاض درجة الموضوعية والعقلانية وعدم توخي الدقة في التعبير .

(2) على الرغم من صحة هذه الفرضية إلا أن الباحثين قد لاحظوا غموض المصطلحين اللذين استخدمهما في صياغة معادلته وهما : الحدث والوصف . ورأوا أن تطبيقهما على النصوص اللغوية يوقع في الكثير من الحيرة والارتباك وأن تحديد انتماء الكلمات إلى أي من هذين النوعين يتم أحيانا بقدر غير قليل من التخمين مما يؤثر على انضباط المقياس وموضوعيته .

وإذا كانت هذه الملاحظة صائبة بالنسبة للغة الألمانية فإنها صادقة إلى حد كبير على اللغة العربية ، فنحن نعلم أن اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل ، كل أولئك وصف يعمل عمل الفعل ومن ثم فإن تحديد انتماء أيها إلى كلمات الحدث أو كلمات الوصف يبدو مشكلة ليست يسيرة الحل .

وإحساسا بضرورة استعمال مصطلح واضح المفهوم يمكن التعرف على ما طوره عالم النفس الألماني نويباور والباحثة انسبروك لتبسيط المعادلة وتدقيق صياغتها وذلك باستخدام عدد الأفعال بدلا من قضايا الحدث ، واستخدام عدد الصفات بدلا من قضايا الوصف وبذلك اتخذت المعادلة الشكل الآتي :

$$\text{نسبة الفعل إلى الصفة} = \frac{\text{عدد الأفعال}}{\text{عددالصفات}}$$

(3) وزيادة في تدقيق المقياس جرى تحديد المصطلحين «فعل» و «صفة» في الدراسات التي أجريت علي الانكليزية والألمانية . وقد شملت فصيلة الأفعال جميع الأفعال باستثناء الأفعال المساعدة . وأما «الصفات» فقد شملت جميع الكلمات الواقعة صفة في التعبير صفة + موصوف بما في ذلك الأسماء الجامدة إذا استخدمت كصفات .

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نستثني من الاحصاء الأنواع الآتية :
ا . الأفعال الناقصة .

ب . الأفعال الجامدة .
ج . أفعال الشروع والمقاربة .

أما بالنسبة لعدد الصفات فقد أخرج المؤلف منها الجملة التي تقع في النحو التقليدي صفة . وفيما عدا ذلك فقد شمل الاحصاء جميع الأنواع الأخرى من الصفات بما في ذلك الجامد المؤول بالمشتق كالمصدر الواقع صفة والاسم الموصول بعد المعرفة . والمنسوب ، واسم الاشارة الواقع بعد معرفة .

(4) يتناول المؤلف هنا أثر صياغة العمل الأدبي على نسبة الفعل إلى الصفة (ن ف ص) ليخرج بالمقولات التالية :

ا . الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب .
ب . نصوص اللهجات تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النصوص الفصحى .
ج . النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر .

وحسب رأي المؤلف تختلف (ن ف ص) ارتفاعا وانخفاضا باختلاف فنون القول في الشعر والنثر على النحو التالي :

ا . تمتاز الأعمال الأدبية (القصة والقصيدة والرواية والمسرحية) بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الأعمال العلمية .
ب . يمتاز النثر الأدبي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر الصحفي .
ج . ترتفع (ن ف ص) في قصص الجنّيات وتتناقص في الحكايات الشعبية .
د . يمتاز الشعر الغنائي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل الشعر الموضوعي (المسرحي مثلا) .

ومن أهم مؤثرات الصياغة طريقة العرض . وقد استظهر أنتوش من دراسته لبعض الأعمال الروائية في الألمانية أربعة أنواع من طرق العرض هي :

ا . الحوار الطبيعي .
ب . المونولوج .
ج . الكتابة السردية والوصفية خالصة .
د . الأحاديث المتناثرة في الأجزاء السردية من النص .

وقد دلت المؤشرات الاحصائية في بحث أنتوش على مايلي :

أولا : أن نسبة (ن ف ص) في السرد والوصف أقل منها في المونولوج وفي المونولوج أقل منها في الحوار .

ثانيا : أن نسبة (ن ف ص) مع السرد تكون أعلى إذا كان السرد من وجهة نظر شخصية منها إذا كان السرد مجرد وصف مباشر على لسان المؤلف نفسه .

(5) النوع الثاني من المؤثرات التي تؤدي إلى ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو انخفاضها هو ما سماه المؤلف بمؤثرات المضمون . ومن أهم هذه المؤثرات :

ا . العمر : إن نسبة (ن ف ص) في الطفولة والشباب هي عالية وتتجه إلى الانخفاض في الكهولة .
ب . الجنس : تميل نسبة (ن ف ص) إلى الارتفاع عند النساء في مقابل ميل واضح إلى انخفاضها عند الرجال .

(6) وحسب رأي المؤلف فإن الارتفاع والانخفاض في قيمة (ن ف ص) هو نسبي وليس مطلقا . وهذا الارتفاع والانخفاض النسبي مرتبط بعدد من المؤثرات التي عالجناها من قبل . وهذه المؤثرات سواء أكانت مؤثرات صياغة أو مؤثرات مضمون تمارس تأثيرها على قيمة (ن ف ص) في اتجاهات مختلفة ، فبعضها ينحو بها نحو الارتفاع وبعضها ينحو بها نحو الانخفاض . وقد تجتمع في

النص الواحد مؤثرات من نوع واحد أي تعمل في اتجاه واحد إما نحو الارتفاع وإما نحو الانخفاض . كما قد نجد في أحيان أخرى بعض النصوص مشتملا على مؤثرات تعمل في اتجاهات متعارضة بحيث يكون الأثر المتوقع لبعضها رفع قيمة (ن ف ص) ، والأثر المتوقع لبعضها الآخر هو خفض قيمة (ن ف ص) . وتكون النتيجة إما أن يضعف بعضها بعضا أو أن يلغي أحد الاتجاهين أثر الاتجاه المضاد ، كما قد يؤدي ذلك إلى تحييد دلالة (ن ف ص) في بعض الأحيان .

6 . أمثلة تطبيقية من الأساليب النثرية

يطبق المؤلف هنا معادلة بوزيمان على ثلاثة كتب أدبية وفكرية وهي : «مستقبل الثقافة في مصر» لطه حسين ، و «الأيام» أيضا لطه حسين ثم كتاب «حياة قلم» لعباس محمود العقاد .

وهو من خلال هذاالتطبيق يعقد مقارنة بين أسلوب «مستقبل الثقافة في مصر» وبين أسلوب «الأيام» ويتوصل إلا أن نسبة (ن ف ص) في الكتاب الأول (مستقبل الثقافة) هي (0 و 2) أما في الكتاب الثاني (الأيام) فهي (6 و 4) .

ويبرر المؤلف لهذه النتيجة بأن التوقعات من السيرة الذاتية باعتبارها جنسا أدبيا قوامه القص والسرد الشخصي والحديث عن الذكريات والمواقف المؤثرة على الكاتب — أن تتميز باتجاه (ن ف ص) فيها نحو الارتفاع (6 و 4) في مقابل النصوص التي يكتبها الكاتب ليعالج بها قضية علمية أو اجتماعية . فعلى حين ينتمي «الأيام» إلى فن السيرة الذاتية يتناول الكتاب الثاني آراء طه حسين في نظام التعليم ، وطرق إصلاحه في مصر وتحديد الانتماء الثقافي لها .

وبعد ذلك يعقد المؤلف مقارنة بين كتاب «حياة قلم» لعباس محمود العقاد وبين كتاب «الأيام» لطه حسين . وقد وجد المؤلف أن حساب (ن ف ص) في الكتابين يؤدي إلى فروق ذات دلالة :

أولها : أن أسلوب «الأيام» أقرب إلى الطابع الأدبي والانفعالي على حين يبدو الطابع الذهني العقلاني أكثر ظهورا في أسلوب «حياة قلم» .

ثانيها : تنوع الموضوع عند طه حسين في «الأيام» أثر على قيمة (ن ف ص) فرفعها في حين أن عدم تنوع الموضوع عند العقاد في «حياة قلم» أضعف قيمة (ن ف ص) .

ثالثها : أن أسلوب العقاد في كتابته أسلوب كتابي خالص ، أما أسلوب طه حسين فيقع وسطا ما بين أسلوب الحديث وأسلوب الكتابة . إذ أن أسلوب الحديث يرفع من قيمة (ن ف ص) . حتى أن العقاد نفسه التفت إلى هذه الخاصية عند طه حسين فقال عنه «إنه يكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، ويتحدث ولا ينسى أنه يكتب» .

وقد اختار المؤلف أيضا بعض النماذج من لغة الصحافة المعاصرة لحساب قيمة (ن ف ص) . ومن هذه النماذج : جريدة «الندوة» السعودية وجريدة «الشرق الأوسط» .

وقد استنتج أن نسبة (ن ف ص) هي نسبة منخفضة في الأسلوب الصحفي إذا ما قورنت بالأسلوب الأدبي .

7 . الأسلوب في المسرحية

(1)يكتسب استخدام مقاييس بوزيمان في تشخيص أسلوب المسرحية حسب رأي المؤلف أهمية خاصة ، وذلك لما تتميز به المسرحية من تعقد من حيث اللغة المستخدمة فيها ، ونماذج الشخصيات وتنوع الحوادث والحوار .

وهنا تبرز فرضيتان : أولاهما أن الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب .

وثانيتهما أن النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل النصوص النثرية .

وإزاء هاتين الفرضيتين تبرز قضيتان هامتان عند دراسة الأسلوب في المسرحية حول طبيعة هذا الأسلوب من حيث ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو انخفاضها ، ذلك أن المسرحية تكتب لينطق بها الممثلون على المسرح وإذن فهل تكون طبيعة الأسلوب فيها أقرب إلى الكلام المكتوب أم إلى الكلام المنطوق؟

أما القضية الثانية فتطرح المشكلة نفسها ولكن بالمقارنة بين المسرحية الشعرية والمسرحية النثرية في الأدب العربي ، ذلك أننا إذا افترضنا أن المسرحية النثرية أكثر قربا من الكلام العادي فإن معنى ذلك أن تسجل (ن ف ص) في المسرحية النثرية قيمة أعلى من قيمتها في المسرحية الشعرية . أما إذا نظرنا إلى المشكلة من زاوية التمييز بين الشعر والنثر فإن النتيجة ستكون عكس ما ذكرنا تماما ، أي أن قيمة (ن ف ص) في المسرحية الشعرية ستكون أعلى من قيمتها في المسرحية النثرية بسبب ما تتميز به النصوص الشعرية من خاصية ارتفاع قيمة (ن ف ص) فيها بالنسبة للنصوص النثرية .

(2) وفي محاولة لاستخدام المقياس (ن ف ص) لتحليل الأساليب في المسرحيات العربية قام المؤلف بإحصاء شامل لقيمة (ن ف ص) في مسرحيات أحمد شوقي . وقد خرج بنتائج حساب قيمة (ن ف ص) في كل مسرحية من المسرحيات التالية :

ــ مصرع كليوباترا : ن ف ص = 6 و 7
ــ مجنون ليلى : ن ف ص = 8 و 7
ــ الست هدى : ن ف ص = 9 و 10
ــ أميرة الأندلس : ن ف ص = 0 و 5

وقد استنتج المؤلف من هذه الأرقام نتائج عدة ذات دلالة تدعم استخدام العملية الاحصائية بشكل عام ومعادلة بوزيمان بشكل خاص في تحليل الأساليب في الأنواع الأدبية كافة .

8 . الأسلوب في الرواية

(1) الرواية من أهم الأجناس الأدبية وأحدثها تاريخا في أدبنا العربي وهي بحكم كونها بنية فنية معقدة تتيح للدراسة الأسلوبية مجالا من أخصب مجالات التطبيق وتتعدد مداخل دراسة الرواية بنيويا وأسلوبيا . لذلك حاول المؤلف هنا معالجة لغة الرواية من المنظور الاحصائي الأسلوبي متناولا على وجه التحديد كيفية استخدام دلالة (ن ف ص) على تشخيص أساليب الرواية وتحديد نوع العلاقة التي تربط بين الكاتب وشخصيات روايته ، وقياس الأبعاد الدرامية لهذه الشخصيات .

(2) وفي محاولته للافادة من مقاييس بوزيمان في دراسة الرواية العربية اختار المؤلف للمقارنة نموذجين من كتاب الرواية لا يكاد يشك قارىء أو ناقد في تباينهما تباينا كبيرا سواء في الاتجاه أو الأسلوب أو فنية البناء الروائي وهما محمد عبد الحليم عبد الله في روايته «بعد الغروب» . ونجيب محفوظ في روايته «ميرامار» .

وقد استنتج المؤلف من المقارنة أن الحوار في رواية «ميرامار» حوار طبيعي أي من النوع المسرحي المركز وليس كذلك الحوار في رواية «بعد الغروب» . ويستنتج المؤلف أيضا أن أسلوب نجيب محفوظ أكثر اتساقا مع المعايير المميزة للغة السرد من لغة الحوار .

إن إتقان نجيب محفوظ وبصره بالأساليب قد انعكس واضحا في المقياس الذي استخدمه المؤلف

على هيئة انتظام في العلاقة بين السرد والحوار وأن اختلاط اللاأسلوبين عند محمد عبد الحليم عبد الله انعكس واضحا أيضا في اضطراب هذه العلاقة .

ويعتبر المؤلف أن استخدامه لمعادلة بوزيمان في تشخيص أسلوب نجيب محفوظ قد بين سرا من أسرار عظمة الكتابة التي يكتبها هذا الرجل .

9 . النتيجة التي توصل إليها المؤلف

إن الفكرة الأساسية التي قام عليها كتاب «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية» كما يذكر المؤلف هي استخدام النسبة بين الصفات والأفعال في النصوص مؤشرا إحصائيا يتم على أساسه تشخيص الأساليب وسير العلاقة بين الكاتب وأبطال عمله المسرحي أو الروائي ، وقياس البعد الدرامي للشخصية .

ويحاول المؤلف هنا إيجاز المجالات المتعددة التي يمكن أن تستخدم في علاجها المعادلة التي تعرف بمعادلة بوزيمان وهذه هي :

أولا : في اللسانيات النفسية

(1) قياس درجة الانفعال .
(2) قياس درجة التوازن العاطفي .
(3) قياس الحركية .
(4) قياس دقة التعبير ودرجة موضوعيته .

ثانيا : بالنسبة للمؤلف

(1) يمكن تمييز شخصية المؤلف حين يتحدث عن نفسه حديثا مباشرا .
(2) يمكن تمييز جنس المؤلف (من حيث الذكورة والأنوثة) .
(3) يمكن تحديد مراحل عمر المؤلف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة .

ثالثا : بالنسبة للأعمال الأدبية

(1) يمكن تمييز الأعمال العلمية من الأعمال الأدبية .
(2) يمكن تمييز الشعرية من النثرية .
(3) يمكن تمييز اللغة المنطوقة من المكتوبة .
(4) يمكن تمييز نصوص الفصحى من اللهجات .
(5) يمكن تمييز الحكايات الشعبية من القصص والروايات معروفة المؤلف .
(6) يمكن تمييز المسرحيات كجنس أدبي على أساس علاقتها باللغة المنطوقة أو المكتوبة وبنوعية اللغة المستخدمة فيها فصحى أو لهجات .
(7) يمكن تمييز فنون الشعر المختلفة .
(8) يمكن تمييز أساليب وطرق العرض في المسرحية والرواية مثل :

ا . المونولوج (كلام الفرد) .
ب . الديالوج (الحوار) .
ج . السرد والوصف .
د . الأحاديث الطويلة .
هـ . الأحاديث القصيرة .
و . الشخصيات في المسرحية أو الرواية .
ز . درامية الموقف .
ح . ربط تغير قيمة (ن ف ص) بالتطور الدرامي في المسرحية أو الرواية .

ويتم تفسير هذه العوامل على أساس تصنيفها إلى :

(1) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الارتفاع .
(2) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الانخفاض .
(3) وقد يتفق للعمل الأدبي أن تجتمع فيه بعض المؤثرات التي تعمل في اتجاه واحد (سواء نحو الارتفاع أو الانخفاض) .

وقد تجتمع فيه مؤثرات متضاربة ، وتكون المحصلة هي نتاج عمل هذه المؤثرات باتجاهاتها المختلفة .

10 . نقد الكتاب وتحليله

لاشك في أن كل دراسة منهجية لظاهرة من الظواهر الانسانية أو الطبيعية لابد أن تثمر عن نتائج معينة سواء أكانت هذه النتائج إيجابية أم سلبية أم إيجابية وسلبية في الوقت نفسه . ويبدو لي أن معطيات النتائج إنما تتحدد بمعطيات المنهج من ناحية وبكيفية استخدام هذا المنهج من ناحية أخرى . ونعني بكيفية استخدام المنهج الأدوات المستخدمة في عملية التحليل كالتفكير العلمي والعملية التحليلية نفسها ، أضف إلى ذلك بناء الفرضيات والنظريات القائمة على وصف الظاهرة المدروسة .

من هنا سأعالج الكتاب من خلال بعدين اثنين الأول : البعد المنهجي والثاني البعد البراغماتي النفعي . على أنني لن أتوقف كثيرا عند البعد الأول والوسائل التقنية المستعملة فيه ذلك لأنه مهما اختلفت هذه الوسائل التحليلية فلن تؤثر على تقييم العمل لأنه كما يقال العبرة في النتائج . وهكذا فإن نقد الكتاب وتحليله سيعالجان الجوانب الايجابية والجوانب السلبية للمنهج وللنتائج التي توصل إليها المؤلف .

ا . الجوانب الايجابية

تميز الكتاب بسمات إيجابية عدة يمكن أن نجملها بما يلي :

(1) إن إثارة موضوع «الأسلوبيات» ولفت انتباه القارىء العربي لهذا الموضوع الجديد في حقل الثقافة العربية المعاصرة تعد عملا رائدا في هذا المجال ، ذلك لأن الذين بحثوا في هذا الموضوع قلائل جدا في الوطن العربي(2) فالدكتور سعد مصلوح تناول الأسلوبيات من ثلاثة أبعاد رئيسية تصف كل علم من العلوم الانسانية والطبيعية بها وهي حد الأسلوبيات (أي تعريف ماهيتها) والموضوعات التي تتناولها ثم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وبهذا فقد قدم خدمة جلى للقارىء العربي الذي لم يألف مثل هذه الدراسات العلمية الدقيقة للأساليب الأدبية واللغوية والاجتماعية .

وقد كانت المعلومات التي قدمها الباحث جديدة وطازجة وذلك بسبب ثقافته العربية التأثيلية الأصيلة ثم لغته الأجنبية التي فتحت الأبواب أمامه لينهل من هذا العلم الجديد مادة ومنهجا . وهكذا فقد جاءت هذه المعلومات الأسلوبية (العربية و الأجنبية) في إطار واضح وسهل وممتع لا لبس فيه ولا غموض .

(2) إن هذه المعلومات الأسلوبية العربية والأجنبية (القديمة منها و المعاصرة) تقودنا إلى صفة ثانية تمتع بها الباحث الدكتور سعد مصلوح وهي الجمع بين الثقافة العربية التراثية المتعلقة بالدراسات الأسلوبية وبين الثقافة الغربية المعاصرة التي طورت الدراسات الأسلوبية بحيث أصبحت علما قائما بنفسه له قوانينه ومبادئه ونظرياته ومناهجه .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خاصة مهمة لفكر الباحث وهي أنه أراد لكتابه أن يتميز بسمتين اثنين هما سمة التنظير وسمة التطبيق . أما عن السمة التنظيرية الأولى فقد استطاع المؤلف أن يقدم للقارىء العربي المبادىء والقوانين الهامة في الأسلوبيات وأن يعقد في الوقت نفسه مقارنة بينها وبين تلك المبادىء والقوانين البلاغية والنقدية التي أتى بها العرب القدامى ، كلما احتاج السياق إلى ذلك . فعلى سبيل المثال لا الحصر يعقد المقارنة التالية (ص 27) :

«ونحب أن نقرر هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ووصلت ذروة

نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ... » .

أما ما يتعلق بالسمة التطبيقية الثانية فإن المؤلف حاول أن يستفيد من التنظير القديم والحديث ويطبقه على نماذج نثرية من الأدب العربي ، لذلك نراه يتناول كتابي طه حسين «مستقبل الثقافة في مصر» و «الأيام» بأجزائه الثلاثة ليعقد مقارنة أسلوبية حديثة بين هذين الكتابين من جهة وبين كتاب آخر لعباس محمود العقاد هو «حياة قلم» .

لقد كانت المقارنة علمية وموضوعية إذ استخدم المؤلف بشأنها معادلة بوزيمان الاحصائية التي تستطيع أن تبين مدى أدبية الأسلوب ومدى علميته في الوقت نفسه ، أما النتائج التي توصل إليها المؤلف فتبقى ممتعة ورائعة لها دلالاتها النفسية والفكرية والاجتماعية . أضف إلى ذلك أنه استخدم هذا المعيار الاحصائي في مجال الرواية والمسرحية . ففي المجال المسرحي درس المؤلف أربع مسرحيات لأحمد شوقي هي :
مصرع كليوباترا — مجنون ليلى — الست هدى — أميرة الأندلس .

وقد خلص المؤلف من خلال دراسته لهذه المسرحيات إلى نتائج مهمة تدعم استخدام العملية الاحصائية في تحليل الأساليب الأدبية .

أما في مجال الرواية فقد عقد المؤلف مقارنة طريفة بين روايتين هما «بعد الغروب» لمحمد عبد الحليم عبد الله و «ميرامار» لنجيب محفوظ .
وقد خرج المؤلف بنتائج مهمة تتعلق بالحوار والمونولوج والسرد والوصف والشعرية والنثرية التي تسم الروايتين المذكورتين .

المهم في هذا الموضوع هو العلاقة الرائعة التي عقدها المؤلف بين النظرية الأسلوبية (القديمة والمعاصرة) وبين تطبيقاتها على الأنواع الأدبية النثرية والمسرحية والروائية . وهذا مؤشر إيجابي على صحة المنهج الذي اتبعه المؤلف والذي يدل على صحة النتائج التي توصل إليها (إلى حد ما) .

(3) استفاد المؤلف (إلى حد ما وليس الاستفادة كلها) من بعض الأدوات المنهجية الموجودة في علوم مختلفة كاللسانيات وعلم الاحصاء وعلم النفس وعلم الاجتماع لاستخدامها في دراسة الأساليب . من هذه الأدوات مثلا :

البنية السطحية والبنية العميقة — الأداء اللغوي والمقدرة اللغوية — الكلام واللغة — الجغرافية اللغوية — الدراسة السنكرونية والدراسة الدياكرونية — معادلة بوزيمان الاحصائية — المضامين النفسية للكاتب والنص والمتلقي — المضامين الاجتماعية للغة أفرادا وجماعات .

وهكذا فإن المنهج الأسلوبي الذي انطلق منه المؤلف لدراسة الظواهر الأسلوبية للنصوص كان منهجا متماسكا استطاع التوصل إلى بعض النتائج المهمة على الصعيد اللغوي والاحصائي والنفسي والاجتماعي وحتى الفلسفي إلى حد ما .

(4) هناك سمة علمية إيجابية مهمة تميز بها فكر المؤلف هي سمة الانفتاح والنقاش والنسبية في الحقائق . فالنتائج التي توصل إليها المؤلف كانت ذات صفة نسبية مفتوحة وليست ذات صفة دوغمائية مغلقة .

والواقع إن هذه السمة العلمية هي سمة العلم المعاصر الذي يتطلع إلى الكشف الدائب من خلال الاجتهاد المفتوح . من هنا فإننا نجد أن المؤلف حين يطرح قضية ما فإنه يتناولها بهذا الشكل (ص 18) :

«ترى هل نعني بذلك أن علم الأسلوب هو البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟ وجوابنا أن ذلك قد يكون وقد لا يكون، فهو من مسائل الخلاف ... لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل، وعمل الأسلوب هو المرجو لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن ... » .

وهكذا فإن أغلب الحقائق التي استنتجها المؤلف من خلال دراسته هي حقائق قابلة للتحقق والامتحان والاجتهاد المستمر . من هنا فقد امتاز المؤلف بصفة الباحث العلمي التجريبي .

(5) وأخيرا ينبغي أن ننظر إلى هذه الدراسة التي وردت في الكتاب على أنها جزء لا يتجزأ من سلسلة يسعى المؤلف لتحقيقها في الدراسات الأسلوبية . فقد تميز هذا الكتاب بأنه أولى ثمار هذه السلسلة لذلك نراه يقول بهذا الشأن (ص 8) :

«ومن ثم استعنت الله سبحانه في وضع مكتبة أرجو أن تكون متكاملة في قضايا التحليل الأسلوبي ومناهجه، ومشكلاته النظرية والتطبيقية ويمثل هذا الكتاب أولى ثمارها» .

من هنا ينبغي علينا أن نتطلع إلى النتائج التي خلص إليها المؤلف على أنها نتائج خاضعة للفحص والتدقيق والتجريب ومن ثم التطوير، تلك النتائج التي تؤدي إلى رؤية دقيقة لبنية النصوص الأدبية صوتا ونحوا ودلالة . ذلك لأن هدف المؤلف وضع هذا النموذج الأسلوبي أمام دارس الأدب للاطلاع على الأفكار الواردة فيه من أجل تطوير النقد الأدبي المعاصر ووضع عجلته إلى الأمام ليكون علما منضبطا قائما برأسه .

ب . الجوانب السلبية

إذا كانت الأفكار التي وردت في هذا الكتاب خاضعة للدرس والتحقيق والاجتهاد من أجل تطوير الدراسات الأسلوبية والنقدية معا فإنني لا أجد حرجا من الاشارة إلى بعض السلبيات التي وسمت الكتاب والتي يمكن إجمالها بما يلي :

(1) أولى هذه السلبيات هي عدم الثبوتية والانسجام (consistency) في تطبيق المنهج على الأنواع الأدبية كافة . فبعد أن رسم الباحث خطوط المنهج الأسلوبي نراه يطبقه على بعض النصوص النثرية والأدبية المسرحية منها والروائية . ولكنه لم يطبقه على النصوص الشعرية . وبما أننا اعتبرنا الأسلوبيات علما يدرس جميع أنماط الأساليب الأدبية وغير الأدبية، أي جميع الاستعمالات اللغوية الخاضعة للشرط الاجتماعي المتغير والمتلون فإنه كان من الأفضل من حيث المنهج والمادة أن يختار المؤلف بعض النصوص الشعرية وبعض النصوص المتعلقة بالاستعمالات اللغوية الخارجة عن نطاق الأدب بأنواعه المختلفة وذلك لكي يتحقق من صحة المنهج الأسلوبي الجديد الذي وضعه .

والواقع إن الكتاب لا يكتمل منهجا ومادة إلا بدراسة هذه النصوص الشعرية واللغوية لكي يكون العمل وافيا وكافيا وشاملا . ذلك لأن أهم صفة في أي منهج علمي منضبط هي الشمولية التي هي نتيجة لذلك الانتقال من الجزئيات إلى الكليات لكي يأخذ التطبيق صفة الشرعية والعالمية .

(2) بما أن الأسلوبيات تستخدم معايير موضوعية عديدة من أجل أن تطبقها على تحليل النصوص فإن المؤلف لم يستخدم إلا معيارا واحدا من هذه المعايير هو معيار الاحصاء . والواقع هناك معايير كثيرة بالاضافة إلى معيار الاحصاء يمكن

للأسلوبيات استخدامها من أجل دراسة النصوص كمعيار التواصلية اللغوية التي تبحث في المرسِل والمرسَل إليه والقناة الموصلة والمدونة أو النص والوضع ثم التوضيع .

وهناك المعيار النفسي الذي يبحث في الانفصام أو الاندماج مع النص والتعاطف مع النص والموقف النفسي لمنشىء النص ومتذوقه ، ثم الظروف النفسية التي تمخض عنها النص وما إلى ذلك من المفاهيم النفسية المفيدة جدا في كشف قناع المعنى عن النص المدروس .

أضف إلى ذلك أن هناك معايير اجتماعية وأنثروبولوجية ودينية مهمة جدا في كشف المعنى وهتك حجابه سواء على صعيد المؤلف أم المتلقي أم السياق الذي انتج النص .

إن الفكرة الرئيسية هنا هي أن المؤلف لم يستخدم معايير موضوعية عديدة (لا نظريا ولا تطبيقيا) لدراسة النصوص دراسة أسلوبية . وهذا يقودنا إلى التساؤل حول النتائج التي توصل إليها المؤلف من خلال استخدامه معيارا واحدا هو معيار الاحصاء . ذلك لأنه لا يمكننا التيقن من مدى صحة هذه النتائج ودقتها إلا باستخدام هذه المعايير الموضوعية الآنفة الذكر .

إن معيار الاحصاء لاشك في أنه قد يأتي ببعض الحقائق الأسلوبية حول بنية النص ووظيفته ولكنه لا يستطيع أن يأتي بكل الحقائق التي تدور حول المؤلف والمتلقي والسياق النفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي ... إلخ . إن أية دراسة تريد لنفسها الضبط العلمي لابد أن تستخدم جميع المعايير الموضوعية التي يمكنها أن تكشف لنا بنية النصوص المدروسة شكلا ووظيفة .

(3) وهذا يقودنا للقول أن الباحث لم يستفد من النتائج المذهلة التي حققتها اللسانيات الاجتماعية في العقدين الماضيين كالفروق القائمة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة والفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال والجانب الحضاري والاجتماعي للغة ... إلخ .

صحيح أن المؤلف تحدث عن الجغرافية اللغوية التي تمكن الأسلوبيات من كشف الأساليب الاجتماعية من خلال خطوط التوزيع المختلفة إلا أن هذا لا يكفي لاستخلاص بنية النصوص ووظائفها الاجتماعية ، فاللسانيات الاجتماعية قطعت شوطا كبيرا في دراسة الأشكال اللغوية ووظائفها الاجتماعية والحضارية . فالمدرسة التواصلية مثلا اكتشفت أن العملية الايصالية تحتاج إلى ثلاثة أنماط لصياغة المعنى وفرزه في النص . هذه الأنماط هي التالية[3] :

ا . أنماط الترميز وتشمل :

(1) القواعد الصرفية والنحوية .
(2) الأصوات .
(3) تنغيم الكلام .
(4) نوعية الصوت البشري .
(5) ما يرافق ذلك من العناصر الحركية (كالايماءات وقسمات الوجه وحركة العينين) .
(6) ما يرافق ذلك من العناصر المكانية (طريقة وقوف الشخصيات المتحاورة أو جلوسهم مقابل بعضهم بعضا) .

ب . أنماط التأطير وتشمل الاستراتيجيات المختلفة في المجتمع وينطوي عنها :

(1) كمية الكلام .
(2) طريقة استهلال الحوار .
(3) تطوير الحوار .
(4) إنهاء الحوار .

(5) تبادل الأدوار فيه .
(6) كيفية معالجة موضوع البحث وتنظيمه .
(7) الأمور الروتينية .
(8) الكليشيهات .
(9) الطقوس المختلفة المتبعة في مجتمع من المجتمعات .

ج . أنماط السياق والمقام وتشمل :

(1) مسرح التفاعل اللغوي .
(2) مكانه .
(3) زمانه .
(4) موضوع الحوار .
(5) الشخصيات المشاركة في الحوار وعلاقة بعضها ببعض من النواحي الاجتماعية .
(6) الخلفية الحضارية الاجتماعية والخلفيات الأخرى للشخصيات . وهكذا فإن هذه الأنماط التواصلية يمكنها أن تكشف لنا حركية التواصل بين منشىء النص والعمليات التواصلية الجارية في النص ثم متلقي النص أو متذوقه . فإذا استطاع الباحث كشف المعنى من خلال هذه الأنماط فإنه يستطيع بعدها تحديد المستوى النفسي للنص والمستوى الشخصي للكاتب ثم المستوى النوعي للمتذوق .

والحقيقة هناك نتائج كثيرة توصلت إليها اللسانيات الاجتماعية يمكن أن تفيد الأسلوبيات في تحليل النصوص كان ينبغي على الباحث ذكرها أو لفت الانتباه إليها لكي تكون دراسته أكثر دقة وضبطا وموضوعية .

(4) والباحث لم يستفد أيضا من معيار مهم جدا في اللسانيات البراغماتية النفعية (الذريعية) وهو معيار الشكل والوظيفة . ونعني بالشكل أصوات الجملة وكلماتها وترتيبها ، أما الوظيفة فنعني بها المعنى الذي تفرزه هذه الجملة . فإذا اعتبرنا الجمل الخبرية والاستفهامية والأمرية أشكالا فليس من المحتم أن تعطينا هذه الأشكال خبرا أو استفهاما أو أمرا .

فكثيرا ما نجد أن شكل الجملة يختلف عن وظيفتها . فسؤال المدرس للطالب «لماذا نسيت القيام بواجبك المنزلي يا علي؟» ليس سؤالا على الرغم من شكله ، بل هو تأنيب للطالب على كسله . وإذا دخل الأستاذ قاعة المحاضرات وشعر أن الهواء مكتوم فيها ورغب في أن يفتح أحد الطلاب النافذة أو مكيف الهواء فربما قال «الغرفة مخنوقة الهواء» وإذا أحد الشباب يفهم أن الجملة نوع من الطلب فيبادر إلى فتح النافذة أو تشغيل مكيف الهواء رغم أن الجملة خبرية من حيث الشكل[4] .

والحقيقة إن استخدام معيار الشكل والوظيفة في تحليل النصوص يساعد الأسلوبيات على تحديد بنية النص ووظائفه اللغوية والاجتماعية ثم تحديد العملية التواصلية بشكل منسجم ومنضبط .

(5) آخر النقاط السلبية في الكتاب أن الباحث لم يستفد من علمين حديثين ومهمين جدا في حقل الأسلوبيات وهما علم الدلاليات (Semantics) وعلم السيميائيات (Semiotics) . فقد تطور هذان العلمان تطورا مدهشا في السنوات القليلة الماضية ولا سيما من خلال احتكاكهما بالدراسات الأدبية والنقدية . فعلم الدلاليات طرح مفاهيم دلالية جد مهمة إذا ما استثمرت في الأسلوبيات فإن الباحث سيتوصل إلى نتائج مدهشة حول حركية النصوص من الوجهة الدلالية .

من المفاهيم التي طرحتها الدلاليات : العلاقة بين الدلالة والاشارة ــ الوظيفة الدلالية التي تبحث في المعنى وآثاره وفي الخلق والتطور الدلالي في النص ــ أشكال تغيرات المعنى وأسباب هذه التغيرات سواء أكانت تغيرات دلالية أم منطقية . أضف إلى

ذلك أن للدلاليات مناهجها في تحليل البنية الدلالية يمكن أن تغني المناهج الأسلوبية وتجعلها أكثر ضبطا . من هذه المناهج : منهج التحليل التوزيعي ـــ منهج التحليل المفهومي ـــ منهج التحليل الاشتقاقي ـــ منهج التحليل الاحصائي وغيرها من المناهج الدلالية المفيدة .

وليس هنا مجال للتحدث عن علم الدلاليات ذلك لأنه علم متشعب ومتعدد الوجوه ، والكتب المؤلفة حوله كثيرة يمكن الرجوع إليها لمعرفة مدى تطور هذا العلم وأثره على الأدب والنقد والأسلوبيات[5] .

أما علم السيميائيات فقد شهد أيضا تطورا ملحوظا ولا سيما في أوربا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . يبحث هذا العلم في بنية الاشارة وأنواعها ومصادرها ووظائفها في الكون . وبما أن اللغة إشارة صوتية وكتابية فإنها تدخل ضمن الموضوعات التي يبحثها هذا العلم . إن استثمار المفاهيم السيميائية في حقل الأسلوبيات سيضيء لنا مناطق غامضة في النصوص الأدبية وغير الأدبية .

من هذه المفاهيم السيميائية المطروحة مثلا : شكل الاشارة وجوهرها ـــ أنماط الاشارة وتأويلاتها ـــ الشيفرات المنطقية للاشارة (كالتغيرات الايمائية والشيفرات المعرفية والغيبية ... إلخ) ـــ الشيفرات الجمالية للاشارة (كالشيفرات الفنية والأدبية) ـــ الشيفرات الاجتماعية المتعارف عليها بين جماعة معينة ذات ثقافة معينة .

ومجمل القول إن السيميائيات استطاعت أن تكشف لنا بنية الدلالة الخارجة عن نطاق اللغة والتي يمكن أن تساعد اللغة على الايصال والتوصيل .

وكثيرة هي الكتب التي تناولت هذا العلم وبحثته تعريفا وموضوعا وغاية يمكن للقارىء الرجوع إليها في أماكنها[6] . والواقع لو التفت الباحث الدكتور سعد مصلوح إلى هذين المعيارين المتطورين لكانت نتائجه أكثر دقة وضبطا وموضوعية .

الهوامش

(1) الدكتور سعد مصلوح أستاذ بكلية دار العلوم ـــ جامعة القاهرة . يقوم الآن بتدريس علم اللغة والأسلوب في معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(2) يمكننا أن نذكر في هذا المجال الأعمال الرائدة للدراسات الأسلوبية الحديثة من حيث النظرية والتطبيق . من هذه الأعمال :

ا . المسدي ، د . عبد السلام (1977) ***الأسلوبية والأسلوب : نحو بديل ألسني في نقد الأدب*** . الدار العربية للكتاب ـــ تونس .

ب . عياد ، د . شكري (1980) «مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد» ***فصول*** ، مج 1 ع 1 القاهرة .

ج . الراجحي ، د . عبده (1981) «علم اللغة والنقد الأدبي : علم الأسلوب» ***فصول*** مج 1 ع 2 . القاهرة .

د . عزت ، علي (1971) «علم الأسلوبيات ومشاكل التحليل اللغوي» **الفكر المعاصر** . ع 80 ـــ القاهرة .

هـ . الطرابلسي ، محمد الهادي (1978) «في منهجية الدراسة الأسلوبية» . ضمن ***اللسانيات واللغة العربية*** . مركز الدراسات ، تونس .

(3) خرما ، د . نايف وحجاج ، د . علي (1988 ص 125 ـ 126) ***اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها*** . عالم المعرفة . الكويت .
الجدير ذكره هنا أن هذا المرجع اعتمد في هذا التصنيف على تصنيف عالم اللسانيات الاجتماعي لفداي . لمزيد من التفصيل انظر :
Loveday, L (1982 : P 63). *The sociolinguistics of learning and using a non-native language*. Oxford : Pergamon press.

(4) المرجع نفسه (ص 125 ـ 126) .

(5) لمعرفة المزيد حول الدلاليات انظر :
بيير جيرو (1988) ***علم الدلالة*** . ترجمه إلى العربية د . منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

(6) لمعرفة المزيد حول السيميائيات انظر :
بيير جيرو (1988) ***علم الاشارة – السيميولوجيا*** . ترجمه إلى العربية د . منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

الخلاصة

يعتبر كتاب «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية» من أهم الكتب التي بحثت في الأسلوبيات على مستوى النظرية والتطبيق . وينبغي علينا أن نعترف أن كل جديد لا بد أن تعترضه بعض العقبات مادة ومنهجا . ولكن الحقيقة التي لا مجال للشك فيها هي أن هذا الجديد لابد من التطوير ، ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال احتكاك النظرية بالواقع . وبما أن الأسلوبيات تعتبر نظرية قائمة بذاتها فلا بد من تطبيقها على النصوص العربية (الأدبية وغير الأدبية) وذلك لامتحانها ومعرفة مواطن قوتها وضعفها ، ذلك لأن المشكلات التي تحيط بالأسلوبيات في الغرب هي مختلفة من حيث الشكل والجوهر عن المشكلات التي تحيط بها في الثقافة العربية المعاصرة .

وما هذه الدراسة التي قدمها الدكتور سعد مصلوح إلا محاولة لجعل النظرية الأسلوبية تحتك بالواقع العربي (اللغوي والأدبي) من أجل اكتشاف أفضل وأنجع لبنية النص العربي .

بهذا المفهوم وحده يمكن أن نعد هذه الدراسة الأسلوبية لبنة من لبنات الثقافة الأسلوبية الحديثة التي نتطلع إليها في المستقبل .

حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها

حسن عباس

الحلقة الأولى

حول صعوبة التعامل مع حروف المعاني .

لقد درج علماء اللغة العربية وفقهاؤها القدامى منهم والمحدثون على تقنين استعمال حروف المعاني من (جر وعطف وجزم ونصب وغيرها .) وفق ما ورد في تراثنا اللغوي من الشعر العربي الأصيل ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والنصوص الأدبية ، والمعاجم اللغوية ، وكتب الصرف والنحو وما إليها ...

ويتشدد بعض النقاد في تحديد طريقة استعمال كل حرف منها ، بأن تجري وفق ما شاع استعماله بغض النظر عن جدواها في تأدية المعنى الدقيق الذي يرمي إليه الكاتب .

وهكذا إذا كان المعنى المراد مستحدثا أو غير شائع ، فإن استعمال الحرف وفق ما شاع ، قد يحيد بالكاتب عن غرضه ، أو يوقعه صراحة في الخطأ .

ونظرا لكثرة حروف المعاني في اللغة العربية وتنوع استعمال كل واحد منها لشتى الأغراض (حزنت له / الكتاب له) ، فإنه ليس ثمة ما هو أخطر على فصحى الكاتب العربي من مسألة استعمال هذه الحروف بمعرض التعبير عن معانيه .

كما أن تعامل أكثر من حرف مع فعل واحد (حزنت له / حزنت عليه) ، للتعبير عن أكثر من غرض ، يزيد المسألة صعوبة . وقالوا : ((مات الفراء وفي قلبه شيء من حتى)) .

وتتجلى أهمية حروف المعاني وخطورة استعمالها ، في كونها هي الأدوات الثقافية الدقيقة التي يسبر الكاتب العربي بها أعماق نفسه ويلاحق بها تلونات أفكاره ، ليستخرج منهما معانيه خالصة من كل شائبة على وضوح وبلاغة ورشاقة وشفافية فجاءت تسميتها حروف المعاني موافقة لمهامها ووظائفها . وقصة (واو) اللوزينج في عبارة (لا ، وأيدك الله) ما هي إلا واحدة من آلاف الأمثلة .

وإذا كان من الجائز تشبيه حروف المعاني في اللغة العربية بالأدوات الجراحية الدقيقة المعاصرة يسبر

الجراح بها أعضاء البدن ، فيستخلص العلل من مكامنها .

فإن معاناة الكاتب العربي مع حروف المعاني هي أشد من معاناة الطبيب مع الأدوات الجراحية . ذا يتعامل مع بعضها مما يتعلق باختصاصه ، وذاك يتعامل مع واحد وثلاثين نوعا من حروف المعاني .

وشبابنا ممن يتعاطون الكتابة لشتى الأغراض الأدبية والعلمية والصحفية وما إليها ، أين هم اليوم من تراثنا اللغوي ؟

إنهم لم يحفظوا آلاف الأبيات من الشعر العربي الأصيل ، جاهلية وغير جاهليّة عن ظهر قلب ، ولا عشرات السور القرآنية ، ولا الكثير من النثر الأدبي ، ولا كتب الصرف والنحو ، كما كان يفعل جيل العشرينيات أو الثلاثينيات من مثقفي هذا القرن .

ولذلك فإنه لمن المتعذر عليهم إن لم يكن مستحيلا ، أن يستعملوا حروف المعاني جميعاً في وجوهها الصحيحة ولو استعملوها على وجه ما شاع استعماله . فما كل ما شاع استعماله يصلح للتعبير عن معان لم يشع استعمالها ، أو لم يسبق تداولها .

ما السبيل إلى ترويض حروف المعاني ؟

إنه لامخرج للكاتب العربي من هذا الحصار التراثي ، إلا أن يستهدي بخصائص الحروف العربية ومعانيها بمعرض استعمال حروف المعاني تعبيرا عن حاجاته ومعانيه . وبذلك نعود إلى أصول التراث .

فاللغة العربية تتفرد عن سائر اللغات الحية المعاصرة ، بأن لكل حرف من حروفها معاني محددة تتوافق بصورة عامة مع خصائصه .

وهذه الخصائص ، إما أن تكون ايمائية تمثيلية تتأتى من طريقة التلفظ بصوت الحرف ، وإما أن تكون إيحائية تتأتى من صدى صوته في النفس .

وهذا الاختلاف في خصائص هاتين الفئتين من الحروف العربية (حروف المباني) ، يعود أصلا إلى الاختلاف في المستوى الحضاري للمراحل التي أبدعت خلالها كل فئة منهما .

فطريقة التعبير عن المعاني في دنيا التواصل إيماء وتمثيلا بالحركات الجسمية (يد .. رأس . فك . أسنان . فم ..) ، إنما هي أكثر بدائية وتخلفا ، وبالتالي أقل تطوراً ورقياً من التعبير عنهما بصدى أصوات الحروف في النفس . وهذا يقطع بأن مرحلة إبداع أصوات الحروف الايمائية التمثيلية هي أعرق في القدم من مرحلة إبداع أصوات الحروف الايحائية .

الجذور الغابية والزراعية والرعوية في الحروف العربية :

لقد تبين لي في دراسة متعمقة عن (الشخصية العربية والحرف العربي) أن الانسان العربي قد أبدع حروفه عبر ثلاث مراحل .

ففي المرحلة الغابية التي امتدت منذ بداية العصر الجليدي الأخير حتى الألف (12) ق.م ، قد بقي لنا يقينا مما أبدعه الانسان العربي خلالها من وسائل التواصل مع أبناء جنسه أصول الحروف الجوفية الثلاثة (الألف والواو والياء) .

وفي المرحلة الزراعية التي امتدت منذ الألف (12 حتى الألف 9) ق.م أبدعت المرأة زعيمة المرحلة الزراعية الحروف الايمائية ، وقد بقي لنا منها يقينا أصول حروف (ف. م. ل. ذ. ث) واحتمالا حرفا (ش. خ).

أما في المرحلة الرعوية التي امتدت منذ الألف (9) ق.م حتى العصور الجاهلية الأولى ، فقد أبدع الرجل زعيم المرحلة الرعوية ، الحروف الايحائية. كان

منها يقينا الحروف الحلقية (ح.ع.غ) . والحروف (ص. ض. ط. ظ. ق) تفخيما لحروف (س. د. ت. ذ. ك) ، وباحتمال شديد ما بقي من الحروف ، كما سيأتي في الحلقات القادمة بشيء من التفصيل .

لايجرح هذا التصنيف المرحلي أن يكون الانسان العربي قد اهتدى إلى أصول أصوات بعض الحروف الرعوية المحتملة في مراحل زراعية أو غابية سابقة ، مادام قد هذبها وطورها واعتمد صدى أصواتها في النفس تعبيراً عن حاجاته ومعانيه في المرحلة الرعوية ، كما سيأتي في الحديث عن معاني حروف المعاني .

ولقد اعتمدت في هذا التصنيف المرحلي أدلة كثيرة ، منها التاريخي الأثري ، ومنها الاجتماعي والنفسي والمهني واللغوي وما إليها . ولكن اختصاراً للحديث وحصراً له ، سنكتفي في الحلقات القادمة بسرد الأدلة اللغوية ، لانتطرق إلى سواها إلا عند الضرورة .

على أن هذا التصنيف سيلاقي معارضة شديدة ممن ينكرون على اللغة العربية فطرتها ، وعلى أصوات الحروف العربية موحيات معانيها .

وسيرى هؤلاء المعرّضون أن لكل حرف عربي معانيه ووظائفه التي استمدها من خصائصه الايمائية أو الايحائية ، بالرجوع إلى المعاجم اللغوية . وسوف يرون أنه لايمكن تعليل هذه الخصائص والمعاني إلا بالتسليم بانتماء الحروف العربية إلى مراحل الحياة الثلاث آنفة الذكر .

ولما كان معظم حروف المعاني مؤلفا من حرف واحد أو حرفين ، فإنها بلاشك هي أقدم المستحاثات اللغوية وألصقها طبيعة ووظيفة بمراحل إبداع حروفها . وسيجد القارىء الحيادي بمعرض الكشف عن أصول معانيها مدى صدق تصنيفنا الحروف العربية ، ليس إلى ايمائي وإيحائي فحسب ، وإنما إلى غابي وزراعي ورعوي أيضا .

الحرف العربي والشخصية العربية

مدخل لابد منه :

هذا المدخل ، ليس مجرد تمهيد مدرسي يعرّف القارىء بهذه الدراسة ، أو خلاصة جامعة لبنودها ، أو دليلا نظريا يهدي إلى مسالكها ، فحسب . وإنما هو فوق ذلك ، محضر موجز لندوة فكرية مضمرة ، قد استمر الحوار فيها بيني وبين الحروف العربية أعواما عديدة .
فكان لابد من هذا المدخل ، يلملم من جوانب ذلك الحوار الطويل في مخطط عام يجعل من هذه الدراسة وحدة متماسكة ، على تعدد قضاياها وتشعب مشاكلها وإشكالاتها .

أولا : في موقع هذه الدراسة :

هذه الدراسة تعنى مبدئيا بأصوات الحروف العربية كوحدات صوتية (فونيمات) ، ولذلك فهي تتداخل مع علم الصوت العضوي (الفوناتيك) .
كما تقوم أصلا على صدى أصوات الحروف العربية في النفس استشفافا لخصائصها ومعانيها ، لتتماس بذلك مع علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) .
وهكذا ، فإن هذه الدراسة هي ألصق ما تكون بعلم النفس اللغوي ، وبعلم الأصوات السمعي ، بعض من علوم اللغة الحديثة .
وكيلا يتبادر إلى ذهن القارىء إني أنحو بهذه الدراسة إلى المساهمة في تحديث علوم اللغة العربية أسارع فأوضح بأنها محاولة جادة لتأصيلها ، بالعودة بها إلى أصول أصالتها ، وإن تداخلت وتماست مع ما ذكرته وما لم أذكره من علوم اللغة الحديثة ، مما يؤهلها لتأصيل بعض جوانب هذه العلوم أيضا .
ولئن أعرضت العلوم اللغوية الحديثة بما فيها الألسنية والأسلوبية والدلالات ... عن الخوض في أصول نشأة اللغات لضبابيتها التاريخية ، وعن التصدي لعلاقة أصوات الحروف بمعاني الألفاظ ، لانفصام هذه العلاقة بعامة في اللغات الغربية ، فإن هذه الدراسة قد انطلقت من هاتين المسألتين بالذات للبرهان على فطرية اللغة العربية وأصالتها ، مما يحفظها من مزاجية علماء اللغة المحدثين ومن النزوات الشعرية والأدبية ، ومن مختلف الغزوات الثقافية المضادة ، في كل ما يتعارض مع مقومات أصالتها .

فنشأة اللغة العربية التاريخية والاجتماعية والثقافية ، تختلف عنها في اللغات الغربية التي كانت مثار تأملات علمائها وموضع تطبيق نظرياتهم في علومهم اللغوية الحديثة .

وهكذا ، فإن هذه الدراسة ، بما تلقيه من أضواء جديدة على الجوانب التاريخية والصوتية معا من خصائص اللغة العربية ، وعلى العلاقة الجدلية بين

الحرف العربي والشخصية العربية ، من شأنها أن تجعل علماء اللغة الغربيين والعرب المحدثين يعيدون النظر في القرارات القطعية التي اتخذت منذ القرن التاسع عشر بتحريم ارتياد هذه الآفاق من بحوثهم اللغوية . فما لم يصح في لغاتهم قد صح في اللغة العربية ، ولكن ما كان أشق التحقق من ذلك .

فهذه الدراسة كان لابد لها أن تتناول قضايا فكرية عديدة تتصل بعلوم الأصوات والنفس واللغة والتاريخ والآثار والأجتماع والفيزيولوجيا ، وما إليها من مسائل الفن والأخلاق ، مما عرضها بالضرورة إلى كثير من التعقيد . على أن أعقد ما في هذه الدراسة ، هو جانبها الصوتي النفسي .
فللكشف عن العلاقة الفطرية الكائنة بين أصوات الحروف العربية ومعانيها ، لابد من الاستعانة بالمنهج الذاتي في علم النفس (الاستبطان) ، للاهتداء إلى خصائص أصوات الحروف ومعانيها . كما لابد أيضا من الاستعانة بالمنهج التمثيلي في علم النفس (التقمص) لمعرفة كيفية قيام الانسان العربي بإبداع أصوات حروفه وألفاظه ، للتعبير عن حاجاته ومعانيه .

وهذان المنهجان ، بصدد تعاملهما مع أصوات الحروف العربية ومعانيها ، يستلزمان رهافة في السمع ، وشفافية في المشاعر ، وتذوقا رفيعا في الأدب ، ومعاناة طويلة مع تلونات أصوات الحروف العربية .

فكيما يستطيع القارىء أن يستخلص ما في صوت حروف ما من الأحاسيس الحسية أو المشاعر الانسانية لابد أن تتوافر فيه الحدود الدنيا من هذه الشروط جميعا . ومن يفتقر لها قد يجد هذه الدراسة مجرد توهم لا رصيد له من حقيقة ، أو ضربا من الكلام المنمق الأنيق لا يقنع أحدا .

فالأستاذ محمد المبارك ، خريج جامعة السربون في باريس ، كان في مؤلفاته الأولى من كبار المتعصبين لرمزية الحرف العربي ، فاللفظة العربية كانت في رأيه ، مجرد مصطلح على معنى والحرف العربي لا يوحي بأي معنى من المعاني . لم يرجع عن هذا الرأي معتذرا ، ومشكورا إلا بعد أن أمضى بضعة عشر عاما في تدريس اللغة العربية والتأليف فيها ، كما سيأتي .

لذلك وتذليلا لهذه الصعوبات المتوقعة ، وترويضا لسمع القارىء غير المتخصص على استشفاف الخصائص الحسية والموحيات الشعورية الكائنة في أصوات الحروف العربية ، قد مهدت لهذا الجانب الصوتي النفسي من هذه الدراسة ، بفصل خاص عن الحواس الخمس ، ثم أتبعته بفصل آخر عن آراء علماء اللغة حول مسألة الايحاء في أصوات الحروف العربية .

كما أتبعتهما بثالث عن الايحاءات الحسية والشعورية في أصوات الحروف العربية ، قد تناولت فيه عمليتي (الاستبطان والتقمص) العائدتين إلى المنهجين الذاتي والتمثيلي في علم النفس .

ولا أكتم القارىء ، إني أعدت صياغة هذه الدراسة مرات عدة ، في محاولات متأنية لتبسيط قضاياها ، وإضفاء الصبغة الأدبية على شروحها ، كيما تكون في متناول المثقف العادي غير المتخصص ، فهي تنتمي إلى الفكر القومي بقدر ما تنتمي إلى الفكر اللغوي .

ومع ذلك أرى من المفيد أن أنبه منذ الآن إلى مشاق الرحلة التي تنتظرنا مع الحروف العربية عبر هذه الدراسة ، وإلى أنه لابد من استيعاب كل مرحلة من مراحلها قبل الانتقال إلى المرحلة التالية . فهذه الدراسة إنما هي حلقات مترابطة متكاملة ، قد قامت على منطلقات فكرية أكثرها مستحدث ، إذا ما فات

القارىء بعضها صعب عليه استيعاب ما يتلوها من الحلقات .

ثانيا – في المنهج الذي اتبعته مع هذه الدراسة :

لقد انطلقت في هذه الدراسة من مقولة فطرية اللغة العربية ، بمعنى أن أصوات حروفها مقتبسة مباشرة من الطبيعة المادية أو الانسانية ، وهذا يستتبع القول بأن معنى اللفظة العربية لا يزال كامنا في جذور أصوات حروفها ، وأنه بالتالي ليس إلا محصلة لمعاني حروفها .

ولئن كان علماء اللغة والآثار والتاريخ ، لم يعثروا حتى الآن على ما يؤكد فطرية اللغة العربية ، من نقوش أو آثار مادية غارقة في القدم ، إلا أن ذلك لا ينفي صحة هذه المقولة .

فاللغة العربية قد بدأت نشأتها الأولى على الهواء الطلق قبل الألف العاشرة قبل الميلاد . ثم ترعرعت في ظل حياة رعوية مشردة ، قصورها خيام ، وقلاعها ظهور مطايا ، وحصونها بطولات ، وآلهتها كواكب سماء ونجوم ، فكانت بذلك أقل لغات الدنيا حاجة إلى التعامل مع المادة الأرضية . ومع ذلك ، إذا كان ثمة آثار مادية من نقوش وسواها ، فهي لاتزال قابعة تحت ركامات من الرواسب والرمال .

وما أحسب أن ثمة من داع لانتظار معاول الاثاريين المنقبين ، كيما نتصدى نحن لمسألة فطرية اللغة العربية مادام قد بقي لنا من تلك المراحل الفارقة في ظلام ما قبل التاريخ آثار مادية ثلاثة ، هي : الحرف العربي ، والانسان العربي ، والموطن الذي احتضنهما عبر مراحل التاريخ .

فهذه المعطيات الثلاثة ، إذا صحت مقولة فطرية اللغة العربية ، تفترض بالضرورة وجود علاقات أصيلة متبادلة فيما بينها ، ولابد لهذه العلاقات أن تخلف لنا عبر العصور بعض المستحاثات الأثرية ، سواء في طيات أصوات الحروف العربية ، أو في الطابع الشخصي المميز للانسان العربي بما يتوافق أصلا مع التاريخ الحضاري للجزيرة العربية . وللتحقق من صحة مقولة ((فطرية اللغة العربية)) ، قد اعتمدنا طريقة الخطأ المفترض في البرهان الرياضي .

فهذه الطريقة تفترض خطأ ، صحة الطلب ابتداء ، وهذا الطلب الذي افترضنا صحته يقودنا إلى نتيجة مباشرة متصلة به أشد الاتصال ، فنبرهن على صحتها في نطاق معطيات المسألة . وهذه النتيجة المفترض صحتها تبعا لصحة الطلب تقودنا بالضرورة إلى نتيجة مباشرة ثانية ، فنبرهن على صحتها في نطاق معطيات المسألة إياها .

وهكذا الأمر في سلسلة متماسكة من الافتراضات والنتائج ، إلى أن تتطابق النتيجة الأخيرة مع حقيقة واقعية جديدة لامجال لرفضها ، فتنسحب هذه الحقيقة بحكم المنطق الرياضي على ما سبقها من الافتراضات والنتائج .

أما إذا وقع العكس ، فتعارضت النتيجة الأخيرة مع حقيقة ثابتة ، فإن هذا التعارض ينسحب بالضرورة على الافتراضات السابقة ونتائجها .

ثالثا : حول سلسلة الافتراضات :

الافتراض الأول :

إذا افترضنا خطأ ، أن اللغة العربية فطرية النشأة ، فإن ذلك يقودنا مباشرة إلى القول ببداءة الحرف العربي ، وفجرية الانسان العربي ، وبعلاقة جدلية بينهما .

فلو أن الانسان العربي قد اقتبس حروفه من

شعب مغاير له في الجنس واللغة ، إذن لكانت الصلة انقطعت بين أصواتها وبين الطبيعة ، وبالتالي بين الجملة الصوتية للفظة العربية وبين معناها ، وذلك على مثال ما انقطعت الصلة بين الألفاظ في اللغات الغربية وبين معانيها ، لعلة اقتباسها من لغات أم أعرق منها في القدم .

فلقد استقر رأي علماء اللغة الغربيون على أن اللغة هي مجرد مصطلحات على معان ، ليس بينها وبين الطبيعة ، ولا بين أصوات حروفها ومعاني الألفاظ أي صلة ، فأجمعوا على القول بأن اللغة : ((هي التعبير الرمزي بالذات وإن كان لها الأولوية على كافة أنماط الرمزية التواصلية)) .

ولقد كرست الجزء الأول من هذه الدراسة بفصوله الخمسة ، للتثبت من صحة النتيجة الأولى المتأتية مباشرة عن الافتراض الأول حول صحة مقولة (فطرية اللغة العربية) ، من حيث بداءة الحرف العربي وفجرية الانسان العربي ، والعلاقة الجدلية بين الحرف العربي والشخصية العربية .

فبدأت هذا الجزء بفصل خاص عن نشأة اللغة العربية وفطريتها ، وعن علاقاتها باللغات المكناة بالسامية ، وعن صراعاتها معها . كما تناولت بالتمحيص آثار مملكة (ايبلا) العربية ، والخط المسند العربي ، وأصول الحركة الجسمية في لغتنا ، مستشهدا على ذلك ببعض مستحاثاتها من الحروف والألفاظ ، ثم عرجت أخيرا على دور الشعر العربي الأصيل في صناعة اللغة العربية وصياغة مفرداتها صياغة شاعرية محكمة ، تبرئها من كل شائبة اقتباس أو هجانة . وذلك كله للبرهان على صحة بداءة اللغة العربية وفطريتها .

كما كرست الفصل الثاني منه للحديث عن نشأة الانسان العربي ، وعن تطوره الحضاري في الجزيرة العربية عبر مراحله الحياتية الثلاث (الغابية والزراعية والرعوية) ، وعن جذور هذه المراحل في الحروف العربية . كما تطرقت إلى دور المرأة وواقعها في هذه المراحل ، سواء من حيث مساهمتها في إبداع الحروف العربية ، أو من حيث أوضاعها الاجتماعية . وذلك كله للتثبت من صحة (فجرية) الانسان العربي أيضا .

ولما كان حديثنا عن كل ما جاء في الفصلين السابقين عن بداءة الحرف العربي وفجرية الانسان العربي ، يتوقف أصلا على التثبت من أن الجزيرة العربية هي المهد الأصلي لكل منهما ، فلقد كرست الفصل الثالث للبرهان على أنها هي أصل الحضارات في المنطقة العربية . وبترجيح شديد هي مهد الحضارة الانسانية .

وتأكيدا للعلاقة الجدلية بين الحرف العربي والشخصية العربية كرست الفصلين (الرابع والخامس) للحديث عن ((شخصيتي)) الانسان العربي والحرف العربي ، للكشف عن القواسم المشتركة بينهما من حيث عوامل تكوينهما وصفاتهما . وذلك لاعطاء هذه الدراسة أبعادها الاجتماعية والثقافية أيضا ، مما يسهل على القارىء الاحاطة بمضامين بحوثها مهما تتنوع وتتشعب .

وأخيرا ، وللتثبت من صدق العلاقة الجدلية بين ((الشخصية العربية)) والحرف العربي.قد كرست الفصل السادس من هذا الجزء للحديث عن مسألة دوران الحروف العربية في الشعر العربي الأصيل والقرآن الكريم . وذلك لأبرهن على ثبات مقومات ((الشخصية العربية)) الثقافية منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، على الرغم من مظاهر الانحلال السياسي والاجتماعي التي اعترتها في عصور انحطاطها .

وهكذا ، فإن مقولة فطرية اللغة العربية ،

لاتراهن على بداءة الحرف العربي وفجرية الانسان العربي فحسب ، وإنما تراهن على أن الجزيرة العربية هي أيضا مهدهما ، ومهد الحضارات في المنطقة العربية .

ولكن علماء الآثار والتاريخ واللغات والأديان والأجناس ومن إليهم ، قد أهملوا الجزيرة العربية لظاهرة تصحرها ، في جميع تقصياتهم عن أصول الحضارة الانسانية البكر سواء في استئناس النبات أو الحيوان أو صناعة الأدوات أو أصول اللغات والعبادات وما إليها .

فبما أن المكتشفات الأثرية العصرية تشير إلى أن تلك الأصول الحضارية المضيعة ، تعود حتما إلى المنطقة العربية الراهنة ، فقد راح العلماء يبحثون عنها في البؤر الحضارية المعروفة في واديي الفرات والنيل ، وفي بلاد الشام دون جدوى . وذلك لأنهم أهملوا الجزيرة العربية في تقصياتهم لعلة انطماس معالمها الحضارية البكر تحت طيات الرمال في عتمات التاريخ . فكانوا بذلك كمن ضيع قطعة نقود ليلا في باحة معتمة ، فراح يبحث دون جدوى عنها بعيدا تحت أضواء المصابيح التي تقع على أطرافها .

وهكذا كان هؤلاء العلماء يحارون في تعليل سبب بلوغ بعض الآثار المكتشفة في المناطق المحيطة بالجزيرة العربية درجة متقدمة من التطور والرقي ، مما لا جذور حضارية سابقة لها في هذه المناطق .

ولئن عزا بعضهم تلك الظواهر الحضارية المتطورة إلى الجزيرة العربية ، كاستئناس النبات والحيوان مثلا ، كما سيأتي ، فلقد تحفظ بعضهم الآخر على هذا الزعم لخطورة نتائجه التاريخية . ومن هنا أتت الصعوبة التي اكتنفت تقصياتي المضنية عن ريادة الجزيرة العربية في الشؤون الحضارية بدءا من الحرف العربي والخط المسند العربي ، وانتهاء بفنون استئناس النبات والحيوان وصناعة الأدوات . وذلك لم يكن لحرمان الجزيرة العربية من المكتشفات الأثرية فحسب ، وإنما لتعارض تلك الريادة من آراء معظم العلماء الذين عنوا بالمنطقة العربية .

على أن اعتراف أولئك العلماء بجهلهم معرفة منشأ تلك الأصول الحضارية قد هداني إلى استنباط المزيد من الأدلة القوية التي يصعب دحضها . على أن الجزيرة العربية هي مهد جميع الحضارات التي تشكلت حولها منذ الألف / 9 / ق.م ، في بلاد الشام وسواها كما سيأتي بشيء من التوسع والتفصيل .

الافتراض الثاني :

إذا صح أن الحروف العربية بديئة مقتبسة من الطبيعة ، فالمفترض أن يكون الانسان العربي قد استعان بها للتعبير عن مختلف أحاسيسه الحسية ومشاعره الانسانية ، فكيف تم له ذلك ؟ فأجيب :

عندما لمس إنسان الجزيرة العربية الأشياء من حوله في فجره الحضاري البكر ، كان لابد له أن يعبر عن الأحاسيس اللمسية (خشونة ، نعومة ، حرارة ، برودة ، صلابة ...) ، بحركات جسمية ملائمة ترافقها أصوات خاصة ، وذلك بغرض التواصل مع أبناء جنسه . وكان لابد لهذه الأصوات والحركات أن تتطور وتتهذب مع تطور ذلك الانسان ، عقليا وفنيا واجتماعيا وثقافيا ، فيسقط بعض الحركات الجسمية ، ويلطف بعضها الآخر ، وتختصر الأصوات الكثيرة في أصوات حروف معينة لابد أن تكون هي الأوحى على العموم بمختلف الأحاسيس اللمسية ، إذا ماصح هذا الافتراض .

وعندما تذوّق الأشياء وشمها ونظر إليها وسمع أصواتها ، وعانى بعض الانفعالات الشعورية ، كان

لابد له أن يعبر أيضا عن كل ذلك بحركات جسمية ملائمة ترافقها أصوات خاصة ، على مثال ما فعل بالملموسات . وهكذا سقطت الحركات وتهذبت الأصوات عبر آلاف الأعوام ، فاختصرت في أصوات حروف معينة لابد أن تكون على العموم هي الأوحى بمختلف الأحاسيس الذوقية والشمية والبصرية والسمعية وبمختلف المشاعر الانسانية .

وشأن اللغة العربية بصدد هذه الصلة الايحائية أو الايمائية التمثيلية بين الحروف في الألفاظ وبين معانيها ، شأن جميع اللغات البديئة إلا أن بقاء هذه الصلة في لغة معاصرة ما ، وعدم بقائها في لغة أخرى ، يرجع مبدئيا إلى مدى ارتباط الأمة مبدعة أصوات حروفها وألفاظها ببيئتها البكر ، وإلى تمسكها بلغتها الأم ، مرحلة حياة بعد مرحلة ، إلى أن تنضج لغتها في مراحل حضارية راقية .

وهكذا تحولت الألفاظ في اللغات الغربية على العموم إلى رموز ومصطلحات على معان ، لأن أصوات حروفها المستوردة فقدت صلتها بالبيئة الطبيعية والاجتماعية التي نشأت فيها ، كما أن صلاتها باللغات الأم كالسنسكريتية ، أو اليونانية القديمة ، أو اللاتينية ، وما إليها ، قد تقطعت عبر مراحل انحلالها في لهجات محلية تطورت مع الزمن إلى لغات حية على أيدي أدبائها وعلمائها وسياسيها .

أما الانسان العربي فقد ظل مقيما في جزيرته يمارس مهنة الرعي إياها ، في ذات البيئة التي نشأت فيها أصوات حروفه ، لتنضج على مهل العصور في لغة لا أبلغ ولا أفصح ، في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم . ولذلك كان من طبيعة الأمور أن تتأصل هذه الصلة الفنية بين لغته وبين الطبيعة ، لتتأصل بذلك الصلة الراهنة بين الحروف العربية وبين الحواس والمشاعر الانسانية .

الافتراض الثالث :

إذا صح أن الانسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات حروفه ، فالمفترض أن توحي الأصوات ذاتها بمختلف الأحاسيس والمشاعر الانسانية . فأصوات الحروف قبل أن تنتمي إلى القطاع اللغوي ، تنتمي أصلا إلى القطاع الصوتي . ولقد اقتضاني البرهان على هذا الافتراض أن أقوم بدراسة تجريبية مبتكرة على الحواس الخمس للكشف عن العلاقات المتبادلة بين الأصوات والحواس . فخلصت منها إلى تصنيف الحواس في هرمين حسيين اثنين :

الهرم الأول :

إن الحواس الخمس ، من حيث طبيعتها المادية ، أي من حيث تعاملها مع مادة الأشياء ، يمكن تصنيفها في هرم حسي سوى ، قاعدته في الأسفل وذروته إلى الأعلى . تبدأ قاعدة هذا الهرم بحاسة اللمس أشد الحواس مادية لتماسها المباشر مع مادة الأشياء التي تتعامل معها . ثم تأتي حاسة الذوق الأقل مادية في الطبقة الثانية ، فهي لا تتعامل إلا مع الخصائص الذوقية في الأشياء . وتأتي حاسة الشم في الطبقة الثالثة ، إذ لاتتعامل إلا مع الروائح المنبعثة عن الأشياء . ثم تأتي حاسة النظر التي لاتتعامل إلا مع الصور والألوان المنعكسة عن الأشياء . أما حاسة السمع ، أقل الحواس مادية وأكثرها تجردا فهي تحتل قمة الهرم ، لأنها لاتتعامل إلا مع الفعاليات المنبعثة عن الأشياء على شكل موجات من الاهتزازات .

الهرم الثاني :

أما الحواس من حيث قدرتها عل استيحاء الأحاسيس الحسية واحتوائها ، فمن الممكن تصنيفها في هرم حسي ، منكوس ، ذروته في الأسفل ، وقاعدته إلى الأعلى .

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس في الذروة المنكوسة إلى أسفل. فملامس الأشياء لا توحي لنا بأي إحساس ذوقي أو شمّي أو بصري أو سمعي. وحاسة اللمس إنما هي كالغريزة الجنسية مغلقة على نفسها، عمياء صماء عن كل إحساس آخر.

ثم تأتي حاسة الذوق في الطبقة الثانية. فمذاقات الأشياء تحتوي الأحاسيس اللمسية، كل طعم يوحي بإحساس لمسي معين، إلا أنه لا يوحي لنا بأي إحساس شمي أو بصري أو سمعي. ثم تأتي بعدها حواس الشم فالبصر فالسمع. كل حاسة منها تدرك أحاسيسها مباشرة، كما تحتوي أحاسيس ما دونها من الحواس، على مثال ما لحظناه في الحاسة الذوقية. أما المشاعر الانسانية، فهي لشفافيتها المتناهية وتجردها المطلق عن المادة، تحتوي بالضرورة أحاسيس الحواس جميعا، ولكن من خلال معانيها.

فالحالة الشعورية التي تثيرها كلمة نابية أو نظرة شذراء مثلا، قد تعاني النفس من معناها ما تعانيه الأصابع من وخز الابر، وما يعانيه الذوق من مرارة الطعم، والشم من كريه الروائح والبصر من قبيح المناظر والسمع من ناشز الأصوات منكرها.

ولقد عقدت فصلا خاصا عن الشعور في هذه الدراسة للكشف عن خصائصه ودوره في عمليتي إبداع أصوات الحروف العربية واستيحاء معانيها، قد خلصت منه إلى أن الشعور الذي يعي ذاته بذاته، يمكن اعتباره حاسة من نوع خاص، فكان تصنيف الشعور كحاسة سادسة فوق قمة الهرم الحسي الأول، وعلى امتداد قاعدة الهرم الحسي الثاني.

الافتراض الرابع:

إذا صح أن الأصوات توحي فعلا بمختلف الأحاسيس الحسية والمشاعر الانسانية، وأن الانسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات حروفه، فالمفترض أن توحي هذه الحروف بذات الأحاسيس والمشاعر.

وللتحقق من صحة ذلك، أخذت أتأمل صدى أصوات الحروف العربية في نفسي للكشف عن خصائصها وموحياتها حرفا بعد حرف. ولقد تبين لي أن هذه الحروف موزعة بالفعل بين الحواس والمشاعر الانسانية. لكل حاسة مجموعة من الحروف، ولكل انفعال شعوري أساسي حرف خاص.

لقد اعتمدت بادىء الأمر تصنيفا خاصا للحروف العربية تبعا لموحياتها الصوتية، دون أن أعير طريقة النطق بها أي انتباه. ولكن ما أن اهتديت مصادفة بعد إنجاز هذه الدراسة للمرة الأولى، إلى أن الانسان العربي قد اعتمد الحركات الايمائية في بعض الحروف للتعبير عن معانيه، كما في حرف (الفاء)، حتى أعدت تصنيفها مجددا بما يتوافق مع خصائصها الايمائية أيضا.

وهكذا استقر الرأي أخيرا على جدول التوزيع التالي:

1 – لحاسة اللمس ستة حروف هي: (ت. ث. د. ذ. ك. م).
2 – لحاسة الذوق حرفان إثنان هما: (ر. ل)
3 – لحاسة البصر أحد عشر حرفا هي: (الألف المهموزة واللينة. ب. ج. س. ش. ط. ظ. غ. ف. و. ي).
4 – لحاسة السمع حرفان اثنان هما: (ز. ق).
5 – للمشاعر الانسانية سبعة حروف هي: (ص. ض. ن. خ. ح. هـ. ع).

أما حاسة الشم، فلم أجد لها حرفا خاصا لها، وإن كان لأصوات بعض الحروف إيحاءات شمية

إلى جانب ايحاءاتها الخاصة الأخرى . كما في الخاء للروائح القذرة ، والطاء للروائح العطرة .

الافتراض الخامس :

إذا صح ما انتهينا إليه ، من الافتراضات السابقة ونتائجها ، فالمفترض أن يكون لذلك كله سنده من واقع اللغة العربية ، وذلك بأن يكون لخصائص أصوات الحروف العربية دورها الفعال في تكوين معنى اللفظة العربية وتحديد مضمونه .

وللتحقق من صحة ذلك لجأت إلى المعاجم اللغوية أستفتيها الرأي عن مدى التوافق بين خصائص أصوات الحروف العربية وبين معاني الألفاظ التي تدخل في تراكيبها .

وعلى ألف مهل ، أخذت أتمعن صدى صوت كل حرف في نفسي ، وأتأمل طريقة النطق به لاستكشاف ما فيه من مختلف الخصائص الحسية والشعورية ، ايحائيها وايمائيها على حد سواء .

ثم قمت باستخراج معاني جميع المصادر التي تبدأ بكل حرف على حده ، أرتبها في جداول خاصة تربط بين معانيها روابط حسية أو معنوية . فإذا وجدت أن معاني المصادر قد التزمت بخصائص الحرف موضوع الدراسة بنسبة مئوية عالية ، اكتفيت بها على العموم . أما إذا كانت النسبة منخفضة فألجأ إلى استخراج معاني المصادر التي تنتهي به أيضا .

وربما عمدت في بعض الأحيان إلى استخراج معاني المصادر التي يتوسطها مثل هذا الحرف ، وذلك للتأكد من مدى تأثير خصائصه في معاني المصادر التي يشارك في تراكيبها . وهكذا الأمر من حرف إلى حرف .

على أن المشقة البالغة التي عانيت منها كانت تتمركز في اختيار المصدر ومعناه من بين عشرات المشتقات وعشرينات المعاني للكلمة الواحدة التي يتصدرها الحرف ، أو يتوسطها ، أو يقع في نهايتها . فأيها هو المصدر الجذر الذي تفرعت منه المشتقات ؟ ثم أيها هو المعنى الأصل الذي تشعبت منه المعاني ؟

فمن ألفين وتسعمائة وواحد وثلاثين مصدرا ومشتقا تبدأ بحرف النون في المعجم الوسيط . ومن آلاف المعاني ، وقع اختياري على ثلاثماية وثمانية وستين مصدرا جذرا ، قد اعتمدت لكل منها معنى أصلا واحدا أو معنيين اثنين في قليل من الأحيان .

ولكن بما أن اللغة العربية فطرية النشأة مقتبسة من الطبيعة ، فلقد كان من منطق الأمور أن أختار المصدر صاحب المعنى المحسوس باعتباره الألصق بالطبيعة والأقرب إلى الفطرة ، على أنني لم ألتزم بهذه القاعدة الحسية أحيانا بصدد الحروف الشعورية (هـ. ع. ح. خ. ص. ن...) لأن العربي قد أبدعها أصلا للتعبير عن معان شعورية غير محسوسة في مرحلة لغوية متطورة كما سيأتي .

ولقد تبين لي أن المصادر قد التزمت معانيها بخصائص أصوات الحروف القوية التي تبدأ بها وبخصائص الحروف الرقيقة التي تنتهي بها ، بنسب راوحت بين (50 – 90) في المئة من مجموع المصادر .

الافتراض السادس :

إذا صح ما توصلنا إليه من خصائص الحروف العربية ومعانيها ، فالمفترض أن يكون المعنى الأصل لكل مصدر هو محصلة معاني حروفه . وهذا هو الامتحان الأصعب .

ولكن هل تكفي معرفة معاني ثمانية وعشرين حرفا ، لمعرفة معاني عشرات الألوف من المصادر ومشتقاتها ؟

فإذا عرفنا معاني حروف مصدر معين ، وجمعنا بعضها إلى بعض ، هل يكون حاصل جمع معانيها هو معنى المصدر إياه ؟ ولكن معنى (كلم) غير معنى (لكم) ومعنى (برق) غير معنى (رقب) وهكذا .

ومنه يتضح أن ترتيب الحروف في المصدر له الدور الأهم في تحديد معناه ...
وهذه الأهمية ترجع أصلا إلى أن العربي كان في البدء يتقمص الحدث والشيء في الطبيعة فيعبر عن ذلك بأصوات حروف تتوافق خصائصها مع حركة الحدث أو مع شكل الشيء . وهكذا كان يخصص لكل منهما اللفظة التي يضاهي الحرف الأول منها بدايته ، ويضاهي الحرف الثاني منها وسطه ، ويضاهي الحرف الأخير منها نهايته . وذلك : (سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد) ، كما قال ابن جني في خصائصه .

وهكذا كان العربي يصور حركة الحدث وشكل الشيء في الطبيعة بأصوات حروفه تصويرا سينمائيا أو فوتوغرافيا ، إن صح التعبير . وطبيعي إذن أن تختلف مواقع الحروف في اللفظة تبعا لاختلاف حركة الحدث أو شكل الشيء ، وأن يختلف بالتالي معنى اللفظة باختلاف مواقع حروفها .

كما يضاف إلى ما سبق ، أن ترتيب أصوات الحروف في اللفظة ، سواء بما يضفي الانسجام على جملتها الصوتية ، أو بما يشيع الاضطراب والنشاز فيها ، له تأثيره البالغ أيضا في محصلة معاني حروفها . فالألفاظ التي في جملها الصوتية تناسق وانسجام ، قد خصها العربي على العموم بما يتوافق معها من المعاني التي فيها رقة وأناقة وجمال وسمو وفعالية ، وما إليها من جيد المعاني إلاّ مَا نَدَرَ . والعكس بالعكس صحيح .
وهكذا يتحدد معنى المصدر الجذر بأمور ثلاثة . بخصائص حروفه ومعانيها ، ثم بكيفية ترتيبها ، وأخيرا بجملتها الصوتية .
وهذه المعطيات الثلاثة ، وإن زادت المسألة تعقيدا ، إلا أنها هي التي تكشف لنا عن تلونات معنى كل مصدر من المصادر ، وإن شارك غيره في ذات الحروف ليستحيل بذلك وجود لفظتين اثنتين في اللغة العربية بمعنى واحد ، وإن أشارتا إلى ذات الحدث ، أو ذات الشيء ، فالمترادفات معدومة في اللغة العربية .

ولقد عقدت فصلا خاصا في هذه الدراسة للتثبت من صحة هذا الافتراض بعنوان (في التطبيق على خصائص الحروف العربية ومعانيها) ، قد استخرجت فيه معاني ستين كلمة .

والتزاما بموضوعية البحث ، وحذرا من تهمة التحيز لصالح هذه الدراسة بمعرض اختيار الأمثلة ، ورغبة مني في تحديد المعاني الأصل لكثير من مفاهيمنا المتداولة ، فقد عمدت إلى حصر هذه الأمثلة من الكلمات في قطاعات أربعة ، هي :

الأحداث في الطبيعة ، والقيم ، والنقائص ، والمفاهيم الفلسفية والاجتماعية . ولما كان كل ثلاثي قد جاء من مقطع جذر ثنائي الحروف بزيادة حرف ثالث ، وكان كل مقطع ثنائي قد جاء من حرف جذر بزيادة حرف ثان ، فلقد عمدت إلى استخراج معنى كل كلمة منها وفق طرائق أربع :

بالرجوع إلى معناها في المعاجم ، ثم إلى معاني أسرتها من المشتقات ، فإلى معاني مقاطعها الثنائية الحروف ، وأخيرا إلى خصائص حروفها المتحصلة لدينا من هذه الدراسة .

وقد لوحظ أن المعاني المستخرجة للكلمة الواحدة بحسب هذه الطرائق الأربع ، كانت على العموم تتضافر على الكشف عن معناها الأصل ،

بكثير من الدقة والوضوح ، كما كانت تكشف عن أسباب تنوع معاني المصدر الواحد ومشتقاته ، وإن تناقضت في بعض الأحيان . كما كانت تكشف أيضا عن أخطاء المعاجم في تفسير بعض الكلمات ولقد أشرت إلى تلك الأخطاء أحيانا .

ولكن كيف كان السبيل إلى معرفة المعنى غير الحسي في المفهوم الفلسفي المجرد ، من لفظة قد أبدعت أصلا للتعبير عن معنى محسوس ؟

لما كان من المتعذر أصلا على العربي تقمص المعاني المجردة غير المشخصة ، وهربا من الرمزية الاصطلاحية التي تتعارض مع نزعته الفنية ، فقد عمد إلى الافادة من وجود علاقة ذهنية معينة تربط بين المعنى الحسي لمصدر جذر معين ، وبين المعنى غير الحسي الذي يجول في خاطره ، فاستعار المصدر بالذات أو واحدا من مشتقاته ، للتعبير عن هذا المعنى المجرد .

وهكذا كان لابد لي من بذل المزيد من الجهد للكشف عن الرابطة الذهنية بين المعاني الحسية الأصلية للكلمات وبين معانيها غير الحسية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمفاهيم الفلسفية ، كما في عقل البعير (ربطه) ، وعقل الأشياء (أدرك كنهها) . العدل ، بكسر العين والعدالة ، الحق بضم الحاء والحق بفتحها ...

ولو أنني اقتصرت في الأمثلة المضروبة من الكلمات ، على ما يدل على المعاني الحسية ، لما لاقيت في استنباط معانيها أي صعوبة تذكر ، بمجرد الرجوع إلى معاني حروفها . ولكنها الموضوعية في البحث ، والنزاهة في التقصي .

على أن هذه المفاهيم الفلسفية ، وما إليها من القيم والنقائص ، قد أتاحت لي فرصة نادرة للكشف عن قدرة ذهن العربي على التجريد انطلاقا من المحسوس ، وعلى مدى صدق حدسه الفني الذكي البكر بمعرض استنباط الرابطة الذهنية بين المعاني الحسية للألفاظ وبين المعاني المجردة ، مما يكشف عن عمق نظرة الانسان العربي في الوجود .

وهكذا بانتهائنا مع الافتراض السادس إلى هذا التطابق بين معاني حروفها على وجه ما سبق بيانه ، فإن هذه الحقيقة تنسحب بالضرورة على جميع الافتراضات السابقة ، بدءا من فطرية اللغة العربية ، وانتهاء بما تحصل لدينا من خصائص الحروف العربية ومعانيها .

الافتراض السابع :

كل أثر فني أصيل يحمل بالضرورة نفحة من روح مبدعه الفنان ، لينطبع بطابعه الشخصي المميز ، عمارة كان الأثر أو نحتا أو لوحة أو شعرا أو قطعة موسيقية . فلا يصعب على ذواقة الفنون الاصلاء مع هذا الطابع المميز ، أن ينسبوا الآثار الفنية المجهولة الانساب إلى أصحابها .

فإذا صح ما سبق وافترضناه ، من أن الانسان العربي قد أبدع حروفه عفو فطرته السوية ليعبر بها عن أحاسيسه ومشاعره ، فإنه لابد للحرف العربي أن ينطبع بطابع الشخصية العربية .

فتعامل الانسان العربي مع هذه المادة الصوتية من الحروف طوال آلاف كثيرة من الاعوام قد أنشأ علاقة عضوية متميزة بين شخصية الانسان العربي وبين خصائص الحرف العربي .

فكما أن الانسان العربي قد مازج بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية فيما هو أصيل من تقاليده وعاداته ومؤسساته ، فكانت المقامات الرفيعة وقفا على ذوي المواهب والمناقب والميول السامية والعكس بالعكس صحيح ، إلا فيما ندر ، كما سيأتي ذلك

مفصلا في كتابي المقبل ((الجذور الثقافية في الشخصية العربية)) - كذلك سلك الانسان العربي هذا النهج الفني الأخلاقي إياه مع حروفه ومعانيه . فالحروف التي في أصواتها تناسق وانسجام وفعالية ، قد خصصها العربي بما يتوافق مع صداها المحبب في النفس ، من معاني الشهامة والسمو والصفاء والفعالية ، وما إليها من القيم الجمالية والانسانية . أما الحروف التي في أصواتها فجاجة واضطراب ورخاوة ونشاز ، فقد خصصها بما يناسبها من معاني القبح والنقائص الانسانية ، كما سيأتي مفصلا في دراسة الحروف العربية . روابط صحيحة متبادلة بين القيم الجمالية في أصوات الحروف العربية ، وبين القيم الانسانية في معانيها ، تؤكد صحة ماذهبت إليه من أنه (لا فن بلا أخلاق ، ولا أخلاق بلا فن) .

على أن الحرف العربي قد بلغ أقصى أبعاده الفردية في القافية ، قبة لكل بيت من الشعر الجاهلي ، ثم في الحروف النورانية يرتل المؤمنون أصواتها بخشوع ما يرتلون آيات الله في قرآنه الكريم .

كما بلغت شخصية الانسان العربي أقصى أبعادها في البطل قبة لكل قبيلة ، وفي النبوة قبة لكل مرحلة .

ومع هذا التطابق الأخير بين ((شخصية)) الانسان العربي ، و ((شخصية)) الحرف العربي نكون قد انتهينا من هذه السلسلة من الافتراضات ونتائجها إلى حقيقة ثابتة أخيرة تنسحب بحكم المنطق الرياضي على ما سبقتها من الافتراضات والنتائج إلى أن نصل إلى مقولة :

((فطرية اللغة العربية)) .

الحروف الجوفية / أهميتها / نشأتها

الحلقة الثانية :

أولا : حول أهمية الحروف الجوفية :

لما كانت الحروف الزراعية إيمائية كالحروف الجوفية كما أسلفنا في الحلقة السابقة ، فمن المستحسن أن نكشف عن أهميتهما معاً بمعرض مشاركتهما في تراكيب حروف المعاني .

فباستعراض حروف (الجر والعطف والنصب والجزم والنفـي والشرط والنـداء والجواب والاستقبال ...) إلى واحد وثلاثين نوعاً من حروف المعاني ، نجد أن دوران بعض الحروف العربية فيها يبلغ أضعاف دوران بعضها الآخر .

وبإحصاء ما جاء في شروح معاني المفردات في كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأحمد بن هشام) ومعظمها من حروف المعاني ، عثرنا على (87) مفردة ، تتألف الواحدة منها من حرف واحد أو أكثر ، قد شارك في تراكيبها (24) واحداً من حروف البناء ، تكررت فيها (185) مرة .

ولفت انتباهي أن دوران بعض الحروف الغابية والزراعية قد بلغ أضعاف دوران الحروف الرعوية . فلقد تكرر دوران الحروف الجوفية (الالف مهموزة ولينة) (الواو والياء) على التوالي (32 / 7 / 5) مرات . وتكرر دوران الحروف الزراعية (اللام والميم والفاء) على التوالي : (32 / 17 / 3) مرات .

أما الحروف الرعوية ، فكان دوران حروف (ن / ك / ع / ب / د / س) على التوالي : (15 / 11 / 10 / 8 / 7 / 6) مرات . وكان دوران بقية الحروف يتردد بين (1 / 3) مرات باستثناء حرفي (ذ / هـ) كان دورانهما (7 / 5) مرات .

وباستعراض واحد وثلاثين نوعاً من حروف المعاني في كتاب (جامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني) عثرنا على (139) حرفاً ، قد شاركت في تراكيبها الحروف الجوفية (ا / و / ي) على التوالي (81 / 14 / 11) مرة . وشاركت الحروف الايمائية (ل .م . ف) على التوالي (55 / 28 / 2) مرة . وشاركت الحروف الرعوية الايحائية (ن. ك. ع. ب. د. س) على التوالي (43 / 10 / 2 / 4 / 1 / 2) مرة . وكان دوران بقية الحروف الرعوية يتردد بين (1 / 5) مرات . وذلك بنسب مقاربة لما لحظناه لدى ابن هشام .

ولقد شاركت الحروف الغابية والزراعية في تراكيب (119) حرفاً معنوياً من أصل (139) . مع الاشارة إلى أن الحرف المعنوي الواحد منها كان يتكرر بذاته في أكثر من نوع واحد من أنواع حروف المعاني ، لشتى الاستعمالات والمعاني .

وهذا يؤكد تفوق الحروف الغابية والزراعية على الحروف الرعوية في قطاع الحروف المعنوية أقدم المستحاثات الأثرية في اللغة العربية .

على أن الحروف الغابية والزراعية لايستمدان أهميتهما من كثرة دورانهما في حروف المعاني فحسب ، وإنما لأمرين آخرين أيضاً .

1 – كثرة دوران حروف المعاني التي تشارك في تراكيبها هاتان الفئتان من الحروف في اللغة العربية المحكية والمكتوبة .

2 – كثرة تفرعات معاني كل حرف معنوي منها وتنوع استعمالاته بما يتلاءم في معظم الأحيان مع خصائص ومعاني حروف البناء التي تشارك في تركيبه . فكان لحرف اللام لدى ابن هشام (29) معنى واستعمالاً . وكان لحروف (الهمزة والباء والفاء) على التوالي (14 / 14 / 15) معنى واستعمالاً .

وكان لحروف (عن . أو . في . على . إلى) على التوالي (13 / 12 / 10 / 9 / 8) معاني واستعمالات .

ولما كانت هاتان الفئتان من الحروف الايمائية هما قوام معظم حروف المعاني أقدم المستحاثات في اللغة العربية ، لبساطة تراكيب معظمها (من حرف واحد أو حرفين) ، فإن ذلك يقطع بأنهما هما الألصق طبيعة ونشأة بأصول اللغة العربية ، وبالتالي الأبعد غوراً في التاريخ من الحروف الرعوية .

ولما كانت سلامة استعمال حروف المعاني متوقفة على معرفة حقيقة معانيها ، فإنه لابد أولاً من معرفة أصول معاني الحروف الغابية والزراعية التي شاركت في تراكيب معظمها . ولمعرفة معاني هاتين الفئتين من الحروف ، لابد من العودة إلى نشأتهما البكر ، فنرى كيف ارتبطت معاني كل حرف منهما بخصائصه الايمائية التمثيلية ، فاستقر عليها طوال آلاف الأعوام .

وبذلك لا نفهم معاني حروف المعاني التي تشارك الحروف الايمائية في تراكيبها فحسب ، وإنما سنعرف أيضا الأسباب الحقيقية التي دعت الانسان العربي إلى استعمال كل واحد من الحروف المعنوية في معظم معانيه ووظائفه المتطورة الراهنة . وهذا ما يساعدنا على الكشف عن الأخطاء التي ارتكبت في شروح معاني بعض حروف المعاني ، سواء بإسناد وظائف لها لاتملك مؤهلاتها ، أو بعدم الاهتداء إلى وظائف بعضها الآخر .

ولئن كانت هذه الدعوة بلزوم الرجوع إلى أصول لغتنا بحثاً عن معاني حروفها ومفرداتها تتعارض مع ما استقر عليه رأي علماء اللغة الغربيين ومن تبعهم من دكاترتنا ، من حيث عدم جدواها ، إلا أن ما لايصح على اللغات الغربية الاصطلاحية ، يصح بالضرورة على اللغة العربية إذا كانت فطرية وهي فطرية النشأة فعلا كما سيأتي .

ثانيا : حول نشأة الحروف الغابية (ا. و. ي) :

كيما نستطيع تعليل الخصائص الايمائية التمثيلية التي علقت بهذه الحروف طوال آلاف كثيرة من الأعوام توصلا لمعرفة معظم وظائفها ومعانيها ، لابد لنا من الرجوع إلى المرحلة الحياتية التي نشأت خلالها ، ولو باقتضاب شديد .

فهذه الدراسة عن حروف المعاني هي إحدى التطبيقات الميدانية لمقولة (فطرية اللغة العربية) على واقع التاريخ والمعاجم اللغوية .

فالقول بفطرية اللغة العربية يستدعي القول بأن الانسان العربي هو وحده الذي أبدع حروفه ومن ثم لغته في الجزيرة العربية ، قد اقتبسهما مباشرة من الطبيعة المادية والانسانية ، وطورهما معاً عبر مراحله الحياتية . لا يجرح هذا القول أن يكون ثمة لغات أخرى تشارك اللغة العربية حروفها قد سميت خطأ أو تآمراً (بالسامية) . فهي عروبية جميعاً قد خرجت من الجزيرة العربية مع الموجات الرعوية التي طردها جفاف ما بعد العصر الجليدي الأخير ألف عام بعد ألف ، قبل أن تستوفي لهجاتها أسباب تطورها . أما اللغة العربية وريثة تلك اللهجات ، فقد بقيت في مهدها تتفاعل مع ذات البيئة الصحراوية وذات الحياة البدوية على ألسنة وفي أسماع هزاجها وشعرائها وأنبيائها إلى أن استوفت شروط نضجها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم .

والقول بغابية الحروف الجوفية يستدعي إقامة الدليل على أن المرحلة الغابية لها جذورها في هذه الحروف طرائق في التعبير تدل على معانيها .

ففي المرحلة الغابية أقدم المراحل الحياتية التي مر فيها إنسان الجزيرة العربية إبان العصر الجليدي الأخير قبل عشرات ألوف الأعوام ، كان لابد له أن يستخدم الصراخ والأصوات الهيجانية مترافقة مع الحركات الجسمية ، بمعرض التواصل مع أبناء جنسه . وشأنه في ذلك شأن أي إنسان بدائي آخر على وجه الأرض .

فالحركات الجسمية سواء كانت هيجانية أو عفوية أو إرادية ، إنما هي متأصلة في دنيا التواصل الانساني منذ ملايين الأعوام حتى الآن . فقد لاحظ الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) أهمية الاشارة (أي الحركة الجسمية) بمعرض الدلالة على المعنى . كما يؤكد العالم (بيردوسل) مبدع علم الحركات الجسمية في الخمسينات من هذا القرن أن نسبة (سبعين في المئة) من التواصل بين الناس يتم بالحركات الجسمية (يد . رأس . عنق . شفة . لسان . فم . عين . حاجب ، جفن . قسمات . وجه . أصبع . ذراع . رجل . إلخ ...) .

وهذا الترافق الغريزي بين النطق والحركات الجسمية ، يعود إلى أن المناطق الدماغية المتعلقة بالنشاط التقني وصنع الأدوات مترابطة ترابطاً متبادلا مع المناطق الدماغية الخاصة بالنطق (كتاب علم اللغات لجورج مونين . ترجمة د . بدر الدين القاسم ص 28 / 29) .

ولاشك في أن الانسان العربي قد أبدع المزيد من أنواع الصراخ والحركات الجسمية في المرحلة الغابية تلك تعبيراً عن حاجاته ومعانيه المحدودتين ، بما يتلاءم مع مستواه البدائي آنذاك . ولذلك كان من البداهة أن يسقط الكثير من تلك الأصوات والحركات في المراحل الحياتية التالية مما لم يعد بحاجة إليه . فلا يبقى منهما إلا ما يتلاءم مع مستوياته الحضارية المتطورة المثالية ، وما يلبي حاجاته ومعانيه المستجدة ، وإن بكثير من التلطيف والتهذيب .

ولما كانت أصوات الحروف الجوفية (ا . و . ي) والهمزة المزمارية هي أقرب الأصوات الانسانية إلى الهيجاني ، والأسهل نطقاً ، فقد امتدت إليها شعوب العالم جميعاً ، لا تخلو منها لغة حية ولا لهجة بدائية ، قد ورثناها كغيرنا من وسائل الاتصال في العهود الغابية . ولكن بعد أن تلطفت أصواتها الهيجانية وتهذيب حركات الرأس الايمائية التي كانت ترافقها عبر العصور ، فإننا لانكاد اليوم نستبينها عند النطق بأصواتها إلا بمزيد من التمعن والتدقيق .

فما هي هذه الحركات الايمائية الغابية ، وما هي دلالاتها ؟ ثم ما تطبيق ذلك على واقع المعاجم اللغوية وحروف المعاني ؟

كيف نهتدي إلى خصائص الحروف العربية ومعانيها ؟

الحلقة الثالثة :

أولا : حول أبعاد هذه المشكلة :

لقد عرضنا سابقاً أنه لابد أولاً من معرفة معاني حروف المباني توصلاً لمعرفة معاني حروف المعاني وأصول استعمالها . ولكن أين نعثر على معانيها ؟ .

ما أحسب أن عالم لغة عربية إلا وقد عمل على تحديد معاني بعض الحروف العربية ووظائفها في سياق أبحاثه اللغوية ، ولا سيما الصرفي والنحوي منها ، وبصورة خاصة ما يتعلق منها بحروف المعاني .

ولكن هل يصح لنا الركون إلى ما توصلوا إليه ، ولما يقل أحد منهم بانتماء الحروف العربية إلى المراحل الغابية والزراعية والرعوية ، ولم يتطرق إلى خصائصها الايمائية ؟ . مما يؤكد استحالة اهتدائهم إلى حقيقة معانيها جميعاً ، ولئن أصابوا في تحديد معاني بعضها باعتمادهم خصائصها الايحائية ، إلا أنه قد فاتهم ما يتعلق بالايمائي من خصائصها . وهكذا كان لابد لي من اتباع نهج خاص في هذا الصدد يراعي مسألة الايمائي والايحائي معاً في أصوات الحروف العربية ، ومسألة انتمائها إلى المراحل الحياتية الثلاث .

ويستحسن بنا أن نجري أولاً مقارنة سريعة بين نهج بعضهم ونهجي في استخلاص معاني حروف المباني .

ثانيا : علماء اللغة العربية بين النصوص ومعاني الحروف :

تنطلق هذه الدراسة من مقولة (فطرية اللغة العربية) كما أسلفنا سابقاً . بمعنى أن أصولها ضاربة في أعماق التاريخ قد اقتبست مباشرة من الطبيعة ، وليست مجرد مصطلحات عقلية قد تواضع الناس على معاني ألفاظها . فقد استقر رأي علماء اللغة العربية القائلين بفطرتها ، على أن معنى كل كلمة عربية هو بالضرورة محصلة معاني الحروف التي تشارك في تركيبها .

ولقد حاول (ابن جني) ، وهو من أقدم القائلين بفطرية اللغة العربية أن يستخلص معاني بعض الحروف بالرجوع إلى معاني الكلمات التي تشارك في تراكيبها . فاستهدى تارة بقاعدته الذكية : ((لا ينكر تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)) . واستهدى تارة أخرى بقاعدته الأذكى : ((حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)) . كما حاول

(العلايلي) وهو من أحدث القائلين بها أن يحدد معاني الحروف العربية : ((بما تسمح به النصوص)) .

ولئن أصابوا جميعاً في تحديد معاني بعض الحروف ، إلا أنهم قد أخطأوا في تحديد معاني بعضها الآخر .

ويقول ابن جني : (الحاء) فيه رقة ، وفي (الخاء) غلظة . فقيل (نضح) للماء القليل ، و (نضخ) للماء الكثير . ثم يقول : (القاف) فيه صلابة ، وفي (الخاء) رخاوة . فقيل (قضم) لليابس ، و (خضم) للرطب . وبذلك يكون ابن جني قد أسند لحرف (الخاء) خاصيتين لاتخلوان من التعارض .

وقد لاحظ الارسوزي العلاقة بين معاني التخريب في المصادر التي تبدأ (بالخاء) وبين ظاهرة التخريب في صوتها ، كما في : (خرَّ خريراً / خرب / خرس / خرم / خرق ...) فأسند هذه الخاصية الصوتية (للخاء) . وكان هذا الاكتشاف فاتحة اهتمامه باللغة العربية بمعرض البرهان على فطرتها .

أما العلايلي فقد قال عن (الخاء) بأنها : ((للمطاوعة والانتشار والتلاشي)) .

وهكذا لم يهتد أحد من علماء اللغة العربية إلى مختلف معاني (الخاء) ، لأنهم لم يتبعوا نهج الانسان العربي في إبداع كلماته تعبيراً عن معانيه بما يتوافق مع صدى أصوات حروفها في النفس . فالانسان العربي ، تأثرا منه بخصائص الخنخنة الكريهة والرخاوة والتخريب في صدى صوت (الخاء) في النفس ، قد جعلها في مقدمة المصادر التي تدل معانيها على أمراض وعيوب نفسية وأخلاقية وجسدية وعلى القذارة والبشاعة والفحش ، وما إليها من الرخاوة والتخريب والتفاهة والاضطراب ، بما نسبتها (80) في المئة . كما كان ثمة (13) مصدراً تدل معانيها على ما يفيد الرقة والصفاء والبضاضة ، بما يتوافق مع صوت (الخاء) مخففاً مرققاً ، منعماً ، بنسبة (5) في المئة فقط . وهذا ما يجيز لنا القول بأن (الخاء) هي سلة النفايات التي وضعها الانسان العربي في بنيان لغته الشامخ الأنيق . ولو أنهم استكشفوا خصائص صوت (الخاء) ابتداء لعثروا على حقيقة معانيها بالرجوع إلى المعاجم والنصوص . ولهذا السبب قد ابتعد العلايلي كثيراً عن حقيقة معاني معظم الحروف العربية في كتابه (تهذيب مقدمة اللغة) .

ثالثا : اعتماد خصائص الحروف العربية لمعرفة معانيها :

إن فطرية اللغة العربية تحتم وجود رابطة أصيلة بين خصائص الحروف العربية وبين معانيها . ولذلك فإن خصائصها الايمائية والايحائية هي بداهة أصول معانيها ، وليس العكس . فبدل أن ألجأ إلى النصوص لمعرفة خصائص الحروف ومعانيها كما فعل غيري ، قد بدأت بالتحري عن خصائصها أولاً ثم التحقق من توافق هذه الخصائص مع معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها ، متبعاً في ذلك النهج التالي :

أ – ألفظ صوت الحرف منفردا بشيء من التفخيم . وذلك لتضخيم الحركات الايمائية التي يمكن أن ترافقه ، عودة بها إلى مراحلها البكر ، قبل أن يتناولها الانسان العربي بالتهذيب والتلطيف في مرحلة شاعرية لاحقة . ثم أتأمل طريقة النطق بصوته بحثاً عن خصائصه الايمائية .

ب – ثم أتأمل صدى صوته المفخم في النفس ، بحثاً عن خصائصه الايحائية الأصلية قبل مرحلة التهذيب والتلطيف .

ج – وأخيراً ، ألجأ إلى أحد المعاجم اللغوية . فإذا كان الحرف (ذكوريا) ، في صوته قوة أو

صلابة أو شدة أو غلظة أو فعالية أو حدة ، وما إليها أكتفي في معظم الأحيان باستخراج أصول معاني جميع المصادر الجذور التي تبدأ به بحثاً عن التوافق بينها وبين خصائصه الايمائية والايحائية . وأقصد بالمصادر الجذور ما هو غير دخيل ولا معرب ولا مولد ولا محدث ، ولا ما يدل معناه على نبات أو حشرة أو حيوان أو جماد لا اشتقاق له . كما أقصد بأصول المعاني ، الحسي منها لا المعنوي ، مما هو ألصق بالطبيعة أصل نشأتها ونشأة حروفها . وذلك للكشف عن الرابطة الأصيلة بين خصائص الحروف ومعانيه .

أما إذا كان الحرف (أنثويا) ، في صوته رقة أو أناقة أو نعومة أو دماثة ، فألجأ إلى المصادر الجذور التي تنتهي به أيضا . وقليلاً ما ألجأ إلى المصادر التي يتوسطها . فالحروف الأخرى تزاحمه في مواقع قوتها على معاني المصادر ولا يبقى له منها إلا القليل . وذلك على العكس مما يدعيه بعض علماء اللغة من أن الحرف الوسط هو أقوى الحروف في الكلمة ، بدليل قابليته للتضعيف كما في (قسّم) بتشديد (السين) . وفاتهم أنها قوة مصطنعة ، فالفعالية الحقيقية في معنى هذه الكلمة هي لحرف (القاف) وليس لحرف (السين) .

وشأن الانسان العربي مع حروفه في لغته ، كشأنه مع الذكورة والأنوثة في مجتمعه . فالرجل البدوي كان أوحى بخصائص الذكورة عندما يتصدر الصفوف ، بمقابل ما كانت المرأة البدوية أوحى بخصائصها الأنثوية عندما تستكين في المضارب الخلفيّة . وذلك لأن أصوات الرجال والنساء والحروف يجهر بها ويشد عليها عندما تتصدر الصفوف والحروف ، وتلفظ مخففة مرققة منعمة ، في مؤخرة الصفوف والحروف . مما يجعلها محكومة بقاعدة (وضع المناسب في المكان المناسب) . ما شذّ عن هذا النهج العربي الرعوي عبر التاريخ إلاّ قلّة من الرجال والنساء والحروف أيضاً ، ممن تمتعوا بشخصيات قوية .

وبتطبيق هذا المنهج على الحروف العربية جميعاً في المعجم الوسيط ، تبين لنا أن هناك حروفاً قوية الشخصية قد طبعت بخصائصها الايمائية والايحائية معاني المصادر التي تبدأ أو تنتهي بها بنسب راوحت بين (60 / 90) في المئة . كما كان إلى جانبها حروف متوسطة الشدة قد اقتصر تأثير خصائصها في معاني المصادر على نسب راوحت بين (50 / 60) في المئة . واقتصر تأثير خصائص حرف (التاء) في معاني المصادر التي تبدأ بها على (29) في المئة وحرف (الحاء) على (22) في المئة . فكانا بذلك أضعف الحروف شخصية .

أما الهمزة المزمارية والحروف الجوفية الثلاثة ، فلم ألحظ أن ثمة رابطة واضحة بين خصائصها وبين معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها . فهل يجيز لنا ذلك أن نحكم بأنها معدومة الشخصية ، وأنها بلا معان ؟ سنرى .

الحركات الايمائية في الحروف الغابية

الحلقة الرابعة :

كنا عرضنا في الحلقة الأولى أن الحروف الجوفية الثلاثة (الألف والواو والياء) قد ورثناها عن المرحلة الغابية كبقية شعوب العالم البدائية والحضرية على حد سواء .

ولكن ما هي أصول الحركات الايمائية التي ترافق أصواتها ، وماهي دلالاتها في لغتنا ؟

أولاً : الألف

أ / الألف المهموزة :

تقرأ الألف في أول الكلمة (همزة) . يحصل صوتها بانطباق فتحة المزمار وانفراجه الفجائي قبل أن يصل النفس إلى الحنجرة ، فكانت بذلك مزمارية المخرج ، لا حلقية ولا جوفية .

إذا لفظت الهمزة بشيء من التفخيم يترافق صوتها مع حركة انفراج الفكين واسعاً وحركة الرأس إلى الأعلى . فيحاكي صوتها الانفجاري بذلك نتوءاً في الطبيعة ، ويأخذ صورة الظهور والبروز والحضور ، كمن يقف فوق مكان مرتفع .

ولقد أفاد الانسان العربي من خصائصها هذه ، فاستخدمها منفردة لنداء القريب (أفاطم مهلاً) ، وممدودة لنداء البعيد (آزيداً) . كما استخدمها للاستفهام والطلب والتقرير والتهكم والأمر والتعجب ، وما إليها من الوظائف و المعاني التي عددها ابن هشام ، بما يتوافق مع ما ذكرناه من خصائصها .

كما جعلها في مقدمة أسماء الألوان الأصلية ، للوضوح (أحمر . أبيض) ، وفي مقدمة الضمائر الظاهرة للمتكلم والمخاطب (أنا . أنت) للحضور والظهور ، فحرم الغائب منها (هو هي) . كما جعلها في مقدمة الأفعال اللازمة للتعدية (أكرمه) ، وفي صيغة أفعل التفضيل (أشجع) للبروز والظهور .

وكان للهمزة نصيبها الوافي من حروف المعاني ، قد تصدرت بعضاً من حروف (النداء والشرط ، والتفسير ، والعرض ، والمصدرية والتشبيه والتوكيد ، والصلة) . وذلك للافادة من خصائصها الايمائية والايحائية في الوضوح والظهور والحضور بمعرض التعبير عن وظائف هذه الحرف ومعانيها .

أما إذا وقعت (الهمزة) في وسط الكلمة أو نهايتها ، فإن صوتها الانفجاري يحاكي عثرة في الطبيعة . (فأس . داء . كأداء) .

ب / الألف اللينة :

تقرأ الألف في وسط الكلمة ونهايتها (ألفاً ليّنة) . يخرج صوتها من جوف الفم مع حركة انفتاح الفكين وارتفاع الرأس إلى أعلى ، فيوحي صوتها بالامتداد إلى الأعلى .

ولقد أفاد العربي من هذه الخصائص فجعلها في نهاية (أنا) ، لمنح شخصية المتكلم مزيداً من السمو والرفعة في مواجهة المخاطب (أنت) ، الذي أنهاه بحرف (التاء) الرقيق الصوت الضعيف الشخصية ، استعلاء للمتكلم على المخاطِب . وحرك هذه (التاء) بالكسرة للمخاطبة إمعاناً في الاستعلاء عليها . وجعل (الألف) في صيغ (فاعلِ وفعّال ومفعال) للفعالية والمبالغة .

وقد جعلها في نهاية (إلى) لمنح الحدث المتعلق بها فسحة في المكان والزمان . فيقال : (ذهبت إلى البيت) ، ولا يقال : (ذهبت للبيت) ذلك لأن(اللام) للالتصاق كما سيأتي ، فلا فسحة معها لحدث الذهاب في المكان ، ولا في الزمان . ولهذا السبب يقال : وقفت منه ((وجها لوجه)) ، ولا يقال : ((وجها إلى وجه)) .

ولما كانت حركة الرأس إلى الأعلى في نهاية التواصل ، ايماء أو كلاما تشير إلى الرفض أو النفي ، فقد أسند العربي للألف في نهاية حروف المعاني (لا . ما . كلا) ، وظائف الرفض والنفي ، ضربا من الثبات والاستقرار .

ثانيا : الواو

يحصل صوتها بتدافع النفس في جوف الفم مع انضمام الشفتين على شكل حلقة ضيقة تسمح بمروره إلى خارج الفم . يترافق صوتها المفخم مع حركة اندفاع الفكين والرأس إلى الامام مما يشير إلى الفعالية والاستمرار .

لقد عدد ابن هشام في كتابه (مغني اللبيب) نيفا وثلاثين قسماً ومعنى (للواو) . كان العطف من أهم أقسامها ومعانيها الأصلية . فهي لديه ولدى الغلاييني (لمطلق الجمع على تقارب أو تراخ في الزمن) . واختلف الفقهاء في مسألة ترتيب متعاطفيها .

ونحن نرى أنه لا مجال للترتيب معاً وذلك بحكم تدافع النفس في جوف الفم عند خروج صوتها مما يضاهي تدافع متعاطفيها بلا ترتيب في الزمان والمكان ففي قدم زيد وسعد وخالد قد يكون خالد هو أول القادمين . وكان الغلاييني على هذا الرأي الصواب .

ولهذا السبب من تدافع النفس في إخراج صوتها ، جعلت ضميراً للذكور لدى ابن هشام حرفا دالا على الجماعة لدى سيبويه .

كما جعلها العربي في صيغة (فعول) للفعالية والمبالغة (أكول) ، وعلامة رفع جمع المذكر السالم إذا كان فاعلاً أو مبتدأ للفعالية .

ثالثا : الياء

صوتها في جوف الفم المترافق مع حركة الفك السفلي والرأس إلى تحت باتجاه الصدر ، يحاكي حفرة عميقة في الطبيعة ، على العكس من صوت (الهمزة) .

فأفاد العربي من خاصية الحفرة في صوتها وجعلها في نهاية الحرف (في) للاحتواء ، وفي صيغ التصغير ، وكأن الأسماء المصغرة قد وقعت في حفرة (رجيل . عو يمد) . كما جعلها علامة نصب وجر جمع المذكر السالم والمثنى ، ليتحملا في هذا المكان الخفيض الذي استقرا فيه وقع الاعتداء عليهما مباشرة أو بواسطة الحروف .

ولما كانت حركة الفك السفلي التي ترافق صوت (الياء) تشير إلى الذات ، فقد ألحقها العربي مشددة بالأسماء للنسبة (سوري . شرقي) . كما جعلها في صيغة (فعيل) ، إما لرسوخ الحالة المعنيّة في ذات صاحبها (عليم . حكيم) ، وإما بمعنى المفعول (قتيل) ، بما يتوافق مع خصائص (الياء) الايمائية والايحائية في كلا المعنيين .

ولكن لماذا ضعف تأثير هذه الحروف في معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها ؟

على الرغم من أهمية الحروف الغابية في القطاع الصرفي ، على وجه ما ألمحنا إليه آنفا فإنه لا رصيد يذكر لخصائصها الايمائية والايحائية في معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها كما أسلفنا . فلم ذلك ؟

هناك سببان اثنان :

الأول : فقرها في الايحاءات الحية والشعورية : لقد اقتصرت خصائص (الألف والواو والياء) على نقل الأبعاد الثلاثة في الطبيعة إيماء : إلى فوق وأمام وتحت . ولا موحيات حسية أو شعورية أخرى في أصواتها .

ونظراً لفقرها في الموحيات ، فإن الانسان العربي لم يجد مجالاً للتعبير بها عن معانيه الحضارية ، عبر مراحل تطوره . فقل بذلك تأثيرها المباشر في معاني المصادر التي تشارك في تراكيبها ، ولو كان لها دورها الثانوي في موسيقى الكلمة وتلوين معانيها .

والثاني : يتعلق بطبيعة أصواتها : كان الانسان العربي في مراحله اللغوية الأولى يكثر من استعمال الحروف الجوفية الثلاثة في تواصله مع أبناء جنسه بكثير من المد والتفخيم ، على مثال مانلاحظ ذلك لدى أبناء اللهجات الأفريقية البدائية ، كما في لهجة الموسي في (فولتا العليا) .

ولكن ما إن بدأت اللغة العربية تأخذ طابعها الشاعري على أيدي مزاجها وشعرائها حتى عمل الانسان العربي على إماتة هذه الحروف الغابية لعلة الطابع اللغوغائي في أصواتها . وقد أتبع في ذلك كما لاحظ العلايلي في مقدمته اللغوية ثلاث طرائق ، كان أهمها تحويلها إلى حركات شكل : الألف اللينة إلى فتحة ، والواو إلى ضمة ، والياء إلى كسرة ، فانعدم اللغو في لغته الشاعرية . وهكذا تكون الحروف الجوفية هي الأقدم في الزمن من حركات الشكل بآلاف كثيرة من الأعوام على العكس مما ادعاه بعض علماء اللغة العربية وفقهاؤها .

حول أصول حركات الشكل ودلالاتها

الحلقة الخامسة :

أولا : حول إماتة الحروف الجوفية في اللغة العربية :

لقد انتهينا من الحلقة السابقة إلى أن الانسان العربي قد عمل على إماتة الحروف الجوفية (الألف اللينة والواو والياء) في ألفاظه لسببين :

ا – فقر أصواتها بالموحيات الحسية والشعورية ، فانصرف عنها ما استطاع لعجزها عن التعبير عن أحاسيسه ومشاعره الانسانية في معانيه المستجدة عبر مراحله الثقافية المتطورة .

ب – عدم استعذابه غوغائية أصواتها في لغته الشاعرية الراقية . وكان ذلك بترجيح شديد بفعل الشعراء أنفسهم .

ولقد اتبع العربي في ذلك كما لاحظ العلايلي ثلاث طرائق .

ا – بالاستعاضة عن الحروف الجوفية بحروف صامتة ، وفي مقدمتها الهمزة . بعضها قد أميت كما في (وخي) قد تحولت إلى أخي . وبعضها لا يزال حيا ، كما في (بئر من بير ، أحد من وحد ، أطم من وطم ، نشر من وشر ...) وذلك كثير.

ب – بالتضعيف كما في (نب) من نبي ، وبالحذف ، كما في (أب – أم – دم) من أبو أبوة ، أمو أمومة ، دمو دموياً ...).

ج – بتحويل الحروف الصائتة إلى حركات – كما أسلفنا في الحلقة السابقة – وذلك بدليل بقاء هذه الحروف في بعض الكلمات كتابة دون لفظ ، كما في (عمرو – أولئك) .

ولكن على الرغم من المحاولات المتنوعة لاماتة الحروف الغابية في اللغة العربية ، فإنها لاتزال تحتفظ بأهمية فائقة لايحظى بمثلها أي حرف عربي آخر ، وذلك في قطاعين لغويين اثنين .

الأول قديم سابق للمرحلة الرعوية الشاعرية قبل أن يعمل العربي على إماتتها ، هي قطاع حروف المعاني .

والثاني حديث من نتاج المرحلة الرعوية الشاعرية ذاتها ، هو قطاع حركات الشكل . ولكن لما كانت الحروف الزراعية الايمائية تشارك الحروف الغابية في تراكيب معظم حروف المعاني ، فإننا سنكتفي هنا بتوضيح علاقة معاني حركات الشكل

بخصائص الحروف الجوفية الثلاثة . أما الحديث عن حروف المعاني ، فسنؤجله إلى ما بعد الانتهاء من تحديد معاني بعض الحروف الزراعية الايمائية والرعوية الايحائية التي تشارك في تراكيب حروف المعاني موضوع هذه الحلقات .

فعملية تحويل هذه الأصوات الغوغائية إلى حركات ، لا ألطف على اللسان لفظا ، ولا أرق في السمع جرساً ، ولا أخطر على المعاني استعمالاً ، إنما هي أشبه ما تكون بعملية تحويل المادة البترولية الخام إلى مشتقات ، لاأنقى طبيعة ، ولا أشف منظرا ، ولا أخطر استعمالاً . وكل منهما كان قبل التحويل ، خاماً ، وغوغائياً .

ثانيا : حول دلالات حركات الشكل :

1 / الفتحة :

هي مخفف (الألف اللينة) . قد جعلها العربي في نهاية الفعل الماضي ، للاستقرار : (من مات فات) . كما جعلها في نهاية المفعول به للاستكانة والاستقرار . وذلك لأن صوت (الفتحة) في نهاية الكلمة يلفظ بأخفض نبرة ، مما يجردها من كل فعالية ، على العكس مما وقعت في أول الكلمة أو وسطها . وقد لحظنا آنفا أن الألف اللينة في نهاية حروف (لا . ما . كلا) تشير إلى مواقف الرفض والنفي ، ضرباً من الثبات والاستقرار .

وقد استثمر الانسان العربي خصائص الاستكانة والاستقرار والثبات في حركة الفتحة ، فجعلها في نهايات الأسماء المنصوبة بما يناسب أغراضها . قد جعلها علامة نصب المفعول (به ، وفيه ، ومعه ، والمطلق) ، والمنادى ، والمستثنى بإلا ، والتمييز لأنها تتحمل جميعاً فعل الفاعل إما مباشرة ، وإمَّا بصورة غير مباشرة ، بواسطة حرف أو فعل محذوف مقدر .

أما الحال ، فقد نصب بالفتحة ، إما لوقوع الفعل عليه ضمناً بصورة غير مباشرة : (سرت والنهر) ، أو للثبات والاستقرار : (هذا الهلال طالعاً يقشع الظلام)

وفي كل الأحوال فإن هذه الأسماء المنصوبة لاتدل معانيها على فعاليات كيما ترفع بالضمة ولا على الاحتواء ، أو الامتلاك ، أو على حالات ذاتية فتجر بالكسرة ، كما سيأتي وشيكاً .

2 / الضمة :

هي مخفف صوت (الواو) قد جعلت علامة الفاعل والمبتدأ للفعالية ، وعلامة الفعل المضارع للاستمرار ، إرثاً عن خصائص (الواو) ووظائفها . ولا متسع هنا للاستمرار في هذا المسار لتعليل رفع اسم كان وأخواتها أو نصب خبرها ، ولا العكس مع (أنّ) وأخواتها ، وما يعمل عملها . وما أحسب أن تعليل ذلك سيكون أعسر ولا أغرب مما أتى به فقهاء اللغة العربية حول الكثير من إشكالاتها .

3 / الكسرة :

هي مخفف صوت (الياء) . قد جعلت علامة المجرور بأحد حروف الجر ليتحمل اعتداء الفاعل بواسطته : (سار على الطريق) . كما جعلت علامة جر المضاف إليه : للامتلاك (كتاب المعلم) أو للنسبة (دمع العين) ، أو للاحتواء : (سمك البحر) ، وذلك إرثاً عن خصائص الياء ووظائفها في الاحتواء والامتلاك والنسبة . ولم يخرج الغلاييني عن ذلك في تحديد وظائف الاضافة .

ثالثا : حركات الشكل و (عين) الفعل الثلاثي :

إن أبرع استعمال لحركات (الضمة والكسرة والفتحة) يتجلى في تحريك (عين) الفعل الثلاثي . فقد

بلغ العربي في هذا المضمار شأواً بعيداً من رهافة الأحاسيس والمشاعر ، في ترف لغوي لا نظير له .

1 – قد وكل إلى (الضمة) في عين الفعل الثلاثي مخفف صوت (الواو) ووريثها مهمة التعبير عن الفعاليات المنبثقة من الذات ، كما في (أَدُب ، شرُف) نبُه . رزُل ، خبُث) فكانت أفعالها لازمة إطلاقاً لاكتفائها الذاتي وعدم حاجتها إلى أي مفعول .

2 – ووكل إلى (الكسرة) مخفف صوت (الياء) ووريثتها ، مهمة التعبير عن حالات وصفات ذاتية ، مما ينبغي معها أن تكون أفعالها لازمة لاكتفائها الذاتي ، كما في (آسِف . حزِن . حقِد . وجِل . درِد . سوِد .)

ولكن لوحظ أن قلة من الأفعال قد شذت عن هذه القاعدة وذلك لسببين اثنين :

ا – إما لأن معاني بعضها يدل على حركة باتجاه الذات ، كما في (لعِق ، لقِف . لغِف ، لهِم . عشِق)

وقريب من ذلك فعل (شكِل) لاتجاه هذه الفاجعة نحو ذات الوالدين حصراً .

ب – وإما لتصحيف في نقل حركة الشكل أثناء التدوين في بداية العصر الأموي ، كما في فعل (عدِم المال) ، مما لايدل على حالة ذاتية . فكانت الفتحة أولى به ، كما سيأتي :

3 – ووكل إلى الفتحة مخفف صوت (الألف اللينة) ووريثتها ، مهمة التعبير عن الفعاليات المتجهة من الذات نحو الآخرين في الأفعال المتعدية . فحركة (الفتحة) في هذا الموقع إذا لفظت مفخمة ، كما كان العربي يفعل ذلك قبل المرحلة الشاعرية ، تمنح الأفعال مرتقى يساعدها على الاعتداء فيما إذا كانت مضامينها قابلة له ، كما في (أمَر . ضرَب . كسَر . دهَس ...) . أما إذا لم تكن قابلة للاعتداء فتظل لازمة كما في (أرَز . بقَع . بقَل . جنَح . حضَج . دجَن) .

وتأكيداً لهذا النهج ، فإن الفعل الثلاثي الواحد الذي حركت (عينه) بأكثر من حركة يلتزم معناه بما يتلاءم مع خصائص حركته ، كما في (أصل) .

فإذا حركت (عينه) بالفتحة كان متعدياً (أصَل الشيء) استأصله . وإذا حركت بالكسرة دل معناه على حالة ذاتية وكان لازماً (أصِل اللحم) فسَد . وإذا حركت بالضمة كان لازماً ويدل على فعالية منبعثة من الذات : (أصُل النسب) . شرُف . وكذلك الأمر في (لحم) بالفتح والكسر والضم : لحَم الشيء لأمه – ولحِم بالمكان نشب – ولحُم الرجل ، كثُر لحمه .

وكما في معاني الأفعال التالية بتحريك (عينها) بالفتح أولاً وبالكسر ثانياً : (أكَل الطعام ، مضغه ، وبلعه – أكِل الرجل ، أكل بعضه بعضاً – أشَر الخشب ، نشرها – أشِر ، مرح وبطر – لسَن فلاناً ، عابه – لسِن – فصُح – لعَسه – عضه – لعِست الشفة ، اسود باطنها – عَرق العظم ، أكل لحمه – عرِق ، رشح جلده – لفت الشيء ، لواه – لفِت الرجل ، حمق – عفص يده ، لواها – عفِص الطعام كان فيه مرارة وتقبض) .

وهكذا نستطيع اليوم أن نصحح الكلمات التي أصابها التصحيف أثناء التشكيل في تحريك (عين) الفعل الثلاثي بالرجوع إلى هذا النهج ، كما في (عقم) .

فقد ورد في المعجم الوسيط (عقمت المرأة والرجل (بالفتح) ، كان بهما ما يحول دون النسل . ويقال ، عقم الله المرأة والرجل ، جعله عقيماً) . كما ورد فيه أيضاً : (عقمت المرأة والرجل (بالضم) ، عُقماً فهو عقيم وهي عقيم ...) .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم ، لوحظ أن مشتقات هذا الفعل قد اقتصرت على المصدر (عقيم) في أربع آيات فقط .

وإذن لاحرج في أن نقول بأن الأصح أن تحرك عين (عقم) بالفتح للتعدية : (عَقَمه الله وعَقمها) . وإن تحرك بالكسر لمعاني العقم الحسية والمجازية وليس بالضم . وذلك لان العقم عجز ذاتي وحالة ذاتية ، تتوافقان مع خصائص الحركة الايمائية في الكسرة إرثاً عن (الياء) الغابية كما أسلفنا . فالعقم ليس فعالية ذاتية كيما تحرك عينه بالضم . وهذه الظاهرة من التصحيف غير نادرة في اللغة العربية .

فباستعراض الأفعال الثلاثية التي تبدأ بالهمزة في المعجم الوسيط عثرنا على (155) فعلاً كان منها (7) أفعال حركت عينها بالفتح والكسر لذات المعاني ، وكانت لازمة جميعاً . وهي ((أبِق – ازِمَ – أسِنَ – أفِرَ – أفِقَ – أقِلَ – ألِبَ .)) .

ونرى أن مايدل معناه فيها على حالة ذاتية يكتفى بتحريك (عينه) بالكسر فقط وهي ((أسِن الماء ، فسد ، أفِر ، نشط – ألِبَ الجرح – برىء ظاهره دون باطنه فانتفض)) . وأن تحرك (عين) الباقي بالفتح فقط : ((أَبق – هرب – ازَم على الشيء ، عضه – أفَق ، ضرب في الآفاق – أفَل النجم ، غاب)) .

وكان ثمة فعل واحد حركت عينه بالحركات الثلاث ، هو (انس) لذات المعاني : ((أنِسُ به ، فرح – انس إليه ، سكن إليه وذهبت به وحشته)) .

ونرى أن يكتفى بتحريك (عينه بالكسر فقط ، لأن معانيه جميعاً تدل على حالات ذاتية وليس على فعاليات ذاتية .

وبالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على / 188 / فعلاً ثلاثياً تبدأ بحرف (اللام) و (67) تبدأ بحرف (الثاء) و (210) تبدأ بحرف (العين) .

وبدراسة معاني هذه الأفعال على واقع حركة عينها ، حصلنا على نتائج مشابهة لما لحظناه مع حرف (الهمزة) ، مما يؤكد صحة ما أسندناه إلى حركات الشكل من الوظائف اللغوية . فما حركت (عينه) بالضم كان لازماً ويدل على فعاليات ذاتية . وما حركت (عينه) بالكسر كان معظمه لازماً ويدل على حالات ذاتية – أما المتعدي منها فكان معظمه يدل على حركة باتجاه الذات ، وقلة منه كان مصحفاً . وأما ما حركت (عينه) بالفتح فكان معظمه متعدياً .

ولقد ذكر الغلاييني في كتابه (جامع دروس اللغة العربية) ، خصائص الضمة والكسرة في (عين) الفعل الثلاثي ، بما يقارب ما عرضناه آنفاً . فمضموم (العين) كما لاحظ يدل على الغرائز والطبائع الثابتة وهو لازم إطلاقاً . أما مكسور العين فهو يدل على أمراض وعيوب وألوان مما يدخل في نطاق الحالات الذاتية) ومعظمها لازم .

ولكن الغلاييني لم يتعرض لحركة الفتح ، ولم ينتبه أيضاً إلى العلاقة بين خصائص الضمة والكسرة الموروثة عن خصائص (الواو والياء) ، وبين معاني الأفعال الثلاثية ، على وجه ما بيناه آنفا .

وهكذا استسلم الغلاييني للتراث سيراً على نهج من سبقه من علماء اللغة وأصحاب المعاجم في تحديد حركات (عين) الفعل الثلاثي ، دون أن يعير مسألة التصحيف فيها أي انتباه .

فبما أن الكتابة العربية لم تعرف الشكل حتى ما بعد جمع المصاحف في عهد الخليفة (عثمان) على يد الفراهيدي فإن شكل (عين) الفعل الثلاثي على السماع ، من المحتمل أن يكون قد تعرض بعضه إلى

التصحيف وإني لأتساءل :

أولا تستحق هذه الظاهرة اللغوية المزيد من اهتمام المجامع اللغوية وعنايتها ؟

وهكذا باعتماد الانسان العربي هذه الحركات المتأنية عن الحروف الجوفية الثلاث في ضبط التلفظ بأصوات حروف كلماته بمعرض تحديد صيغها ووظائفها ومعانيها ، تكون جذور هذه الحروف قد تغلغلت إلى كل شاردة وواردة في فصحانا العربية ، مما يمنح شخصياتها قوة فائقة وينهض بها إلى أرفع المقامات .

الجذور الغابية والزراعية والرعوية في الحروف العربية

الحلقة السادسة :

أولا : حول أصول اللغة العربية وجدوى العودة إليها :

لقد اتبع العلماء الغربيون في تحرياتهم عن (أصول اللغة) نهجين اثنين متعاكسين أحدهما يهبط مما قبل التاريخ إلى علم اللغة ، والآخر يصعد من علم اللغة إلى ما قبل التاريخ ، وانتهت محاولاتهم جميعاً إلى نتائج لاأساس علمي لها . وهذا ما دعا جمعية باريز اللغوية أن تقرر في أول نظام لها عام 1866 عدم السماح بمناقشة أي بحث يتناول أصول اللغة ، ولم يرفع هذا الحرمان . يقول العلامة توفار ((يبدو لنا من الناحية اللغوية وبعد النظر في آلاف السنين التي تشكل ما قبل التاريخ أن مشكلة أصول اللغة مستعصية على الحل)) ، كتاب تاريخ علم اللغة لمؤلفه جورج مونين (ترجمة د . بدر الدين القاسم ص 16 - 17) . وذلك لأن اللغات واللهجات التي تناولوها في بحوثهم كانت إمّا بدائية غير نضيجة بلا أصول ، وإمّا حية متطورة قد انتقلت مراراً من شعب إلى شعب ومن بيئة إلى بيئة ، فضاعت أصولها منذ آلاف الأعوام . وهكذا خلص علماء اللغة الغربيون إلى رمزية الكلمة ، فقال (سوسير) ، أحد كبار مؤسسي علوم الألسنية الحديثة : ((أن الرموز الصوتية للكلمة لا معنى لها في حد ذاتها ، أي اعتباطية . والعلاقة بين الرموز والمعاني ، على الرغم من عشوائيتها هي اصطلاحية اتفاقية ، ثابتة بالنسبة للغة الواحدة والمجتمع الواحد)) . (المجلد / 19 / ج الأول لعام 1988 ص 33) من مجلة اللسان العربي .

ولقد اتبعت هذين النهجين معاً بمعرض البرهان على فطرية اللغة العربية في دراستي عن (الحرف العربي والشخصية العربية) ، فكانت نتائجهما الايجابية متكاملة ومتطابقة . وذلك لأن اللغة العربية ظلت أداة التواصل مع ذات الشعب الذي أبدعها ، في ذات البيئة التي نشأت في ربوعها ، تتفاعل معهما مرحلة حياة بعد مرحلة ، وألف عام بعد ألف إلى أن استوفت شروط نضجها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ، فحفظا لها أصولها من الضياع . وهكذا بقيت لنا هذه الأصول عالقة باللغة العربية ، لا بل بالحرف العربي بالذات حتى يومنا هذا .

ولكن ، لما كان الهبوط مما قبل التاريخ إلى الحروف العربية الراهنة يتطلب سرد المزيد من الأدلة

التاريخية والأثرية والنفسية والاجتماعية والمهنية والفنية وما إليها ، مما يبعدنا كثيراً عن موضوعنا اللغوي هذا ، فقد اخترت النهج الثاني .

فالصعود بالحروف العربية على مدارج من خصائصها الايمائية والتمثيلية والايحائية على واقع معانيها المعجمية إلى ما قبل التاريخ ، من شأنه أن يوصلنا إلى أصول نشأتها الأولى ، في المراحل الغابية والزراعية والرعوية .

وعلى الرغم من أن صحة نتائج الأدلة اللغوية تنسحب بالضرورة على كل ما عداها! من الأدلة ، إلا أنه من المفيد أن نسرد ما تحصل لنا من نتائج الأدلة الأخرى عند الاقتضاء ، كيما يكون القارىء أقدر على تمثل خصائص الحروف العربية واستيعاب معانيها .

فالرجوع إلى المرحلة التي أبدع فيها الانسان العربي كل حرف من حروفه ، من شأنه أن يساعدنا على استشفاف خصائصه البكر ، وبالتالي معناه الأصل الذي أبدع خصيصاً للتعبير عنه .

ولما كان معنى الكلمة العربية في ظل مقولة (فطرية اللغة العربية) هو بالضرورة محصلة معاني حروفها ، فإن العودة إلى أصول معاني الحروف العربية يمنحنا المزيد من المكاسب اللغوية والقومية والاجتماعية والانسانية ... منها :

1 – إلقاء أضواء جديدة على معاني الكلمة العربية ومشتقاتها ، فنميز بين معانيها الحقيقية والمجازية ، مما يساعدنا على سلامة استعمالها لمعان معاصرة لم ترد في تراثنا ، لا سيما العلمي منها .

2 – تحرير معاني الكلمة العربية من الشوائب المعجمية والتراثية التي قد تكون لحقت بها في الشروح والتفاسير .

3 – تصحيح حركة (عين) الفعل الثلاثي بما ينسجم مع معانيه كما أسلفنا في الحلقة السابقة .

4 – اكتشاف الأخطاء التي طرأت على بنية بعض الكلمات العربية بعد التدوين وقبل التنقيط بإسناد حرف معين لكلمة لا تتوافق خصائصه مع معانيها ، بدلا من الحرف الأصل الذي تتوافق خصائصه مع معانيها ، مما يشبهه قبل التنقيط . كما في حروف : (ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. س. ش ...).

5 – تحديد المخرج الصوتي لكل حرف عربي على المدرج الصوتي ، بأن يلفظ صوته بطريقة معينة من الشدة أو الرخاوة أو الفخامة أو الخنخنة وما إليها ، بما يكفل التوافق بين موحياته وبين معاني المصادر الذي يشارك في تراكيبها . وبذلك نستطيع اليوم أن نفصل في الخلاف بين العلماء حول مخارج العديد من أصوات الحروف كما في (ع. ج. ض. خ. ق. ك ...) فنلفظ أصوات حروفنا قريباً جداً مما كانت عليه في الجاهلية ، ونحفظ للسان العربي بذلك اصالة النطق به من الضياع في تيارات لاحصر لها من اللهجات الاقليمية والعامية جيلاً بعد جيل .

6 – تهديم جدران الرمزية والاصطلاحية الغربية التي حاصرت علوم اللغة العربية وكثيراً من دكاترتها .

7 – دعوة للألسنية الحديثة للافادة من هذه الظاهرة الأصيلة في اللغة العربية ، في انعطاف تصحيحي جديد لها .

وثمة مكاسب غيرها لا متسع لسردها ، كان من أهمها الكشف عن النزعة الفنية الأخلاقية في مقومات الشخصية العربية . نهج في دنيا الثقافة مستمد من نهجه في دنيا المجتمع .

ثانياً : حول مراحل إبداع الحروف العربية :

لقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن إيمائية الحروف الغابية (الألف والواو والياء والهمزة المزمارية) ، وعن دلالاتها الحركية بما يكفل إقناع القارىء بصحة انتائها إلى المرحلة الغابية . ولكن القارىء قد يتساءل : لماذا قسمنا الحروف الايمائية إلى غابية وزراعية ، فلا تكون غابية كلها أو زراعية كلها ، مادام الانسان العربي قد اعتمد طريقة التلفظ بأصواتها إيماء وتمثيلاً للتعبير بها عن حاجاته ؟. فأجيب :

إن الطابع الغالب على أصوات الحروف الغابية كما أسلفنا في الحلقة السابقة ، هو الهيجاني مصحوبة بحركات الرأس العفوية إلى (فوق – أمام – تحت) ، مما لا يتطلب اصدارها أي براعة أو ذكاء . أما أصول الحروف الزراعية فهي إيمائية تمثيلية إرادية يحتاج إصدارها إلى مزيد من البراعة والذكاء ، وذلك للتعبير بها عن حاجات حضارية منوعة تتجاوز متطلبات المرحلة الغابية المشردة والمستوى الفكري للانسان الغابي . فحرف (الفاء) مثلاً ، يحصل صوته بضرب الأسنان العليا على الشفة السفلى حبساً للنفس ، وبانفراجهما عن بعضهما عند خروجه . هذه الحركات تمثل إراديا حادثة الحفر بعظم أبيض على أرض طرية ، كما كانت المرأة العربية تفعل ذلك في بواكير المرحلة الزراعية .

وهكذا كانت البراعة والمستوى الفكري والحاجة هي الحدود الفاصلة بين الغابي والزراعي في الحروف العربية ، كما في أي ظاهرة حضارية أخرى . وقد يتساءل أيضاً :

بفرض أسبقية المرحلة الزراعية على المرحلة الرعوية ، خلافاً لما أجمع عليه معظم علماء التاريخ والآثار والاجتماع ، فكانت المرحلة الرعوية اللاحقة بذلك هي الأرقى حكماً .

لماذا لا نسند إبداع الحروف الزراعية أيضاً إلى المرحلة الرعوية المتطورة التي امتدت منذ الألف (9) ق .م حتى العصر الجاهلي ؟. فأجيب :

إن المرحلة الرعوية المشردة هي من نتاج المرحلة الزراعية المستقرة . فالمؤرخ الكبير (أرنولد توينبي) يؤكد في الجزء الأول من كتابه مختصر دراسة التاريخ مراراً : إن فن استئناس الحيوان هو أرقى من فن استئناس النبات ، وأنه من المحال على الانسان أن ينتقل مباشرة من المرحلة الغابية المشردة إلى المرحلة الرعوية المشردة ، قبل أن يمر بمرحلة زراعية مستقرة يستأنس فيها الحيوان والنبات .

ولقد مر الانسان العربي فعلاً بهذه المرحلة في الجزيرة العربية مع بوادر جفاف مابعد العصر الجليدي الأخير ، حوالي الألف (12) ق . م . فكان لزاماً على المرأة الأم زعيمة المرحلة الزراعية وربة الزراعة ، أن تضيف إلى الحروف الغابية حروفاً أخرى للتعبير بها إيماء وتمثيلاً عن حاجاتها ومعانيها الجديدة ، إرثاً في طريقة التواصل الايمائي عن المرحلة الغابية . وسنتحدث في الحلقة القادمة عن العلاقات الخفية بين المرأة العربية وهذه الحروف الايمائية التمثيلية .

ولكن عندما أخذت بوادر الجفاف تستحكم في ربوع الجزيرة العربية حوالي الألف (9) قبل الميلاد ، فقد اضطر الانسان العربي إلى ممارسة مهنة الرعي المشردة على يد الرجل القوي سعياً وراء الماء والكلأ . فكان من طبيعة الأمور أن يغتصب الرجل المحارب مالك القطيع من المرأة مختلف الزعامات الأسروية والاجتماعية والاقتصادية والدينية واللغوية فيلحقها وأولادها به ، على نقيض ما كانت حاله معها في المرحلة الزراعية .

وبتطور حياة الانسان العربي من الزراعي إلى الرعوي ، كان لابد أن تتطور معها أيضاً وسائل التواصل بينه وبين أبناء جنسه .

فالحركات الايمائية والتمثيلية الموروثة عن عهدي الغاب والزراعة لم تعد تجدي الرجل نفعاً في تواصله مع أبناء جنسه عبر المسافات البعيدة نهاراً ، ولاعبر الظلام في سهراته الليلية وهو يحرس القطيع من اللصوص والوحوش المتربصة . تقليد رعوي في السهر وحكاياته ورواياته ظل سائدا في المنطقة العربية حتى القرن العشرين ب . م . فكان ذلك عاملاً هاماً من عوامل ترسيخ القيم الجمالية والأخلاقية في التراث العربي .

وهكذا كان لابد للانسان العربي أن يهذب من الأصوات الموروثة ، وأن يبدع أصوات جديدة توحي بمعانيها في سمعه دونما حاجة إلى حركات جسمية مرئية ترافقها ، فتطورت عبر الزمن إلى أصوات حروف .

فكان لنا من المرحلة الرعوية طريقة راقية في التعبير عن معان مستجدة تعتمد صدى الأصوات في النفس ، تقتضي مزيداً من البراعة ورهافة الأحاسيس والمشاعر الانسانية . كما كان لنا منها أيضاً أصوات حروف تتجاوز وظائفها ومعانيها حاجات الانسان العربي ، ومستوياته الفكرية والنفسية والاجتماعية والمهنية مما كان عليه في المرحلتين الغابية والزراعية .

وهكذا بعد أن اهتدى الانسان العربي إلى هذه الطريقة الراقية في التعبير إيحاء بأصوات حروفه ، فلقد كان من المحال أن يعود القهقري ، فيلجأ إلى إبداع حروف تعتمد طريقة النطق بها إيماء وتمثيلا للتعبير عن معانيه .

وإذن باستحالة إبداع الحروف الايمائية التمثيلية في المرحلة الغابية لشدة تخلفها ، أو في المرحلة الرعوية لشدة تطورها ، فإن هذه الفئة من الحروف لابد أن تنتمي إلى مرحلة زراعية وسيط بين المرحلتين .

وهذا دليل لغوي قوي على توزع الحروف العربية إلى غابي وزراعي ورعوي يحتم مرور الانسان العربي بهذه المراحل الثلاث تباعاً .

الحروف الزراعية – خصائصها ودلالاتها – علاقة المرأة بها

الحلقة السابعة :

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية واضطلاعها بتربية الأطفال وتنشئتهم ، كانت على مر الزمن الأغزر عاطفة والأولع بفنون المداعبة والرقص والتمثيل .

كما أنها بحكم اضطلاعها بالشؤون المنزلية كانت الأبرع أيضاً في دنيا الصناعات اليدوية ومبتكراتها .

أمومة فطرية وتخصصات مهنية قد جعلا قسمات وجهها وأعضاءها الجسدية أكثر طواعية لارادتها .

وهكذا كانت المرأة الغابية في بواكير المرحلة الزراعية مؤهلة أكثر من الرجل الصياد لابداع الحركات الايمائية التمثيلية تعبيراً عن حاجاتها الحضارية المتسجدة ومعانيها المبتكرة . ولاشك في أن الكثير من تلك الحركات والأصوات المرافقة لها قد مات بفعل التطور فلم يبق منها إلا ما تحول إلى أصوات حروف . ولقد كان منها يقيناً أصول حروف (ف. ل. م. ث. ذ) واحتمالا حرفا (ش. خ) .

ولكننا حذر الاطالة سنقتصر هنا على ثلاثة منها : حرف (الفاء) للرابطة المهنية بينه وبين المرأة الزراعية ، وحرفا (الميم واللام) لكثرة دورانهما في حروف المعاني كما أسلفنا في الحلقة الثانية ، ولعلاقة معانيهما أيضاً بخصائص المرأة الفطرية ووظائفها المنزلية . فماذا عن هذه الحروف ؟ .

أولا : حرف الفاء :

1 – خصائصه ودلالاته:

بتأمل طريقة التلفظ بصوت هذا الحرف ، نجد أن الاسنان العليا هي التي تضرب على الشفة السفلى حبساً للنفس عند خروجه من جوف الصدر . ثم يبدأ صوته بشيء من – الخفيف عند احتكاك النفس بأطراف الاسنان العليا والشفة السفلى وبعثرته . وبانفراج الفكين عن بعضهما واسعاً ، يخرج صوته واضحاً مشبعاً .

وهكذا تتلخص الخصائص الايمائية التمثيلية لهذا الحرف ودلالاته في ثلاث :

أ – ضرب الاسنان العليا على الشفة السفلى ، يماثل ضربة عظم حيواني أبيض على أرض طرية مما يضاهي أحداث الحفر والقطع

والفصل في الطبيعة .

ب - بعثرة النفس مع بداية خروج صوته ، تضاهي أحداث البعثرة والتشتت في الطبيعة .

ج - انفراج الفكين عن بعضهما بعد خروج صوته يضاهي أحداث التوسع والانفراج والتباعد في الطبيعة .

2 - معانيه المعجمية :

بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على (221) مصدراً جذراً تبدأ (بالفاء) كان منها (58) لمعاني الحفر والقطع والشق والفصل و (14) لمعاني البعثرة والتشتت والانتشار و (48) لمعاني التوسع والانفراج . وذلك بما يتوافق مع خصائصه الايمائية التمثيلية الثلاث عبر مراحل خروج صوته .

كما عثرنا على (21) مصدراً لمعاني الضعف والرقة والطراوة ، بما يتوافق مع صدى صوته الواهي في النفس لتتفوق بذلك خصائصه التمثيلية على الايحائية بستة أضعاف تقريباً ، مما يقطع بانتمائه إلى المرحلة الزراعية . تتمتع شخصيته بشيء من الشدة ، إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر بنسبة (64،5) في المئة .

وما يثير الدهشة أننا لم نعثر على أي مصدر جذر يبدأ بالفاء مما يدل معناه على الالتصاق لتعارضه مع خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في الشق والفصل والتوسع .

3 - علاقته بالمرأة :

لما كانت المرأة هي صانعة المرحلة الزراعية كما أسلفنا ، تحفر الأرض الطرية بعظم حيواني أبيض ، فمن البداهة أن تعبر هي ابتداء وليس الرجل عن هذا الحادث المهني ، بالحركات الايمائية التمثيلية أصول حرف (الفاء) ، على وجه ما بينا آنفا .

ولقد أفاد الانسان العربي من طريقة التلفظ بصوته ، فأبدع المزيد من المصادر الجذور التي تبدأ به تعبيراً عن المعاني التي تتعلق بالحياة الزراعية مثال : (فأس الخشبة (شقها) ، فأى . فتق . فجر . فجو . أفرخت البيضة (انفلقت عن الفرخ) . فرخ . فسق كل ذي قشر (خرج عن قشرة) فسل . فصم . فصل . فصى . نظم . فطر ، فقح فغا . فقس . فقش . فقص . فق فلج . فلح . فلق ...) وما إليها من الأحداث التي تتعلق بشؤون النبات في المرحلة الزراعية .

أما المصادر التي تتعلق معانيها بالحياة الرعوية المشردة ، فقد اقتصرت على ستة ، هي (الفحل - القدام) . الفرأ (حمار الوحش) . الغلاة . (الفهد . الفيف) .

وهذه الظاهرة من التخصص الزراعي نلحظها في حرف (اللام) أيضاً . فلم نعثر إلا على مصدر واحد يبدأ به مما يتعلق معناه بالحياة البدوية هو : (لاه السراب) اضطرب وبرق .

وذلك على العكس حرف (العين) الرعوي فلقد كثرت المصادر التي تبدأ به مما يتعلق معناه بالحياة الرعوية من أسماء الابل والأسد والأصوات وما يوجد في البوادي من وحوش وحشرات ونبات ، وما إلى ذلك من معاني الشدة والصلابة والفعالية والفخامة التي تتصف بها الحياة البدوية . ولم نعثر فيها على أي مصدر يتعلق معناه صراحة بالحياة الزراعية .

ثانيا : حرف الميم :

1 – خصائصه ودلالاته :

يبدأ صوته بانطباق الشفتين على بعضهما البعض في ضمة متأنية حبساً للنفس .

وبانفراجهما يخرج النفس ويستكمل الصوت شروطه من الوضوح والأشباع . وبذلك تتلخص خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في ثلاث :

أ – انطباق الشفة على الشفة يضاهي الأحداث التي يتم فيها الضم والجمع والانغلاق .
ب – ضم الشفة على الشفة بشيء من الشدة والتأني ، قبيل خروج صوته يضاهي الأحداث التي يتم فيها المص والرضاع بالشفتين .
ج – انفراج الشفتين عن بعضهما أثناء خروج صوته (ما) يضاهي الأحداث التي يتم فيها التوسع والامتداد .

2 – معانيه المعجمية :

بالرجوع إلى المعجم الوسيط عثرنا على (253) مصدراً جذراً تبدأ به . كان منها (33) لمعاني المص والرضاع والحلب واستخراج ما في الأشياء المجوفة ، (22) لمعاني الجمع والضم والكسب والغضم والمضغ و (24) لمعاني التوسع والامتداد والانفتاح . وذلك بما يتوافق مع الخصائص التمثيلية الثلاث التي ترافق مراحل خروج صوته . كما كان منها (45) مصدراً لمعاني المرونة والرقة بما يتوافق مع موحيات صوته ، مما يؤكد صحة انتمائه إلى المرحلة الزراعية وحروفها الايمائية .

شخصيته متوسطة الشدة ، إذ بلغ تأثير خصائصه في معاني المصادر (50%) فقط .

ومما يثير الدهشة ، أننا لم نعثر على أي مصدر منها يدل معناه على السد والانغلاق بينما كان هناك (15) مصدراً تنتهي بالميم لهذه المعاني . وذلك يعود إلى أن الشفتين والفكين يستقران في انطباقهما على بعضهما عند التلفظ بصوته في نهاية المصادر ، فلا تنفرجان ، على العكس من حالهما في المصادر التي تبدأ به .

وذلك على مثال ما نلحظ وجود (17) مصدراً جذراً تبدأ بحرف (الثاء) لمعاني الشق والانفراج والسيلان ، ولا شيء منها للمصادر التي تنتهي به . نهج أصيل قد استقر عليه الانسان العربي في تعامله مع حروفه . ومعانيها .؛

3 – علاقته بالمرأة الأم :

إن خاصية المص هي أبرز الخصائص الايمائية التمثيلية لهذا الحرف ولما كانت المرأة الأم هي المعنية أصلاً بإرضاع الطفل فمما لاشك فيه أنها هي وليس الرجل التي أبدعت أصول هذا الحرف ، بشد الشفة على الشفة في صوت (ما) المشددة ، للتعبير عن واقعة مص الطفل ثدي أمه . ثم تطور معنى (ما) إلى معنى الأم ، أمرضعاً كانت أم غير مرضع وفي مرحلة أمانة الحروف الجوفية ، طور العربي لفظة (ما) إلى (ام) ، بإبدال الهمزة الصامتة في أولها بالألف اللينة الصائتة في آخرها . ولفظة (ماما) في لهجاتنا العامية ما هي إلا الارومة التاريخية لكلمة (أم) المعاصرة .

ويبدو لي أن الشعوب الغربية قد اقتبست هذه الكلمة عن اللغة العربية . فلفظة (ماما) موجودة أيضاً في معظم لهجاتها المحلية . كما أن الكلمة التي تدل على معنى (الأم) في معظم لغاتهم تبدأ بحرف (الميم) من الألفاظ الدالة على رضاع الطفل ثدي أمه .

((مرثه . مرزه . ملجه . ملق الصبي أمه (رضعها) ...)).

ومنها ما يدل على رضاع الفصيل من الابل ضرع أمه .

(معجه – مغده – مقعه – مقمقة – مقـــاه مقواً) .

ثالثا : حرف اللام :

1 – خصائصه ودلالاته :

يبدأ خروج صوته بانطباق طرف اللسان على سقف الحنك قريباً من اللثة العليا حبساً للنفس ، ويتم بانفصالهما عن بعضهما البعض . وبذلك تقتصر خصائصه التمثيلية على اثنتين فقط .

أ – التصاق طرف اللسان بسقف الحنك ، يضاهي الأحداث التي يتم فيها الالتصاق والتماسك .

ب – تلاعب طرف اللسان بصوت الحرف ، يضاهي تلاعبه باللقمة عند نصفها .

2 – معانيه المعجمية :

عثرنا في المعجم الوسيط على (212) مصدراً جذراً تبدأ بهذا الحرف . كان منها (82) لمعاني الالتصاق والتماسك ، و (53) لمعان تتعلق بعمليات التذوق والأكل واللحس والأطعمة ، وما إليها ، بما يتوافق مع خصائصه الايمائية التمثيلية عبر مرحلتي خروج صوته . وكان منها (5) مصادر فقط لمعاني المرونة والليونة والتماسك ، يتوافق مع إيحاءاته الصوتية مما يقطع بعراقته الايمائية .

تتمتع شخصيته بشيء من الفتوة ، إذ بلغت نسبة تأثير خصائصه في معاني المصادر التي تبدأ به (65%) .

وعلى الرغم من خاصية الالتصاق الرئيسية في حرف (اللام) فإن علماء اللغة العربية وفقهاءها قد حرموه منها ظلماً وتجنياً في حروف المعاني ، وأسندوها تحيزا ومحاباة إلى حرف (الباء) بلا سند فقهي مقبول . ولنا عودة إلى هذا الخطأ في الحديث عن معاني حروف المعاني .

ومما يثير الدهشة أيضاً ، أننا لم نعثر على أي مصدر يبدأ به تدل معانيه على الانفراج أو الشق أو التوسع ، وذلك لتعارض هذه الأحداث مع خصائصه الايمائية التمثيلية ودلالاتها في الالتصاق ، على العكس مما لحظناه في حرف (الفاء) .

3 – علاقته بالمرأة الطاهية :

لما كانت شؤون التغذية أكثر التصاقاً بفطرة المرأة ووظائفها المنزلية ، فلقد كانت هي المندبة أصلاً للتعبير عن معانيها بحركة لسانية تضاهي حوادث الأكل واللوك واللحس وما إليها .

ولقد أفاد العربي عبر تطوره الحضاري واللغوي من خاصية تلاعب اللسان بصوت (اللام) على مثال تلاعبه باللقمة فأبدع المزيد من المصادر الجذور التي تتعلق معانيها بمؤسسة التغذية . منها :

(لحس – لسّ – لسد العسل ولحسه – لطع – لعص – لصق – لقم – لمج– تلمظ – لاس – لاك – لاق الطعام – اللسان – اللعاب – اللغمط – اللبن – اللغفة – اللحاك – اللوقة ...الخ .) .

ولئن كانت المصادر التي تدل معانيها على الالتصاق أكثر من المصادر التي تتعلق معانيها بشؤون التغذية ، إلا أن هذه الأخيرة هي الأصل الفطري في معاني (اللام) . فمعاني الالتصاق الحضارية قد تكون مصادرها جميعاً من مبدعات الرجل في المرحلة الرعوية ، أما معاني الأكل ومتعلقاته ، فهي ألصق

بفطرة المرأة . والفطري هو بداهة أعرق في القدم من الحضاري . وهكذا كانت المرأة أولى بحرف (اللام) من الرجل .

رابعا : ولكن ماذا عن بقية الحروف الايمائية التمثيلية :

حذر الاطالة سأقتصره على الحديث في لمح عن علاقة المرأة العربية بهذه الحروف في المرحلة الزراعية .

1 – حرفا (الذال والثاء) :

إن المرأة بحكم أمومتها الفطرية كانت هي المندبة أصلاً للتعبير إيماء عن جنسي الذكورة والأنوثة ، فأبدعت أصول هذين الحرفين . ثم تهذب النطق بهما في مرحلة رعوية لاحقة فصارا إلى (الذال والثاء) المعاصرين بلثغة لسانية ملحوظة تتوافر في صوت كل منهما خصائص الجنس الذي يمثله .

2 – حرف (الشين) :

وبحكم اضطلاع المرأة بالأمور المنزلية ، كانت هي المندبة لابداع أصول هذا الحرف إيماء بكشرة واسعة عن الأسنان مع مط الشفتين إلى الامام أثناء تدافعَ النفس وبعثرته ، وذلك للتعبير عن معاني التفاهة والخلط والبعثرة والتشتت والجمع العشوائي والانتشار ، وما إليها من متعلقات الأمور المنزلية ، مما نلحظه في معانيه (56) مصدراً تبدأ به و (85) مصدراً تنتهي به .

3 – حرف (الخاء) :

ولما كانت المرأة في المرحلة الزراعية هي المعنية باستئناس الحيوان وتربيته فلقد كانت هي أيضاً المندبة للتعبير عن معاني القذارة التي تعترض حياتها اليومية . فأبدعت أصول هذا الحرف (ايماء) بكشرة موسعة و(إيحاء) بصوت ظاهر الخنخنة ، تعبيراً عفوياً عن الاشمئزاز والتقزز . ثم استثمر الانسان العربي هذه الخصائص في مراحل لغوية متطورة للتعبير عن معاني القذارة والفحش والأمراض والعيوب العقلية والنفسية والجسدية والاضطراب والتفاهة وما إليها في (146) مصدراً تبدأ به ، و (43) مصدراً تنتهي به و(28) مصدراً يتوسطها . فكان حرف (الخاء) بذلك حاوية القمامة في بنيان اللغة العربية الشاعري الأنيق . لا يغير من مهمته هذه إن سقطت سهواً في هذه الحاوية بعض اللآلىء والدرر (خير – خصب – خضرة – خليل – خفر .) .

خامسا : القيمة العلمية للحروف الايمائية التمثيلية :

لما كنا لانزال نحيا لغوياً في العصر الجاهلي ، فإن الكشف عن الخصائص الايحائية للحروف العربية كما نوهنا في الحلقات السابقة ، لا يضيف أي عمق حضاري آخر إلى تراثنا اللغوي .

ولما كان علماء اللغة العربية وفقهاؤها القائلون بفطرة اللغة العربية قد بهرتهم هذه الظاهرة الايحائية في أصوات الحروف العربية ، فقد توقفوا مدهوشين عندها ، ولم يبحث أحد منهم بجدية عن الخصائص الايمائية التمثيلية في الحروف العربية . وفاتهم بذلك أن ينقبوا عميقاً عند جذورها الغابية والزراعية .

وهكذا فالاهتداء إلى الخصائص الايمائية التمثيلية لهذه المستحاثات من الحروف العربية ، يكشف لنا عن مراحل تطور اللغة العربية ، بدءاً من الغابي فالزراعي فالرعوي حتى العصور الجاهلية .

وهذا الاكتشاف لايقل أهمية في دنيا اللغات عالمياً عن اكتشاف إنسان (أوستراليا) وغيره من المستحاثات البشرية بمعرض البحث عن تطور الانسان على وجهي الأرض والتاريخ منذ ملايين الأعوام .

فماذا عن المرحلة الرعوية وحروفها ؟...

الترادف والمشترك اللفظي والتضاد
وأثر كل في نمو العربية

محمد السيد علي بلاسى

للألفاظ و المعاني علاقات وارتباطات ، فمن المعلوم أن اللفظين يختلفان لاختلاف المعنيين ، مثل : أكل وشرب . غير أنه في العربية تشيع دلالات أخرى لارتباط الألفاظ بمعانيها :

فقد يختلف اللفظان ويتفق المعنيان ، مثل : ذهب وانطلق ، وهو المعروف بالترادف .

كما يتفق اللفظان ويختلف المعنيان ، مثل : «العين» فإن لها معاني كثيرة منها : الباصرة ، والجاسوس ، وعين الماء ...، وهو الذي يعرف بالمشترك اللفظي .

فإذا كان اختلاف المعنيين هنا بالضدية عرف – لدى علماء اللغة – بالتضاد . مثل «الجون» يطلق للأبيض وللأسود . وتلك ميزة من ميزات لغتنا الخالدة ، وإليك البيان :

أولا : الترادف

يعرف علماء اللغة الترادف بأنه : دلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد .

ومن أمثلته : (بر وقمح وحنطة) للحبة المعروفة .(1)

وهو – أي الترادف – من أهم ما تمتاز به العربية ، حيث جعلها من أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات . فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها ، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول ، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها . هذا إلى أنه قد تجتمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ... ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم . فقد جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللثعبان مائتا اسم .(2) على أن بين علماء اللغة من قصر بحثه على أسماء تطلق على مسمّى معين وبلغ بها الألوف ، لا أقول المئات ، كما صنع مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس في كتابه : (الروض المسلوف ، فيما له اسمان إلى

ألوف) . ونحن بعد مثل هذا الكتاب سوف نستصغر ونستقل كل ما يشيع على ألسنة المتحذلقين من أن أحدهم جمع للأسد خمسمائة اسم ، وأن آخر جمع من أسماء الدواهي مايزيد على أربعمائة اسم ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي . بل ليس من الغريب – إذن – أن نجد باحثا كرينان Rénan في دراسته للغات السامية تأخذه الدهشة وهو ينقل عن الأستاذ دوهامر De Hammer أنه توصل إلى جمع أكثر من 5644 لفظا لشئون الجمل ، رفيق الأعرابي في الصحراء ومؤنسه في وحشته . ليس من الغريب هذا ، فإن دوهامر لم يقصر بحثه على أسماء الجمل ومرادفاته ، بل جمع كل ما يتعلق بشئونه ، وهو الكائن الحي الذي لا يستغنى عنه العربي لحظة في حياته .(3)

أسباب الترادف :

1 – أنه قد انتقل إلى اللغة العربية من أخواتها السامية وغيرها مفردات كثيرة ، كان لها نظائر في متنها الأصلي .(4)

2 – أن جامعي المعجمات ، لشدة حرصهم على تسجيل كل شيء ، دونوا كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال ومستبدلا بها مفردات أخرى ؛ فكثرت من جراء ذلك في المعجمات مفردات اللغة ومترادفاتها .(5)

3 – اختلاف اللغات واللهجات : فقد دخل اللغة العربية – بعد الاسلام – كثير من الكلمات الأجنبية ؛ إما للحاجة إليه في العلوم والفنون والحضارة ، أو للاعجاب به ، أو لسهولته ، وغير ذلك من الدواعي التي من أجلها انتقل إلى العربية كثير من الألفاظ الفارسية والرومية وغيرها .

ومن ذلك : النرجس ، والمسك ، مع وجود نظيريهما العربيين ، وهما : العبهر ، والمشموم ؛ ومن هنا ينشأ الترادف .

كذلك تلاقى اللهجات يجعل الألفاظ التي تستعملها تتلاقى ، وقد يكون بينها أكثر من لفظ يدل على معنى واحد ؛ فينشأ الترادف ، مثل : وثب بمعنى قعد عند حمير ، فهما مترادفان .

وهذا كثير في اللهجات العربية ، التي اجتمعت في لغة واحدة عند العرب جميعا(6) .

4 – تناسي الصفات والفروق : فكثير من الأسماء المترادفة كانت في الأصل نعوتا لأحوال المسمى الواحد ، ثم تنوسيت هذه الأحوال بالتدريج وتجردت مدلولات هذه النعوت مما كان بينها من فوارق وغلبت عليها الاسمية . فالخطار والباسل والأصيد ... من أسماء الأسد يدل كل منها في الأصل على وصف خاص مغاير لما يدل عليه الآخر .(7)

5 – المجاز : فقد تستعمل بعض الألفاظ في معان مجازية ، فتتفق مع بعض الألفاظ في معانيها الحقيقية ، ثم ينسى المجاز ، حتى نظن أنها حقائق ، فتصبح تلك الألفاظ المترادفة ترادف . كإطلاق (اللسان) على اللغة ، و(العين) على الجاسوس ، فقد شاع ذلك حتى عد ترادفا بين اللسان واللغة ، والعين والجاسوس .(8)

6 – التغير الصوتي والقلب المكاني : للعوامل الصوتية أثر في اختلاف اللفظ وتحوله من حال إلى آخر ، بحيث يصبح نتيجة للتغير الصوتي لفظين بعد أن كان واحدا . ومن ذلك قولهم : بغداد وبغدان ، وقالوا أيضا : مغدان .

كذلك ما يكون عن طريق القلب المكاني للأصوات ، وحلول بعضها على بعض ، كما في جذب وجبذ .

ولكن بعض المحدثين لا يعترفون بذلك سببا

للترادف ، ويتمسكون بأن اختلاف الصورة بين تلك الألفاظ ، ليس إلا ظاهريا ، وأنها كلمات ذات أصل واحد ، وتطورت صورتها لعامل من عوامل تطور الأصوات . بيد أن الدكتور كمال بشر يرد على هؤلاء : بأنه قد يكون هذا صحيحا ، ولكن من المحتمل أن تكون هذه الفروق الصوتية ، راجعة إلى اختلاف اللهجات .(9)

آراء العلماء في الترادف:

لقد انقسم علماء العربية إزاء الترادف ووقوعه في اللغة إلى فريقين : –

الفريق الأول : ويرى إنكار وجود الترادف في اللغة ، غير أنهم اختلفوا فيما بينهم – في طريقة الانكار ذاتها – إلى مذاهب ثلاثة: –

أ – ذهب بعض العلماء إلى إنكار الترادف في اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات ، كما في الانسان والبشر ؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس ، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة .(10)

وقد حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسما واحدا ، وهو السيف . فقال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .(11)

مما سبق يتضح أن هذا الفريق يرى : أن المعنى المراد يؤديه لفظ واحد ، فلا حاجة إلى ألفاظ أخرى تتعدد ؛ لأن ذلك عبث ، لا يقع فيه الواضع الحكيم(12)

ويمكن أن نردّ على هذا الفريق دعواه : بان الترادف معلوم بالضرورة ؛ حيث ورد في القرآن الكريم ، إذ تفسر – مثلا – بعث وأرسل في قوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»(13) وقوله : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» .(14) بأنهما من قبيل الترادف .

كما تجمع كتب الأدب على رواية قصة تعتبر حجة دامغة على صحة ما نميل إليه: فقد خرج رجل من بني كلاب أو من بني عامر بن صعصعة إلى ذي جَدَن من ملوك اليمن ، فاطلع إلى سطح والملك عليه ، فلما رآه الملك قال له : ثب ، يريد (اقعد) . فقال الرجل : ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح ودقت عنقه . فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ، إن الوثب في كلام نزار الطِّمْر «أي الوثوب إلى أسفل» فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم ، من دخل ظفار حَمَّر : (أي من دخل مدينتنا اليمنية «ظفار» فعليه أن يتكلم بلهجة حمير)(15) .

من هنا ، فلا سبيل – إذن – لصحة دعوى هذا الفريق .

ب – وذهب بعض العلماء منهم ابن فارس ، وابن درستويه ، وثعلب ، إلى إنكار الترادف بالمعنى الشائع ، من تساوي لفظين ، أو ألفاظ ، في معنى واحد ؛ لأن كلا من تلك الألفاظ يوجد فيه فرق معنوي لا يوجد في الأخرى .

يقول ابن فارس : يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو : السيف والمهند والحسام . والذي نقوله في هذا : أن الاسم واحد وهو «السيف» وما بعده من الألقاب صفات . ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى(16) .

وقد رد عليه : بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير

عبارته ، وذلك أنا نقول في «لا ريب فيه» : «لا شك فيه» فلو كان «الرَّيْب» غير «الشك» لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ؟ !(17)

فأجاب عليهم بقوله : إنما عُبر عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول : إن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ما قالوه . وإنما نقول : إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى(18) .

كما رد على ابن فارس بورود الاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة ، كقول الحطيئة : *وهند أتى من دونها النأى والبعد* فالنأى هو البعد(19) .

فأجاب على ذلك : بأن هناك فروقا معنوية دقيقة بين هذه وتلك ، كما أن هناك فروقا بين كثير من مفردات الترادف ، ولكن تخفى عنا تلك الفروق . وضرب أمثلة لذلك ، من بينها : قعد وجلس . فإن في «قعد» معنى ليس في «جلس» ألا ترى أنا نقول : «قام ثم قعد» و «أخذه المقيم والمقعد» و «قعدت المرأة عن الحيض» . ونقول لناس من الخوارج : «قَعَدٌ» ثم نقول : «كان مضطجعا فجلس» فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس، لأن «الجَلْس : المرتفع» فالجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجرى الباب كله(20) .

هذا ، ولقد رد المثبتون للترادف على هذا الفريق دعواه بأمور: —

1 - إن بعض هؤلاء المنكرين للترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أمورا سحرية ؛ مما حملهم لأن يشاهدوا فرقا فيها(21) .

2 - نحن نسلم بأن بعض الألفاظ ، لاتزال تحمل فروقا معنوية ، لكن القائلين بهذا الرأي بالغوا فيه ، لأنهم كانوا من الباحثين في الاشتقاق ، وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة — على حد تعبير السيوطى .(22)

3 - إن وجود مترادفات بينها فروق لا يؤدي إلى إنكار المترادفات كلها ، بل إلى إنكار طائفة منها فحسب ، على أن المشتقات التي اتضحت فيها تلك الفروق كالحسام والصارم ونحوهما ، قد كثر استعمالها مكان موصوفاتها ، حتى استغني بها عنها ، فجرت مجرى الجوامد ، في إهمال الفروق ، وعدم النظر إليها .(23)

ج — ويرى بعض الباحثين أن الترادف غير موجود في العربية ، وزعموا أنه لا يبعد أن يكون جامعو المعجمات قد خلقوا كثيرا من هذه المفردات ؛ خلقا لحاجات في نفوسهم .

وبنوا زعمهم على أن العربية الفصحى تختلف اختلافا كبيرا عن اللهجات العامية الحديثة المنشعبة عنها . فمتون هذه اللهجات ضيقة كل الضيق لا تكاد تشتمل على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي ، وتكاد تكون مجردة من المترادفات .

ولقد رد عليهم د . علي عبد الواحد وافي بقوله : وفساد هذا الرأي لا يحتاج إلى بيان ؛ فلهجات المحادثة في جميع الأمم تقتصر في العادة على الضروري وتنفر من الكمالي ، وتنأى عن مظاهر الترف في المترادفات وما إلى ذلك . ولذلك تتسع دائما هوة الخلاف بينها وبين اللغة الفصحى في هذه الناحية . فليست العربية فذة في هذا الباب ، بل تشترك معها فيه جميع «لغات الآداب» أو «اللغات الفصحى» . وإليك مثلا اللغة الفرنسية الفصحى أو لغة الكتابة ، واللغة الفرنسية في التخاطب العادي ، فالفرق بينهما في المفردات لايكاد يقل عن الفرق بين العربية الفصحى واللهجات العامية الحديثة المتفرعة منها .(24)

كما أجاب عليهم د . عبد الغفارحامد هلال بأن : رأيهم هذا فاسد؛ لأنه يتهم علماء اللغة ورواتها

بالاختلاف والكذب ، وهم من تلك التهمة براء؛ لأنهم قد جمعوا اللغة عن العرب الخلص ومن القرآن والحديث ، وقد كانوا على درجة من الورع تمنعهم من التورط في الكذب ، إلى جانب دقتهم الفائقة في الأخذ عن الأعراب . أما وقد أخذنا عن هؤلاء العلماء أمور اللغة كلها ، فكيف نقبل منهم بعضها ، ونتهمهم في الباقي ؟ !(25).

الفريق الثاني : ويرى ورود الترادف في العربية ، ويعد هذا ميزة من ميزاتها . ولقد تزعم هذا الفريق العلامة اللغوي ابن خالويه .

ويرى أصحاب هذا الرأي : أن الترادف يكون من واضعين ، وهو الأكثر ، بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد ،من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى الواضعان ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر . كما يكون الترادف من واضع واحد وهذا قليل .(26).

وإن خفاء الواضعين حين لم يمنع اشتهار الوضعين قد زاد من ثروة اللغة المثالية حتما ، فقد انتقل إلى هذه اللغة كثير من مفردات القبائل الأخرى ، وأصبحت في الحقيقة تمثل جزءا من صيغها وألفاظها ، وتنوسيت الفروق الدقيقة التي تميز لهجة من لهجة ، أو حفظ بعضها وأهمل البعض الآخر .(27).

ونحن نميل إلى هذا الفريق الذي يثبت ورود الترادف في اللغة ؛ فلا مفر من التصديق بوقوعه في العربية ؛ حيث ورود بعض ألفاظه في القرآن الكريم – كما بينا آنفا – كما أن هناك كما هائلا منه في المعجمات وغيرها من كتب اللغة ، فضلا عن أن أدلة منكرية لم تطاولها الأدلة – كما سبق بيانه – ..

فائدة الترادف وأثره في اللغة : –

• 1 – من المترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصية لغوية رائعة ، هي إظهار ألوان المعاني وظلالها . وهذه الميزة تكاد تنفرد بها اللغة ، وتعدّمن خصائصها التي تتجلى في ألفاظ مترادفة – أحيانا – ويسميها الدكتور عثمان أمين : «خاصية التلوين الداخلي» الذي كأنما يرسم للماهية الواحدة بالأطياف والظلال ، صورا ذهنية متعددة تغنينا باللفظ الواحد عن عبارات مطولة تحدد بها المعنى المقصود .

وتظهر تلك الميزة في كثير من الألفاظ الدالة على الشيء ،منظورا إليه في مختلف درجاته وأحواله ، ومتفاوت صوره وألوانه؛ فالظمأ ، والصدى ، والأوام ، والهيام ، كلمات تدل على العطش ، إلا أن كلا منها يصور درجة من درجاته . فأنت تعطش إذا أحسست بحاجة إلى الماء ، ثم يشتد بك العطش فتظمأ ، ويشتد بك الظمأ فتصدى ، ويشتد بك الصدى فتئوم ، ويشتد بك الأوام فتهيم . وإذا قلت : إن فلانا عطشان ، فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء ، لا يضيره أن تبطىء عليه ، أما إذا قلت : إنه هائم ، فقد علم السامع ، أن الظمأ أبرح به حتى كاد يقتله ... وهذا على حين أن الفرنسي لا يستطيع أن يؤدي هذا المعنى إلا في ثلاث كلمات إذ يقول : «مائت من الظمأ : Mourant de soif» ،أو في سبع كلمات؛ ليكون المعني أوضح فيقول : «على وشك أن يموت من الظمأ : Sur le point de mourir be soif» .

ففي كلمات العربية إيجاز يجعل من الكلمة الواحدة جملة كاملة .(28).

2 – التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنثر ، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع ، وغير ذلك من

أصناف البديع ، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ .(29)

3 - كثرة الوسائل إلى الاخبار عما في النفس ، فقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثغ ، فلم يُحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء؛ حيث كان يتخلص من وروده في حديثه عن طريق الترادف .(30)

ثانيا : المشترك اللفظي

مادام فقهاءاللغة يقررون أن الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما لها من الاستعمالات ، فإن كثرة الاستعمال التي لوحظت في المترادفات ، هي تلك التي تلاحظ في الألفاظ المشتركة . فكما يتسع التعبير في العربية عن طريق الترادف ، لابد أن يتسع التعبير عن طريق الاشتراك ، سواء أسُلّم وروده في العربية على سبيل الحقيقة ، أم التمست له معان متطورة على سبيل المجاز .

ولعل تعريف أهل الأصول للمشترك هو أدق ما يحد به ، فهو عندهم : «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة» . وذلك كلفظ «الخال» الذي يطلق على أخي الأم ، وعلى الشامة في الوجه ، وعلى السحاب ، وعلى البعير الضخم ، وعلى الأكمة الصغيرة ...

ولسنا نزعم أن العربية تنفرد بالمشترك اللفظي ، ففي سائر اللغات ألفاظ مشتركة homonymes يدور النقاش حولها بين أصحاب الاشتراك ومنكريه ، كما يدور مثله بين أصحاب الترادف ومنكريه . بيد أن كثرة المشترك النسبية في لغتنا – كالذي رأيناه من كثرة الترادف فيها نسبيا – هي التي تجعل المشترك خصيصة لاتنكر من خصائصها الذاتية .(31)

أسباب المشترك اللفظي : –

نشأ الاشتراك بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة أهمها : –

1 - اختلاف اللهجات العربية القديمة : فبعض أمثلة المشترك جاءها الاشتراك من اختلاف القبائل العربية في استعمالها ، ثم جاء جامعو المعجمات فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض بدون أن يعنوا في كثير من الأحوال برجع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه . وبعض أمثلته كانت تختلف معانيه لذلك في الأصل باختلاف القبائل ، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش ؛ فأصبح يطلق فيها على جميع هذه المعاني .(32)

2 - تداخل اللغات : فاللغة قد تستمد ألفاظا من لغات أجنبية عنها ، وذلك قد يسبب بجانب ألفاظ أخرى فيها – قد تتحد معها في الصيغة – وجود الاشتراك .

فمثال ذلك في العربية مادة (برج) ، وقد استعير (البرج) بمعنى الحصن من اليونانية ، فإذا اشتقت كلمة من المادة العربية ، توافق الكلمة المنقولة من اليونانية في الصيغة ، وتختلف عنها في المعنى ؛ نشأ الاشتراك .(33)

3 - التطور الصوتي : فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتي ، فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله .(34)

ومن ذلك في اللهجات الحديثة (حضر) – من الحضور بمعنى المجيء – بنطق الضاد ظاء عند أهل اليمن ونجد ، وحظر – من الحظر وهو بمعنى المنع –، فقد تطور صوت الضاد العربي المعروف إلى صوت الظاء عندهم ، فاتفق اللفظ الأول مع الثاني في الصورة الصوتية التي أصبح لها معنيان : «المجيء» و «المنع» ويفهم المراد منها بالسياق .(35)

4 – حدوث الاشتراك من الواضع : ويحدث هذا عند قصد المتكلم التعمية والابهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة ، وذلك كما روي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وقد سأله رجل عن النبي – ﷺ – وقت ذهابهما إلى الغار : مَنْ هذا ؟ قال : هذا رجل يهديني السبيل .(36)

فاستخدم لفظ «السبيل» هنا في معنى آخر له بمعنى الطريق على سبيل الاشتراك ؛ قصدا للتعمية والابهام على السامع !

5 – التطور المعنوي : فإذا تطور معنى اللفظ ، وبقيت أصواته دون تغير أدى ذلك إلى حدوث الاشتراك .

فقد يكون للفظ معنى واحد في اللهجات العربية ، ثم يحدث أن يتغير معناه في بعض اللهجات ويبقى المعنى الأصلي في بعضها الآخر ؛ فيصبح لذلك اللفظ معنيان ؛ فينشأ الاشتراك .

وقد مثل بعض الباحثين لذلك بكلمة «الهجرس» فهي تعني «القرد» في لهجة الحجاز ، وتعبر عن «الثعلب» عند تميم ، على أساس أنها كانت في الأصل – تدل عند الفريقين على أحد الحيوانين ، ثم تغير هذا المعنى عند إحدى القبائل لظرف من الظروف اللغوية .(37)

هذا ، وقد يصادف حدوث الاشتراك في اللفظ ، وهو بعيد كل البعد عن المشترك اللفظي ، وإن اتحد معه في الصورة ، ويظهر ذلك جليا في حالتين : –

1 – المجاز : فهناك ألفاظ نقلت عن معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما ، فشاركتها في اللفظ ؛ فاعتبرت لذلك من المشترك وهي ليست منه في شيء . وإليك مثلا لفظ «الهلال» ، الذي يطلق على هلال السماء ، وهلال الصيد ، وهلال النعل ... فمن الواضح أنه قد وضع في الأصل للدلالة على المعنى الأول ، وأن إطلاقه على ما عداه من المعاني السابق ذكرها من قبيل المجاز ، لوضوح علاقة المشابهة بينها وبين هلال السماء في صورته وضآلته . وكل ما هنالك أنه قد كثر استخدامه في هذه المعاني ، فلم يلاحظ فيها وجه المجاز وأصبح إطلاقه عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته .(38)

2 – التصريف : فهناك ألفاظ جاءها الاشتراك من عوارض تصريفية . وذلك كأن تؤدى القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة ، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة يؤدى إلى جعلها من قبيل المشترك وهي ليست منه إلا في الظاهر . وإليك مثلا لفظ «الغروب» : فإنه يجيء مصدرا لغربت الشمس مثلا ، وجمعا للغرب وهو الدلو العظيمة .(39)

وهكذا يمكن تأويل جميع أمثلة هاتين الحالتين على وجه آخر يخرجهما من باب الاشتراك ...

آراء العلماء في المشترك اللفظي : –

اختلف العلماء حول وقوع المشترك اللفظي في اللغة إلى فرق ثلاثة : –

الفريق الأول : ويتزعمه ابن درستويه ، ويرى عدم وجود الاشتراك في اللغة ، وفي ذلك يقول : «وإنما اللغة موضوعة للابانة عن المعاني ، فلو جاز لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية .»(40)

وهذا الرأي معيب ، ويمكن أن نرد عليه : بأن السياق هو الذي يعين أحد المعاني المشتركة للفظ الواحد ، وهذا السياق لايقوم على كلمة تنفرد

وحدها في الذهن ، وإنما يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة ؛ فيخلع على اللفظ المعنى المناسب .»(41)

الفريق الثاني : ويرى كثرة ورود الاشتراك في اللغة وضرب له عددا كبيرا من الامثلة . ومن هؤلاء الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وابن فارس وابن مسعدة والثعالبي والمبرد والسيوطي . ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على صفة وقوع الاشتراك في اللغة كما يلي : –

أ – فالأكثرون على أن الاشتراك واقع في اللغة ؛ بدليل نقل أهل اللغة لكثير من ألفاظه في كتبهم ومعاجمهم .

ب – من العلماء من أوجب وقوعه ؛ وتمسك بأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية ، فإذا وزع لزم الاشتراك .

ج – وذهب بعضهم إلى أن الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك ، وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال ، والأسماء كثير فيها الاشتراك ، فإذا ضممناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب . ورُدَّ بأن أغلب الألفاظ الأسماء ، والاشتراك فيها قليل بالاستقراء ، ولا خلاف أن الاشتراك على خلاف الأصل .(42)

الفريق الثالث : وقد وقف موقفا وسطا بين الفريقين السابقين ، وهو الأقرب إلى الصواب ؛ فقد نظر إلى الموضوع نظرة معتدلة ، لا يغالي فيها في إنكار الاشتراك مغالاة ابن درستويه ، ولا يبالغ في جميع صوره مبالغةالفريق الثاني . وقد تزعم هذا المذهب أبو علي الفارسي، حيث يقول : «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل .»(43) وهذا كما وضحناه – آنفا – عند الحديث عن أسباب وقوع المشترك اللفظي في اللغة .

فائدة المشترك اللفظي وأثره في اللغة : –

1 – إن في المشترك لتنوعا في المعاني بسبب تنوع الاستعمال ، وإن في اشتمال العربية على قدر لا يستهان به من الألفاظ التي تنوع استعمالها بتنوع السياق ، لدليلا على سعتها في التعبير عن طريق الاشتراك كسعتها فيه عن طريق الترادف .(44)

2 – إن تعدد المعاني للفظ الواحد يفتح مجالات متعددة أمام الناطقين باللغة ؛ ليعبروا عما يحتاجون إليه ، بألفاظ مرنة ، تطاوعهم على ما يشاءون ، وتجرى حسب ما يريدون ؛ ولاشك أن لذلك أثرا كبيرا في ثراء اللغة ونموها ، بحيث يستفيد منه – بخاصة – الأدباء والشعراء ، وأرباب البيان .(45)

3 – الألفاظ في اللغة متناهية ، والمعاني غير ذلك ، فإذا أردنا تناسبا بينهما ؛ لزم الاشتراك ...(46)

ثالثا : التضاد

وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده . كلفظ «الجون» الذي يطلق على الأبيض والأسود ، و«الجلل» المستعمل في العظيم والهين .

وقد عده العلماء نوعا من المشترك ؛ لدلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى ؛ ولذلك قالوا : المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين . فما يقع على الضدين كالجون وجلل ، وما يقع على غير ضدين كالعين . وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ؛ إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضدا .(47) وقد صرح السيوطي

حين افتتح في المزهر باب «معرفة الأضداد» بقوله : «هو نوع من المشترك»[48] ، ووافقه على ذلك بعض العلماء المحدثين ، من أمثال : الدكتور الصالح[49] ، والدكتور وافي[50] ، والأستاذ العلايلي .[51]

أسباب وقوع التضاد في اللغة : –

وقد نشأ التضاد بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة أهمها : –

1 – اختلاف اللهجات العربية : يقول ابن الأنباري : «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه بمساواة بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون : الأبيض – في لغة حي من العرب – والجون : الأسود – في لغة حي آخر – ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر» .[52]

2 – التطور الصوتي : قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتي ، فيصبح متحدا مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه ، فينشأ بذلك التضاد .[53]

3 – رجوع الكلمة إلى أصلين : فتكون دلالتها على أحد الضدين منحدرة من أصل ، وفي دلالتها على مقابله منحدرة من أصل آخر . وفي هذه الحالة نكون بصدد كلمتين لا كلمة واحدة . ويرجع هذا التأويل أو يحتمل الصدق في طائفة كبيرة من الأضداد . فمن ذلك مثلا «هجد» بمعنى نام وسهر : فمن المحتمل أن تكون في معنى النوم منحدرة من هدأ إذا سكن ، وفي معنى السهر من جد إذا جهد، لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم .

وقد حاول الأب مرمرجي الدومنكي أن يرجع إلى هذا العامل عددا كبيرا من الأضداد ، وهو يبحث عن الأصول الثنائية للكلمات ، لأنه يرى أن الأصول الأولى للكلمات العربية ثنائية لا ثلاثية ...[54]

هذا ، وكما رأينا – في بحث المشترك اللفظي – أن بعض المصادفات المحضة قد تغير معنى لفظ ما وتستعمله في غير المراد الأصلي البدائي ، نرى كذلك في بحث التضاد (باعتباره ضربا من المشترك) صورا من هذه المصادفات تكون بعض الأضداد ،[55] من ذلك :

1 – التفاؤل : ففي بعض الأمثلة استعمل اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاؤل ، كتعبيرك عن الأعمى بالبصير . ونحسب أن أبا حاتم السجستاني في كتابه عن (الأضداد) لم يكن يقصد غير هذا حين قال : «إنما قيل للعطشان ناهل على سبيل التفاؤل ، كما يقال : المفازة للمهلكة على التفاؤل ، ويقال للملدوغ سليم ، أي سيسلم» .[56]

2 – التهكم والتعريض ، أو اتقاء التلفظ بما يكره التلفظ به : وذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ، والأبيض على الأسود .[57]

3 – المجاز : فنقل اللفظ من معناه الأصلي إلى غيره قد يؤدي إلى التضاد ، مثل (الكأس) يطلق على الظرف والمظروف . وهذا حين ينسى المجاز فيصبح المعنى المجازي كالحقيقي .[58]

4 – المشترك المعنويّ : وقد يجيء التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى عام ، يشترك فيه الضدان ، فتصلح كل منهما لذلك المعنى الجامع ، وقد يغفل بعض الناس عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد .ومثال ذلك : «القرء» في إطلاقه على الحيض والطهر؛ لأن

معناه في الأصل الوقت المعتاد؛ ومن ثم يستعمل في الحيض والطهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة .(59)

5 – التصريف : وقد تأتي بعض الأضداد من عوارض تصريفية . وذلك بأن تؤدى القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة صرفية واحدة ، فينشأ عن ذلك لبس في معنى الصيغة المشتركة يؤدي إلى عدها من باب الأضداد وهي ليست منه في شيء . من ذلك اسما الفاعل والمفعول في (افتعل) مما عينه معتلة أو ما فيه تضعيف ، فالفعل (اختار) معتل ، واسم الفاعل والمفعول منه (مختار) نقول : العبد مختار في أفعاله ، والنبي مختار لهداية الأمة ، فهما متفقان لفظا ، مختلفان تقديرا ، فأصل اسم الفاعل (مختيِر) بكسر الياء ، وأصل اسم المفعول (مختيَر) بفتحها .(60)

آراءالعلماء في التضاد : –

اختلف علماء اللغة بصدد وروده في اللغة إلى فريقين : –

الفريق الأول : ويرى عدم وجود التضاد في اللغة ، وعملوا على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب . ومن هؤلاء – بل وعلى رأسهم – ابن درستويه .

وصحة هذا الفريق أن اللغة موضوعة للابانة عن المعاني ، واللفظة الواحدة إذا اعتورها معنيان لم يعرف المخاطَب أيهما أراد المخاطِب ، وفي ذلك إبهام وتعمية(61) .

وهذا الرأي مردود عليه ، لأن السياق كفيل ببيان المعنى المراد .

الفريق الثاني : ويرى كثرة ورود الترادف في اللغة ، وضرب له كما هائلا من الأمثلة . ومن هؤلاء : ابن الأنباري والخليل وسيبويه وابن فارس وابن دريد والسيوطي وابن السكيت . غير أنهم اختلفوا فيما بينهم – في طريقة الورود ذاتها – إلى ثلاثة مذاهب :

أ – ذهب فريق إلى أن التضاد موجود في اللغة ، سواء كان من واضع واحد ، أم أكثر ، مع ملاحظة أن اللفظ موضوع في الأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل المعنى الآخر ، على وجه الاتساع ، وهذا مبني على رجوع المعنيين الضدين لأصل اشتقاقي واحد . فمن ذلك «الصريم» لليل والنهار؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع .(62)

ب – وذهب ابن دريد إلى أن التضاد موجود ، بشرط أن يكون من واضع واحد ، وأن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لهجة واحدة .(63)

ج – وذهب بعض العلماء إلى أن التضاد واقع من أكثر من واضع واحد ، وهذا كما بيناه – آنفا – عند الحديث عن اختلاف اللهجات في أسباب وقوع التضاد في العربية .

والحق أن الرأي الأكثر إنصافا ، والجدير بالاعتبار ، هو الرأي بثبوت التضاد في اللغة ، لكنه ليس كثيرا بالصورة التي ذهب إليها هؤلاء ، وهو أقل من المشترك ورودا في اللغة .(64)

فائدة التضاد وأثره اللغوي : –

مما لاشك فيه أن للتضاد أثرا كبيرا في نمو اللغة ، فهو وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب ، مما وسع من دائرة التعبير في العربية؛ فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا في مرانتها وطواعيتها في التنقل بين السلب والايجاب ، والتعكيس والتنظير ، وهو ما ليس له في اللغات الحية نظير ...(65)

الهوامش

(1) د . علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 189 ، ط . دار نهضة مصر بالقاهرة .
(2) المرجع السابق : ص 168 - 169 - بتصرف يسير .
(3) د . صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص ، 293 - 294 - بتصرف - . وقارن بفقه اللغة : د . وافي ، ص 169 .
(4) د . علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص 174 .
(5) المرجع السابق : ص 173 - وقارن بدراسات في فقه اللغة : د . صبحي الصالح ، ص 293 ، ط . 1 سنة 1983 - دار العلم للملايين ببيروت .
(6) د . عبد الغفار حامد هلال : علم اللغة بين القديم والحديث ، ص 322 ، ط . أولى 1979 - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة . وراجع فقه اللغة . د . وافي ، ص 172 .
(7) د . وافي : فقه اللغة ، ص 174 - بتصرف - .
(8) د . هلال علم اللغة بين القديم والحديث ، ص 322 .
(9) المرجع السابق : ص 323 - 324 - بتصرف - . وقارن بدور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، التعليق للدكتور كمال بشر من ص 108 - 110 .
(10) العلامة السيوطي : المزهر ، 1 / 403 ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون ، ط . عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
(11) المصدر السابق : 1 / 405 .
(12) د . هلال : علم اللغة بين القديم والحديث ، ص 325 - بتصرف - .
(13) سورة الاسراء : من الآية 15 .
(14) سورة الأنبياء : آية 107 .
(15) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 299 - 300 ، فراجعه تجد مزيدا من التفصيل .
(16) العلامة ابن فارس : الصاحبي ، ص 114 ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط . عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة 1977 .
(17) المصدر السابق : ص 115 .
(18) المصدر السابق : ص 116 .
(19) المصدر السابق : ص 115 .
(20) نفس المصدر : ص 116 .
(21) د . إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، ص 169 - بتصرف - ، ط 6 - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
(22) د . هلال : علم اللغة بين القديم والحديث ، ص 328 .
(23) المرجع السابق : ص 328 .
(24) د . وافي : فقه اللغة ، ص 169 - 170 .
(25) د . هلال : علم اللغة بين القديم والحديث ، ص 329 بتصرف يسير - . وانظر فقه اللغة : د. وافي ، ص 170 - 171.
(26) السيوطي : المزهر ، 1 / 405 .
(27) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 299 .
(28) د . هلال : علم اللغة ، ص 321 ، نقلا عن فلسفة اللغة العربية : د . عثمان أمين ، ص 58 - 59 .
(29) السيوطي : المزهر ، 1 / 406 .
(30) المصدر السابق : 1 / 406 - بتصرف - .
(31) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 301 - 302 - بتصرف - .
(32) د . وافي : فقه اللغة ، ص 192 .
(33) د . هلال : علم اللغة ، ص 309 - 310 .
(34) د . وافي : فقه اللغة ، ص 192 .

(35) د . هلال : علم اللغة ، هامش ص 312 .
(36) السيوطي : المزهر ، 1 / 369 .
(37) د . هلال : علم اللغة ، ص 311 . وراجع في اللهجات العربية : د . أنيس ، ص 197 .
(38) د . وافي : فقه اللغة ، ص 190 – بتصرف يسير – .
(39) المرجع السابق : ص 191 .
(40) السيوطي : المزهر ،1 / 385 .
(41) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 308 . وقارن بالمزهر للسيوطي ، 1 / 376 .
(42) السيوطي : المزهر ، 1 / 369 – 370 .
(43) العلامة ابن سيدة : المخصص ، 3 / 259 ، ط . بولاق سنة 1316هـ . وراجع د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 303 – 304 .
(44) المرجع السابق : ص 308 – 309 .
(45) د . هلال : علم اللغة ، ص 309 .
(46) السيوطي : المزهر ، 1 / 369 .
(47) د . هلال : علم اللغة ، ص 314 – 315 . وقارن بالمزهر ، 1 / 387 .
(48) السيوطي : المزهر ، 1 / 387 .
(49) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 310 .
(50) د . وافي : فقه اللغة ، ص 193 .
(51) الأستاذ عبد الله العلايلي : مقدمة لدراسة لغة العرب ، ص 235 .
(52) العلامة ابن الأنباري : الأضداد ، 1 / 123 ، المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة 1320هـ .
(53) د . وافي : فقه اللغة ، ص 198 .
(54) المرجع السابق : ص 198 وهامشها – بتصرف – . وقارن بأبحاث ثنائية ألسنية ، صفحات 135 – 144 ، والمعجمية العربية ، ص 229 ، للأب مرمرجي الدومنكي .
(55) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 311 – 312 . وراجع فقه اللغة : د . وافي ، ص 194 – 197 ، تجد مزيدا من التفصيل .
(56) العلامة أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، ص 99 . وقارن بدراسات في فقه اللغة : ص 310 ، وفقه اللغة : ص 194 .
(57) د . وافي : فقه اللغة ، ص 194 .
(58) المرجع السابق : ص . 195 – بتصرف – .
(59) نفس المرجع : ص 195 .
(60) د . هلال : علم اللغة ، ص 316 . وراجع فقه اللغة : د . وافي ، ص 197 .
(61) السيوطي : المزهر ، 397/1 . وقارن بالأضداد : لابن الأنباري ، ص 2 ، 3 .
(62) السيوطي : المزهر ، 401/1 . وراجع الأضداد : لابن الأنباري ، ص 8 .
(63) د . هلال : علم اللغة ، ص 319 .
(64) المرجع السابق : ص 320 .
(65) د . الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ص 313 – بتصرف – .

المصادر والمراجع

(1) أبحاث ثنائية ألسنية : للأب مرمرجي الدومنكي ، ثلاثة كتب صغيرة طبع أولها سنة 1937م ، ثم الثاني سنة 1947م ، وتلاه الثالث سنة 1950م .
(2) الأضداد : للعلامة أبي حاتم السجستاني ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، نشرها الدكتور أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة 1912م .
(3) الأضداد في اللغة : للعلامة ابن الأنباري ، المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة 1325هـ .
(4) دراسات في فقه اللغة : د .صبحي الصالح ، ط . الأولى سنة 1983 – دار العلم للملايين بيروت .
(5) دور الكلمة في اللغة : ستيفن أولمان ، تعليق الدكتور كمال بشر .
(6) الصاحبي : للعلامة ابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط .عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة 1977م .
(7) علم اللغة بين القديم والحديث : د . عبد الغفار حامد هلال ،ط أولى سنة1979 – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .
(8) فقه اللغة : د . علي عبد الواحد وافي ، ط . دار نهضة مصر بالفجالة – القاهرة .
(9) في اللهجات العربية : د . إبراهيم أنيس ، ط 6 – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
(10) المخصص : للعلامة علي بن سيدة ، ط . بولاق سنة 1316هـ .
(11) المزهر : للعلامة جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون ، ط . عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
(12) المعجمية العربية : للأب مرمرجي الدومنكي .
(13) مقدمة لدراسة لغة العرب : للأستاذ عبد الله العلايلي .

قضية الفصاحة(*) في القاموس العربي التاريخي

د . عبد العلي الودغيري
كلية الآداب - الرباط

- 1 -

البحث في قضية «الفصاحة» في القاموس[1] العربي التاريخي ، هو في الواقع بحث في صميم مدونة هذا القاموس ومادته اللغوية ، وفي كيفية تحديد مصادر هذه المادة ومنابع جمعها واستقائها ، ورسم إطارها الزماني والمكاني ، وحجمها ومستويات استخدامها .

ومعرفةُ طبيعة المادة اللغوية لهذا القاموس مسألةٌ أساسية جدا وضرورية جدا ، ولكنها متوقفة على معرفة المنهج الذي سوف يُتبع في تأليفه ، والتصور الذي يضعه له أصحابه بحسب الأهداف والغايات المتوخاة منه . وبصفة محددة ودقيقة ، لابد لمعرفة طبيعة المادة اللغوية التي سيحتويها هذا القاموس أن نعلم **أولا** : هل من أهدافه أن يكون شاملا يؤرخ لسائر الالفاظ العربية ، وكل استعمالاتها ومستويات استخدامها ، بغض النظر عن كونها فصيحة (أي من اللغة المشتركة) أو غير فصيحة (أي من العاميات واللهجات) ، أم سيكون الهدف هو الاقتصار على مستوى العربية الفصحى (المشتركة) دون غيرها من اللهجات والعاميات والاستعمالات المحلية التي لم يشترك فيها كل العرب ؟

وأن نعلم **ثانيا** : هل سيؤرخ للغربية في كل أطوار حياتها : قديمها وحديثها ، أم سيقتصر على القديم وحده كما فعل (أ . فيشر) في قاموسه ؟

ولنفترض الآن أن الاختيار وقع على حصر الهدف المتوخَّى في كتابة تاريخ العربية الفصحى (أو المشتركة) دون اللهجات والعاميات لأسباب يمكن إجمالها في :

1- أن العربية الفصحى (أي المشتركة) هي اللغة

(*)بحث قدم للندوة العلمية التي نظمتها جمعية (المعجمية العربية بتونس) أيام 14 - 15 - 16 - 17 نونبر 1989 بالعاصمة التونسية في موضوع : (المعجم العربي التاريخي : قضاياه و وسائل إنجازه).

التي كانت وما تزال وستظل تقوم بدور التواصل والتفاهم الكاملين بين سائر أبناء العروبة والاسلام ، وهي إلى ذلك عنصر توحيد ديني وثقافي وقومي . وأما اللهجات والاستعمالات المحلية فلم تستطع ولا تستطيع في يوم من الأيام أن تقوم بهذا الدور ، بل هي عامل تجزئة وتفرقة أكثر منها عامل توحيد ، وعامل انقطاع وتباعد أكثر منها عامل تقارب وتفاهم وتواصل .

2- قلة المعلومات التي تصلح لوصف اللهجات العربية في عصورها الماضية وكتابة تاريخها بشكل علمي . فالعرب اشتغلوا بالتأليف في الفصحى ، ووجهوا عنايتهم للاهتمام بها والمحافظة عليها ، وأهملوا اللهجات لأسباب كثيرة ، ولم يتحدثوا عنها إلا عَرَضا وفي شكل استطرادات خلال كتاباتهم الفصيحة . والنَّزر القليل من المعلومات التي نتوفر عليها ، من الصعب جمعه في زمن يسير ، لأنه موزع على طائفة كبيرة جدا من المظان ، دفينٌ بين طياتها ، وليس كل هذه المظان مطبوعا ولا ميسورا لطلبه(2) .

3- تعدد هذه اللهجات في القديم والحديث ، وسرعة تكاثرها وتوالدها . فداخل الجزيرة العربية المحدودة المساحة كانت هناك لهجات تعددت بتعدد القبائل . ولما جاء الاسلام وخرج العرب من الجزيرة وانتشروا في سائر أنحاء المعمور ، انتقل معهم هذا التعدد وازداد مع توالي القرون تفاحشا وتفاقما ، وأصبحنا نجد داخل الاقليم الواحد من أقاليم البلاد العربية وأقطارها عددا كبيرا من اللهجات التي تحتاج كل واحدة منها إلى تاريخ خاص .

فإذا مال بنا التفكير اليوم إلى وضع قاموس يجمع في وقت واحد بين التأريخ للفصحى والتأريخ للهجات والعاميات ، وجب استحضار كل هذه الصعوبات والعراقيل التي يمكن أن تثبط العزائم ، وقد تصرف النظر عن المشروع – الذي نجتمع من أجله – نهائيا أو تؤجله إلى أجل غير مسمى .

على أنه بالامكان أن نفصل بين الأمرين ، فنضع مشروعين اثنين : أحدهما لتأريخ العربية الفصيحة (أي المشتركة) وثانيهما لتأريخ اللهجات والعاميات ، وتكون الأسبقية في هذه المرحلة الأولى لانجاز المشروع الأول ، وأما الثاني فيؤجل إلى حين استكمال المعلومات والتوفر على الوسائل والوثائق الكافية ، هذا مع العلم أن اللهجات والعاميات في حد ذاتها يمكن أن تكون لها تواريخ متعددة لا تاريخ واحد . فكل لهجة على حدة تستحق أن تكون موضوع تاريخ خاص ومستقل – كما سبق – كما أنه بالامكان أن تخصص اللهجات القديمة وحدها بتاريخ ، وكذلك وعلى غرارها اللهجات الحديثة .

ثم إن التفكير في الاقتصار – ولو مرحليا – على التأريخ للعربية الفصيحة المشتركة ، لا يعني التفكير في الاستغناء عن دراسة اللهجات والرجوع إلى النصوص والوثائق الخاصة بها ، بل على العكس من ذلك سوف تقدم لنا دراسة اللهجات بالطريقة العلمية المطلوبة والموضوعية في التأريخ للألفاظ الفصيحة لا يمكن تجاهلها أو الاستهانة بها ، ولا سيما إذا عرفنا حقيقة أساسية وهي أن أغلب الألفاظ والاستعمالات الفصيحة ، كانت قبل تُفَصَّح وتصبح لغة مشتركة ، عبارة عن لهجة محلية أو استعمال خاص ، ومعنى ذلك أن الذي يريد أن يؤرخ لألفاظ العربية الفصيحة سيكون مضطرا إلى إرجاع أغلبها إلى أصولها اللهجية واستعمالاتها الخاصة . ثم إن هناك ألفاظا عربية كثيرة عَرَفت خلال تاريخ تطورها حركة من المد والجزر ، فانتقلت من

الاستعمال المحلي واللهجي إلى الاستعمال الفصيح المشترك ، ثم ما لبثت أن عادت بها دورة الحياة إلى نقطة البداية وهي الاستعمال اللهجي ، وربما أدت بها إلى الانكماش والتقلص شيئا فشيئا حتى وصلت إلى نقطة الموت والاهمال التام . فيكون المؤرخ اللغوي مضطرا في مثل هذه الحالة إلى تتبع مراحل الكلمة الثلاث : النشأة ، فالتوسع ، فالتقلص ، أي مضطرا بالاضافة إلى البحث عن اللهجة العربية القديمة التي انطلقت منها الكلمة قبل أن تُفَصَّح ، لأن يتتبع حركة تطورها حتى يعرف اللهجة الحديثة التي استقرت فيها في مرحلة التقلص والانكماش ، أو حتى يعثر على المقبرة التي دُفنت فيها الكلمة بصفة نهائية ، وهذا كله يعني شيئا واحدا وهو أن دراسة الوثائق والنصوص الخاصة باللهجات العربية مفيد جدا في التأريخ للفصحى .

— 2 —

فإذا أصبح هذا الافتراض الآن مقبولا ، وهو أن الهدف قد تحدد في الاقتصار على التأريخ للفصحى ، وجب بعد ذلك أن نعلم ماهو المفهوم الذي نريد أن نعطيه لكلمة (فصحى) ونحن نضع تصورنا لهذا القاموس ؟ وتحديد هذا المفهوم ضروري لأنه يتوقف عليه تحديد نوع المادة اللغوية التي سوف يشتمل عليها قاموسنا التاريخي .

وفي نظرة إجمالية مختصرة يتبين للدارس أن هناك مفهومين للفصحى لابد من اتخاذ موقف واضح إزاءهما ومعرفة أيهما يلزم الأخذ به والاعتماد عليه . وأولهما قديم والثاني حديث .

أما المفهوم القديم ، فنقصد به مفهوم (الفصحى) أو (الفصاحة) عند المعجميين والقاموسيين وحدهم ، لا عند سواهم من أصحاب البلاغة والنحو الذين هم بدورهم قد استخدموا هذا المصطلح ، ولكن بمعايير قد تختلف كثيرا أو قليلا عن معايير وشروط المعجميين والقاموسيين .

فإذا كان البلاغيون مثلا لا يعتبرون من الكلام فصيحا إلا ما تحققت فيه عناصر فنية وجمالية معينة ، فأصبح بذلك يمثل مستوى استخداميا عاليا ينحصر وجوده – أو يكاد – في استعمالات كبار الشعراء والأدباء والكتاب ، فإن المعجميين ومؤلفي القواميس على الخصوص لم يتقيدوا بهذا الشرط ، إذ الفصحى عندهم لاتعدو أن تكون هي اللغة التي استعملها أصحابها الاصليون (أي العرب الأقحاح) الذين لم يتأثر لسانُهم بعجمة ولم ينحرف عن أصله بسبب الاختلاط بلغات أجنبية ، سواء كانت أدبية ثقافية رفيعة المستوى كلغة الشعر والخطب ، أم كانت عادية محكية دارجة على الشفاه في التخاطب اليومي كلغة الأعراب التي أخذت عنهم مباشرة . ومن أجل التأكد من صحة انتماء اللفظ أو الاستعمال إلى العروبة الحق ، وسلامتها من الانحراف والهجنة اشترطوا شروطا سنعود إليها بعد قليل .

فللبلاغة إذن الحق في الاعتراض على كلمة (مُسْتَشْزِرات) الواردة في قول امرىء القيس :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلاَ

بسبب ثقلها على الأذن وعدم الانسجام في تأليفها الصوتي ، وأما القاموسيون فلا يعترضون ، لأن عندهم أن كل كلمة في شعر امرىء القيس وغيره من شعراء الجاهلية فصيحة ولو كانت ثقيلة على الأسماع .

وللبلاغيين ألا يعتبروا عيسى بن عمر النحوي فصيحا حين قال :
«مالكم تَكَأكَأتُمْ عَلَيَّ» لأنه استعمل كلمة غريبة حُوشِيَّة يُحتاج إلى التنقير عنها في كتب اللغة(3) . ولكن صانعي القواميس القدامى لم ينظروا إلى

الحوشي والغريب تلك النظرة المريبة ، فقواميسنا القديمة ملأى بالغريب وبالحوشي .

وبالمقابل ، فإن أصحاب الصناعة القاموسية القدامى ، قد حصروا إطار الفصاحة في حدود زمانية ومكانية معينة كما سنرى ، ولم يتقيد بذلك البلاغيون ، لأنهم أجازوا الاستشهاد بنصوص متأخرة عن عصور الاحتجاج حين توفرت فيها العناصر الفنية والأسلوبية التي يتطلبونها .

وللنحاة كذلك مقاييس في الفصاحة ، لم يكن صانعوا القواميس العربية ليحترموها جميعا ، من ذلك مثلا ، شرط الاطراد في القياس . فإذا كان النحوي لا يستطيع أن يبني قواعده على الحالات الشاذة ، فإن الأصل في القاموس – كما يقول بحق بعض اللسانيين المعاصرين(4) – أن يكون ذيلا للنحو وملحقا به ، لأنه من المفروض أن يشتمل على كل الشواذ التي لا تنتظمها قاعدة(5) . وقديما اعترض ابن درستويه على الذين اعتبروا الاطراد في القياس معيارا من معايير الفصاحة في الألفاظ فقال : «وقد تلهج العرب الفصحاء بالكلمة الشاذة عن القياس ، البعيدة عن الصواب ، حتى لا يتكلموا بغيرها ، ويدعوا المنقاس المطرد المختار(6)» . وكذلك كان موقف ابن الطيب الفاسي الشركي (أو الشرقي) الذي هاجم ثعلبا وسواه ممن اعتبروا الشذوذ مخلا بالفصاحة وقال : «والشذوذ لا ينافي الكثرة كما لا ينافي الفصاحة(7)» ، وقال أيضا : «قد يكون الشاذ أفصح من المقيس وأكثر استعمالا في الكلام كما يُعلم بالوقوف على متون التصريف وأصول اللغة(8)» .

لقد كان مفهوم الفصاحة عند المعجميين والقاموسيين إذن يقوم أساسا على ثلاثة معايير أو شروط هي :

1 – **شرط المكان** : وهو الذي تقرر بمقتضاه أن تكون العربية المراد الحكم لها بالفصاحة خالية من كل شوائب العجمة والتحريف ، بعيدة عن كل عوامل التأثر بالدخيل ، ولذلك تم اتخاذ كل الاحتياطات المشددة في اختيار بيئة هذه الفصحى وتقليص حدودها الجغرافية في أطلس لغوي لاتتسع مساحته لغير القبائل العربية الواقعة في وسط الجزيرة دون بقية أطرافها التي كانت على صلة بأمم أخرى أجنبية ، وفي بواديها دون حواضرها ومدنها التي كانت تَعِجُّ أيضا بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة أو من أطرافها بقصد التجارة أو غير ذلك(10) .

وفي الحقيقة أن هذا الشرط لا يكاد ينطبق إلا على اللغة المحكية التي جمعوها من أفواه مستعمليها مباشرة ، وأما اللغة الأدبية المكتوبة ، ولغة الشعر بالخصوص ، فلم يراعوا في شأنها هذا الشرط ، لأنهم استشهدوا بلغة شعراء عاشوا في كبريات الحواضر الجاهلية والاسلامية ، وخالطوا أمما غير العرب ، كالنابغة وامرىء القيس ، وحسان ، وعمر بن أبي ربيعة ، وجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وغيرهم ...

والشرط الثاني : وهو شرط الزمان أو الأقدمية ، تم بمقتضاه تحديد إطار الفصاحة زمنيا في العصور الأولى للغة العربية ،فأوقفوا من أجل ذلك الاحتجاج باللغة الأدبية ، وخاصة لغة الشعر ، في حدود منتصف القرن الثاني الهجري ، وباللغة الشفوية المنقولة عن أعراب البادية مباشرة في حدود القرن الثالث إلى الرابع الهجري . وكل استعمال جاء خارج إطار الأقدمية هذا عدَّ مولدا أو محدثا ولم يلتفت إليه إلا في المجال البلاغي والأسلوبي .

والشرط الثالث : وهو شرط الصحة ، يقتضي بأن لا يحكم بالفصاحة للفظ أو استعمال إلا إذا ثبتت نسبته إلى عربي فصيح سواء بالمشافهة أو

الرواية الصحيحة . والعربي الفصيح – في هذا المجال – هوالذي نشأ في بيئة وزمن بعيدين وعن العجمة والاختلاط كما حدد من قبل . وما شُكَّ في نسبته للعرب الأقحاح أصحاب اللغة الأصليين الذين ظلوا محتفظين بسليقتهم دون فساد أو تحريف ، اطرح جانبا ولم يُفَصَّح . وقد وردت في القواميس القديمة ألفاظ كثيرة مقرونة بعبارات التحفظ والاحتياط إن لم نقل الطعن والتجريح ، كمثل قولهم : (وفي لغة) و (في لُغَية) و (لم يثبت) و (لم يصح) و (لست منه على ثقة) و (فيه نظر) .. الخ . وكثيرا ما عابوا كتاب ابن دريد الذي سماه (الجمهرة) بسبب توسعه في السماع دون تثبت واحتياط ، وطارت شهرة كتاب الجوهري الذي سماه (تاج اللغة وصحاح العربية) و فضَّله كثير من الناس على غيره لتقيده بشرط الصحة . وكان ابن الطيب الشرقي الفاسي يقول : «وليس المدار على كثرة الجمع بل على شرط الصحة الذي فاق به الصحاحُ جميعَ من تقدمه أو تأخر عنه(11) ...

والذي نريد أن نستنتجه من كل ما سبق ، هو أن مفهوم الفصاحة هذا بشروطه المذكورة ، قد استخدم عند القدماء بمثابة سيف ذي حدين :

أ – فقد استخدم بالنسبة للغة العربية القديمة معيارا للانتقاء والاصطفاء ، وليس وسيلة من وسائل الاحاطة والشمول . فالاحتكام إليه هو الذي أدى إلى تحديد طبيعة المادة اللغوية التي جمعوها وألفوا منها القواميس ، وحصرها في بيئة وزمان معينين ، وما خرج عن ذلك رَدوُّه ولم يعتبروه داخلا في (لغة العرب) المحكوم لها بالوثوقية والتفصيح . وكانت النتيجة أن ظلت خارج القواميس المؤلفة قديما لغات سائر القبائل التي لم تشملها حدود وسط الجزيرة ، كما خرجت من تلك الدائرة لغات كل الحواضر والمدن القديم منها والحديث .

ب – واستخدم من جهة أخرى ، حاجزا منعيا وقف في وجه اللغة الحادثة التي طرأت بعد عصر التدوين والاحتجاج ، وحال بين القواميس القديمة وبين متابعة التطور الذي عاشته العربية خلال عصور طويلة على أيدي الشعراء والكتاب والفلاسفة وأصناف العلماء على اختلاف تخصصاتهم . فأصبحت تلك القواميس تصد عن كل لفظ أو استعمال لم يخضع لشروط الفصاحة القديمة ، بدعوى أنه مولد أو محدث أو أعجمي دخيل ، أو مجازي ، أو اصطلاحي . وبذلك لم تسمح لنفسها بالتجاوب مع الحركة الثقافية والعلمية والطفرات الحضارية التي كان لها انعكاس واضح على اللغة خارج القواميس الشاملة . بل لقد أقفلت قواميسنا أبوابها ونفضت يدها من عملية الجمع والتدوين في مرحلة سابقة للعصور التي نضجت فيها ثمرات الحضارة العربية ووصلت قمة أمجادها . وتعمدت أن تبتعد عن مواطن هذا الازدهار وعواصمه الكبرى كالبصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة والقيروان ، مكتفية برصيدها القديم وبزادها الذي ورثته من الأعراب الأوائل لاتريد أن تنميه أو تضيف إليه .

إن المرء لا يقول هذا بغاية التنقيص من قيمة الأعمال الجليلة التي خلفها لنا أسلافنا القدامى في مجال الدرس المعجمي والتأليف القاموسي ، ولا بقصد الطعن في مناهجهم التي اضطروا إليها اضطرارا بحكم الأهداف الدينية والثقافية والحضارية والقومية التي انطلقوا منها ، ولكن نقوله من أجل تقرير واقع حاصل لاسبيل إلى إنكاره ، ولا فائدة في معاندته

مادام الهدف عندنا هو البناء وليس الهدم . وهذا الواقع هو أن هناك قدرا هائلا لا يستهان به من الألفاظ والاستعمالات التي عرفتها اللغة العربية عبر تاريخها الطويل ظل خارج القواميس الكبرى التي وصلت إلينا ، وأن هذه القواميس القديمة قد توقفت حقبة طويلة عن ملاحقة ما يستجد في اللغة خلال العصور الاسلامية ، وكأن العربية قد اكتمل نموها في عصر الجمع والتدوين واستقرت على حالها النهائي .

ولقد استمر هذا الحصار مضروبا على العربية المحدثة طوال ما يقرب من خمسة قرون على الأقل ، أي منذ القرن الرابع الهجري إلى بداية التاسع الذي ظهر فيه القاموس (القاموس المحيط) للفيروزأبادي . ذلك أن صاحب (القاموس المحيط) قد حاول تخطي هذا الحاجز ، وتجاوز ذلك المفهوم القديم للفصاحة ، فأباح لنفسه إدخال عدد لابأس به من الكلمات والاصطلاحات الجديدة . ولكن عمل الفروزأبادي هذا لم يستطع من **جهة أولى** أن يحيط بكل المستجدات والمحدثات من الألفاظ والاستعمالات التي أوجدتها العربية خلال القرون الخمسة السابقة . والسبب واضح وهو أن عمله كان عملا فرديا وأنه لم يقم بعملية تدوين جديدة للغة على غرار عملية التدوين الكبرى التي قام بها الرواة واللغويون الرواد المؤسسون .

وملاحظتنا الثانية على عمل (القاموس المحيط) هي أن جرأته تلك ،وثورته على المفهوم القديم للفصاحة قد جرَّتا عليه حملة نقدية شعواء ضارية من اللغويين العرب . وكان في مقدمتهم و على رأس حربتهم ابن الطيب الشرقي الفاسي الذي قسم ما جاء به صاحب (القاموس المحيط) من زيادات إلى : (1) اصطلاحات علمية ، (2) ومجازات ، (3) ودخيل ، (4) ومولد (5) وأسماء أعلام . واعتبر أن كل هذه الأصناف من الكلمات ليس من (لغة العرب) في شيء ، لأنها كلها خارجة عن مفهوم الفصاحة القديم . وهذه الحملة النقدية التي قوبل بها عمل المجد الفيروزأبادي لم تشجع آخرين على الاقتداء به وتقليده في ثورته ، ولذلك وجدنا الركود يعود من جديد إلى صناعة القواميس العربية . وظل هذا الصمت سائدا مخيما مدة قرون أربعة أخرى ، إلى أن ظهر (تاج العروس) للزَّبيدي في مطلع القرن الثالث عشر ، فشرح كتاب الفيروزأبادي وحاول خلال الشرح أن يضيف تلك الاستدراكات التي أتى بها شراح (القاموس المحيط) ونقاده ومحشوه ، معتمدا بالدرجة الأولى على حاشية شيخه ابن الطيب الشرقي الفاسي .

وللحقيقة وللتاريخ، لابد أن نعترف بأنه إذا كانت القواميس اللغوية العامة قد أحجمت عن متابعة تطور العربية في سائر أعصارها وأمصاره ، فإن قيام بعض القواميس المتخصصة (كمفردات الطب ، والتصوف، والفلسفة ...الخ) قد حاول التخفيف من حدة المشكل . ولكن هذه القواميس المتخصصة كان عددها قليلا جدا بالقياس إلى اتساع المعارف وأنواع العلوم والفنون من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن هذا القدر القليل من القواميس المتخصصة قد اهتم بالألفاظ الاصطلاحية وحدها ، وبقيت خارجه كل الألفاظ العامة ذات الدلالة اللغوية المشتركة .

— 3 —

ذلك هو المفهوم القديم للفصاحة في الحقل المعجمي والقاموسي ، وتلك هي بعض انعكاسات ونتائجه السلبية على لغتنا وقواميسنا القديمة . فما هو موقفنا منه الآن ونحن بصدد وضع تأريخ لألفاظ العربية ؟ لاشك أن الجواب الواضح هو أن هذا المفهوم قد تجاوزه العصر ، وأنه قد أصبح موضع

نقاش ونقد منذ القرن التاسع عشر الميلادي . كما تجاوزته المجامع اللغوية العربية وكل القواميس التي ألفت طيلة المئة والخمسين سنة الماضية . وهناك على كل حال أسباب كثيرة تدعونا في هذا العصر لتجاوز هذا المفهوم وإحلال مفهوم جديد محله ، وأهمها :

1 – أنه أصبح اليوم من المسلم به بين الدارسين للغة ، أنه لكل عصر فصاحته الخاصة . وهذا معناه أن كل عصر له معجمه وألفاظه التي يعبر بها عن ثقافته ، وعن الأدوات والمفاهيم الحضارية التي يستخدمها . ولايمكن لرجل في هذا العصر أن يتفاهم بين مخاطبيه بألفاظ الجاهلية أو العباسية إذا هو قرر الاقتصار عليها وحدها .

2 – أن تاريخ العربية لم يتوقف عند القرن الثالث أو الرابع الهجري ، والعرب لم ينقرضوا بعد ذلك العصر ، بل ازداد ارتفاعا ، وازدادت المساحة الجغرافية التي يحتلونها فوق الكرة الأرضية.

3 – أن تشبث القدامى بذلك المفهوم الذي ذكرناه للفصاحة ، كان ناتجا عن اعتقادهم بأن الاعتراف بالتطور اللغوي – وتطور العربية على الخصوص – معناه ترك المجال حرا أمام اللغة لكي تنحرف وتذهب بها المذاهب حتى تصبح لغات بدل لغة واحدة ، ولذلك تنقطع الصلة بالتراث وتتحول الأمة الواحدة إلى أمم وشعوب مختلفة ، ويحول هذا التطور في الأخير بين الناس وبين فهمهم للنص القرآني والنصوص الدينية الأخرى . ولكن الدراسات الحديثة بينت أن كل هذه التخوفات مبالغ فيها ، لأن التطور الذي قد يؤدي إلى الخطورة المذكورة هو الذي يحدث على مستوى اللهجات ، إذ هو تطور عشوائي ولا يتحكم فيه شيء – كما سنرى – أما التطور الذي يحدث على مستوى الفصحى فهو بطيء جدا وخاضع لقوانين وقواعد متفق عليها ، فما دام العرب والمسلمون عامة متشبثين باستعمال الفصحى لغةً مشتركةً في التخاطب ، ولغة التعليم والثقافة والدين ، وما دام الحرص موجودا على تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وعلى تعليم قدر كبير من نصوص التراث الفصيح وتلقينها جيلا بعد جيل ، فلا خوف بعد ذلك لما يحدث داخل الفصحى وتحت رعايتها وفي كنفها من تطور وتغير ، لأن ذلك ضرورة تمليها سنة التجاوب مع التطور الحضاري ، والثقافي ، لأنه كلما جد مفهوم أو مسمى إلا واحتاج الناس للتعبير عنه بلفظ جديد أودلالة محدثة .

أضف إلى ذلك كله أن التطور الذي يحدث عادة على مستوى المعجم ، لايكون فيه خطر على بنية اللغة الاساسية التي قوامها النظام الصوتي والصرفي والنحوي . ولذلك وصفوا المعجم بأنه نظام مفتوح ، وقالوا عن الأنظمة الأخرى : الصوتية والصرفية والنحوية إنها أنظمة مغلقة . ولا أدل على ما نقول من هذا القدر الهائل الكبير جدا من الألفاظ الحديثة التي دخلت الاستعمال طيلة المئة والخمسين سنة الماضية والتي كادت تجعل من نصف المعجم العربي القديم تقريبا مهملا ومماتا ، ومع ذلك لم يقل أحد إن العربية أصبحت في خطر . الخطر لا يأتي من إدخال ألفاظ ومصطلحات جديدة وإخراج وطرح ألفاظ ومصطلحات موجودة ، لأنه من دون هذه العملية الدائبة المستمرة : عملية الدخول والخروج في ألفاظ المعجم ، لايمكن للغة أن تعيش وتضمن لنفسها الاستمرار . ونحن بالطبع نريد للغتنا العربية الحيوية والنشاط والاستمرار .

4 – وبالنسبة لنا نحن الذين نريد وضع تاريخ للغة

العربية ، لايمكن أن نحتفظ بهذا المفهوم القديم إلا إذا كنا نريد أن نقتصر على وضع تاريخ اللغة العربية ، أي عربية ما قبل القرن الثالث الهجري ، أو كنا - بعبارة أخرى - نريد تكرار وإعادة إنتاج محاولة (فيشر) التي اعتقد أن المقصود هو تجاوزها وتخطيها . على أن مجمع القاهرة نفسه حين طبع الجزء الذي طبعه من عمل (فيشر) لم يفعل ذلك لأن مشروع هذا الرجل العالم كان يعبر تمام التعبير عن تصور المجمع ورغبته ، بل فعله بعدما رأى أن الغاية التي يسعى إليها ، وهي التأريخ لسائر أطوار العربية غاية ليس من السهل تحقيقها يومذاك ، للحاجة الماسة إلى الوثائق والنصوص والمعلومات الكافية .

لا أعتقد إذن إلا أن الهدف الذي ينبغي تحديده لمشروعنا هو نفس الهدف الذي سبق لمجمع اللغة العربية أن رسمه وهو كتابة تاريخ شامل للغتنا بتتبع حياتها من النشأة الأولى إلى يوم الناس هذا ، لاسيما أن أخصب مراحل التطور التي عرفتها هذه اللغة بعد مرحلة الانقلاب الذي أحدثه مجيء الاسلام ، وهي تلك المراحل التي أعقبت القرن الثالث الهجري (أي العصر الذي توقف عنده مشروع فيشر) وشهدت ما نعلمه جميعا من الازدهار في العلوم والفنون والآداب ، استطاعت لغتنا أن تستوعبه جميعه وتعبر عنه تعبيرا دقيقا وبمقدرة عالية .

ولا أعتقد أيضا إلا أن هدفنا هو كتابة تاريخ شامل ومفصل لحضارتنا وأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا ومقولاتنا ومواقفنا ورؤانا للعالم انطلاقا من ألفاظ اللغة ، على اعتبار أن الألفاظ هي التي تعكس بصدق وحضارة وفكر وثقافة المجتمع الذي يتكلمها . ومعلوم أن حضارتنا - نحن العرب - لم يقف تطورها عند المرحلة الزمنية القصيرة التي توقفت عندها القواميس اللغوية القديمة . بل لقد شرَّقت هذه الحضارة وغَرَّبت بعد القرن الثالث الهجري وعُمِّرت قرونا طويلة واستقرت في بيئات متنوعة الخصوبة والمناخ . واستفادت من ثقافات وتجارب لا حصر لها . وكل ذلك كان يعبر عنه بواسطة ألفاظ اللغة . فالذي يريد أن يتتبع تاريخ العرب وحضارتهم في سائر الأطوار ، عليه أن يستقرىء تاريخ ألفاظهم في جميع تلك الأطوار أيضا .

نحن إذن أمام ضرورة البحث عن مفهوم جديد للفصاحة يعترف بوجود فصاحة قديمة ، وهي التي حدد الأسلاف إطارها الزماني والمكاني ، بتلك الحدود التي ذكرناها سابقا ، وفصاحة حديثة نشأت خارج تلك الحدود في زمن يمتد مابين القرن الثالث وبداية الخامس عشر للهجرة ، وفي بيئة شاسعة واسعة تمتد عبر جميع الأصقاع التي استقرت فيها اللغة العربية واستوطنتها بعد الاسلام من أقصى الخليج إلى أقصى المحيط ، وهي عربية الفكر والثقافة والأدب والعلوم المختلفة ، حُشِيَتْ بها بطون آلاف الكتب وملايين الأوراق التي ينوء بحملها تراثنا الزاخر الغزير .

ولقد مرت لغتنا العربية خلال حياتها الطويلة التي لاتكاد تشبهها في طولها لغة أخرى من اللغات الحية ، بعدة طفرات وأحداث تاريخية كبرى غيرت من ملامحها وتركت آثارا واضحة عليها ، ولعل أبرز هذه المعالم هي الثورة الشاملة التي أحدثها الاسلام ، ثم الثورة الثقافية الكبرى التي أحدثها عصر الترجمة والازدهار العلمي ابتداء من عصر بني العباس ، ثم اليقظة الحديثة التي بدأت بمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي إثر الاصطدام بالغرب . وفي كل مرحلة من هذه المراحل الكبرى كانت العربية تبرز إلينا بوجه جديد وملامح متغيرة في مفرداتها ودلالة ألفاظها وتراكيبها واستعمالاتها ، ولذلك فبالامكان - وهذا

ماقال به دارسون من قبل – وضع تقسيمات مدرسية للتمييز بين المراحل الكبرى البارزة في تطور الفصحى عبر هذا التاريخ الطويل ،كأن نقول : (1) فصحى العصر الجاهلي . (2) وفصحى العصر الاسلامي الأول . (3) وفصحى العصور العباسية .(4) وفصحى عصور الانحطاط . (5) وفصحى العصر الحديث .

– 4 –

لكن ، إذا كانت الفصحى القديمة قد حددتها معايير القدماء ورسمت إطارها المعروف لدينا ، فما هي المعايير التي تتحدد بها الفصحى أو الفُصْحَيَات التي حدثت بعد عصر الاحتجاج والتدوين ؟ ذلك أنه ليس من المعقول أن لكل لفظ أو استعمال تم العثور عليه بعد عصر التدوين الأول يعتبر فصيحا ، حتى ولو ورد على ألسنة العامة أو الأعاجم ، أو انفرد باستعماله شخص واحد دون سواه ، أو جاء مخالفا لأبنية العرب وأقيستها في كلامها ؟

والجواب على هذا هو أن العربية بعد عصور التدوين ، قد تطورت في اتجاهين مختلفين معروفين :

1– **اتجاه اللهجات** والاستعمالات العامية ، وهو ما يمكن أن نسميه اصطلاحا بالاتجاه العفوي ، وفيه عاشت العربية حياتها على ألسنة الناس من مختلف الفئات والطبقات حرة طليقة لا يردها عن تطورها العشوائي راد ، ولايكبح جماحها شيء ، وهذا التطور الذي شهدته العربية في هذا المستوى كان سريعا ويصطبغ بصبغة البيئة التي عاش فيها ، وهو الذي أدى إلى ظهور لهجات عربية جديدة محلية وإقليمية لاحدود لعددها ولا نهاية ، حلت محل اللهجات العربية القديمة . وهذا الاتجاه الذي تطورت فيه العربية مما صورت بعضَ مظاهره كتب (لحن العامة) وكتب التصويب اللغوي ، ولايهمنا الآن أمره إذا ما تم حصر الهدف خلال هذه المرحلة في التأريخ للفصحى .

اتجاه الفصحى : أو الاتجاه المقنن ، وهو الذي شهدت فيه العربية تطورها وتوسعها على أيدي الكتاب والشعراء والمفكرين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم ، واحتفظت لنا أعمالهم ومؤلفاتهم التي لاحصر لها بشواهده ووثائقه التي تساعد على التأريخ له . وخاصية التطور الذي عرفه هذا الاتجاه هي أنه محدود وبطيء نسبيا إذا ما قيس بالتطور الذي تم على مستوى العاميات واللهجات . ولكنه من جانب آخر يمتاز بكونه لا يصطبغ بالصبغة الاقليمية والمحلية في الغالب وإنما له طابع اللغة المشتركة بين سائر أقطار العروبة . وماكانت له صبغة محلية فهو قليل من جهة وسرعان ما ينتشر عبر الكتب والمؤلفات فتزول عنه هذه الصفة من جهة ثانية ، ذلك أن التوليدات والاشتقاقات الجديدة التي تفرزها استعمالات الكتاب والشعراء والعلماء والمثقفين عادة ما تراعى فيها قواعد العربية الفصحى (المشتركة) ما أمكن ، ولا يضطر لتجاوزها أو اختراقها إلا نادرا وفي نطاق جد محدود . فهو تطور إذن يتم داخل القواعد والأقيسة القديمة وفي ظلها وتحت رعايتها ومباركتها .

وأعتقد أننا لو أردنا الآن تحديد ملامح وطبيعة الفصحى في مفهومنا الحديث ، لقلنا بادىء ذى بدء : إن الفصاحة التي نقصد إليها ونتحدث عنها ليست مستوى بلاغيا متميزا يتبارى الناس من أجل اكتسابه أو تقليده ، ولكنها هي خاصية اللغة التي تحترم حدا أدنى من القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية المتفق عليها بين علماء العربية ، وتصلح لتكون أداة للتفاهم الجماعي والتواصل المشترك بين سائر المتكلمين بها أينما كانوا ومتى وُجدوا ، ووسيلة للتعليم والتثقيف ، وأساسا لتوحيد

الفكر وتحقيق الهوية . فاللغة التي تجتمع فيها هذه الخصائص نسميها «العربية الفصحى» أو «العربية المشتركة» ، وذلك في مقابل اللهجات المحلية .

وهذا التعريف الذي أعطيناه للفصاحة والفصحى في مفهومنا الحديث سمح لنا بأن نعتبر فصيحا كل لفظ أو استعمال توفرت فيه الشروط الثلاثة التالية(12) وهي :

1) أن يرد في نص مكتوب ، أي لابد من أن يكون بعض كبار الكتاب أو الشعراء أو العلماء قد استخدموه في مؤلفاتهم وأعمالهم المكتوبة . لأن الفصحى التي حدثت بعد عصر التدوين والجمع إنما نشأت وتطورت كما سبق القول – على أيدي هؤلاء الكتاب والشعراء والعلماء ، أي نشأت وتطورت داخل النصوص المكتوبة ، وليس على ألسنة العامة .

2) أن يكون قد شاع استعماله بين أكثر من كاتب أو مؤلف ، وإلا وجب عده من المفردات الخاصة بكاتب بعينه أو مؤلف بذاته وهذا لا ينبغي اعتباره من اللغة المشتركة حتى يتداوله أكثر من مستعمل واحد .

3) أن يكون جاريا ولو بوجه على قواعد العربية وأقيستها في أبنيتها وسننها في الاشتقاق والتوليد والتعريب . فما خالف وضعه وضع القواعد والصيغ والأبنية المعترف بها مخالفة تامة لم يعتبر من الفصيح ،(أي من اللغة المشتركة)اللهم إلا إذا أقره واعترف به مجمع من المجامع اللغوية العربية ، فاكتسب بذلك الاعتراف حق «المواطنة» وانضم الى عائلة أخواته .

– 5 –

والآن ، وبعد أن فرغنا من تعيين أحد أهداف القاموس العربي التاريخي ، بأن قلنا إنه يجب أن يقتصر – ولو مرحليا – على التأريخ للفصحى وحدها دون اللهجات والعاميات ، ثم خطونا خطوة ثانية وحددنا هدفا آخر لهذا القاموس فقلنا : يجب أن يشمل التاريخ الذي نريد كتابته كل عصور الفصحى ومراحلها منذ الجاهلية إلى اليوم ، وأعطينا أفكارا واقتراحات حول ملامح الفصحى المتأخرة وبينا المقصود بها عندنا ، علينا إذن أن نضيف خطوة ثالثة فنسأل : هل نريد لقاموسنا هذا أن يهتم بوضع تاريخ لكافة الألفاظ واستعمالات الفصحى القديمة والمتأخرة ، ولا يترك منها شاذا ولا مقيسا ولا عاما ولا خاصا(أي سواء كان من اللغة العامة أم كان من اللغة الاصطلاحية الخاصة بعلم من العلوم أو فن من الفنون) ، ولا حيا ولا ميتا (أي سواء كان اللفظ ما يزال جاريا في الاستعمال أم كان قد أهمل وعفى عليه النسيان) . .أم أن الاختيار سيقع على طريقة أخرى وهي الانتخاب من هذه الفصحى كلها قدرا معينا من الألفاظ والاستعمالات وترك الباقي ؟

وأعتقد أنه في الحالين معا لابد من توسيع مصادر هذا القاموس توسيعا يتجاوز حدود القواميس القديمة والحديثة يشمل كل المادة اللغوية الموجودة في تراثنا المكتوب بالعربية في سائر الأعصار والأمصار مهما كانت طبيعته ومهما كان نوعه . أي لابد من القيام بعملية مسح وتفريغ شاملة لكل تراثنا المكتوب بالعربية ابتداء من أقدم نص وصل إلينا وهو النقوش القديمة ، إلى آخر نص نريد الوقوف عنده ، ولا تقتصر على القواميس وكتب اللغة وحدها . فمن جهة لأن هذه القواميس والكتب اللغوية قد أهملت عددا كبيرا من الألفاظ والدلالات ولم تدونها كما مر . ومن جهة ثانية لأنه حتى هذه الالفاظ والدلالات

التي دونت في القواميس لم تدون معها تواريخ استعمالها وتغيرها وتطورها . فافرض أنك عثرت على كلمة في كتاب (العين) وهو أقدم قاموس لغوي شامل وصل إلينا ، فظهور هذه الكلمة في القرن الثالث الذي ألف فيه (العين) لايعني بحال أنها وليدة ذلك العصر ، فقد تكون في الغالب أقدم من ذلك بكثير ، وقد يكون استعمالها – قبل أن تستقر على الصيغة والدلالة اللتين وجدت عليهما في كتاب الخليل – عرف مراحل عديدة من التطور والتقلب والنمو ، وهذا ما يفرض الرجوع في التأريخ لتلك الكلمة إلى ماهو أقدم من (العين) من الوثائق والنصوص . ثم افرض أنك عثرت على كلمة أخرى في (القاموس المحيط) وهو كتاب ألف في بداية القرن التاسع الهجري ، ولم تعثر عليها في قاموس قبله ، فهذا لايقطع بأن بداية استعمالها كانت في ذلك العصر وهو القرن التاسع ، فربما استعملت قبله بأعصر وقرون لأن قواميسنا لم تتابع التطور اللغوي مرحلة بعد مرحلة وسنة بعد سنة وقرنا بعد قرن . ولذلك فإن القواميس (القديم منها والحديث) لن تفيدنا إلا في وضع المعالم الكبرى لهذا التاريخ ، أما حدوده الدقيقة أو القريبة من الدقة فلا بد فيها من مسح التراث وتفريغ النصوص .

ولاشك أن إنجاز هذه العملية : عملية المسح والتفريغ لكل النصوص المكتوبة بالعربية حتى ولو اقتصرنا على المطبوع منها دون المخطوط ، ليس من السهولة بمكان ، ولا سيما أن تراثنا العربي المكتوب ربما كان هو أغنى تراث تملكه الانسانية وأغزره في الوقت الحاضر . ولكن لامناص منه على كل حال مهما تطلب من وقت وجهد ومال . ولقد كان المجمع العلمي القاهري قد تهيب المشروع فتركه إلى حين يتم نشر وجمع وتحقيق كل تراثنا المكتوب(13) ، ونحن لا نرى هذا الرأي ، ولا نقول بضرورة هذا الانتظار ، وما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقال . إذ بالامكان الاقتصار في عملية الجرد والمسح على النصوص المطبوعة دون انتظار المخطوط أولا ، وبالامكان ثانيا الاشتغال بالطبعات العادية للنصوص المنشورة دون انتظار تحقيقها مع إمكانية الرجوع إلى أصولها المخطوطة عند الحاجة والضرورة . **وبالجملة** يمكن البدء بما يتوفر لدينا حاليا من النصوص ، وهو أكثر من كثير ، بدل التوقف وانتظار الذي يأتي وقد لا يأتي ، لأن النقص سوف يظل موجودا في جميع الاحوال . ولو كان المجمع القاهري قد بدأ العمل بدل التوقف والانتظار لكان قد قطع مراحل كبيرة في المشروع . على أن هذا الكتاب الذي يراد وضعه ، سوف يظل – شأنه في ذلك شأن سائر القواميس – قابلا بصفة دائمة ومستمرة لعمليات متلاحقة من التنقيحات والمراجعات والتصويبات ، وسيضاف إليه عبر السنين اللاحقة كل ما يتم الوصول إليه من جديد تكشف عنه عمليات المسح والمتابعة التي من المفروض أن تستمر على أيدي باحثين مختصين موزعين على أقطار العالم .

الهوامش

(1) استعملت في هذا البحث – كما في أبحاث سابقة – مصطلحي : (قاموس) و (معجم) بمعنيين مختلفين ، شعورا مني بضرورة التمييز بين مفهومين أصبح الفصل بينهما في الدراسات المعجمية المعاصرة أمرا واضحا تماما .

والمفهوم الأول يراد به كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي ، ويجمع بين دفتيه قائمة تطول أو تقصر من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة ، ويخضعها لترتيب وشرح معينين . وهذا المفهوم هو الذي يناسب أن نطلق عليه مصطلح (قاموس) في مقابل اللفظ الأجنبي(Dictionnaire) .

وأما المفهوم الثاني فيعني ماهو أشمل وأعمق ، وهو المجموع المفترض (أي الموجود بالقوة لا بالفعل) واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها ، أو يمكن أن تمتلكها احتمالا ، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة . وهذا مايناسب أن نطلق عليه لفظ (معجم) في مقابل معنى من المعاني الاصطلاحية الحديثة لكلمة (Lexique) الأعجمية . وعلى هذا يمكن أن نقول في التمييز بين المفهومين والاصطلاحين ماقاله (لوي غيلبير) وهو أن القاموس ليس سوى «عملية تصغير للمعجم الموزع على أدمغة كل أفراد الجماعة ، وفي العدد الكبير من الجمل التي تتوالد بفعل إبداعية النظام اللغوي» . وبعبارة أخرى أن الفرق بين (القاموس) و (المعجم) كالفرق بين الانجاز والقدرة (أو الكفاءة) في اللسانيات التوليدية . ثم إن البحث في القاموس بحث يغلب عليه الطابع التطبيقي والعلمي لأنه يندرج عادة تحت علم (صناعة القواميس) (La lexicographie) بينما يغلب الطابع النظري على البحث في (المعجم) ، لأنه يندرج تحت فرع آخر من الدراسات المعجمية وهو فرع (علم المفردات) أو (المعجمية) (La lexicologie) ، وقد أصبح اليوم من صلب اهتمام الفرضية المُعْجَماَنِيَّة (L'hypothèse lexicaliste) .

(انظر حول ما سبق : المعجم . ج . مارسيليزي . تعريب عبد العلي الودغيري) . – (La créativité lexicale. par : L. Guilbert : 46)

وتجدر الاشارة في الأخير إلى أن الدكتور إبراهيم السامرائي في بحث له منشور بمجلة «البحوث والدراسات العربية» بعنوان : (عن المعجمات اللغوية القديمة ومسألة التصحيح اللغوي) يعيب على صفوة اللغويين والباحثين في العربية استعمالهم لكلمة (قاموس) بمعنى الكتاب الذي يشتمل على قائمة الألفاظ المرتبة والمشروحة ، ويقول إن الصواب هو استعمال (معجم) لأن (القاموس) في اللغة هو وسط البحر ، وهو عَلَم على كتاب الفيروزأبادي ولا يجوز إطلاقه على أي كتاب لغوي . وكأن الأستاذ السامرائي لايعلم أن هذا الاستعمال الذي أنكره قد أقره المجمع العلمي بالقاهرة وأثبته في (المعجم الوسيط) ، كما أثبتته قواميس أخرى منها (المعجم العربي الأساسي) و (المنجد في اللغة والأدب و العلوم) وغيرها . وقد تطورت كلمة (القاموس) في دلالتها على مراحل ثلاث ، فاستعملت أولا بمعنى وسط البحر أو معظمه ، ثم أصبحت علما على كتاب الفروزأبادي ، وأصبحت تعني أخيرا كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة .

ومن أجل كل ما سبق ، أقترح تسمية الكتاب الذي يراد تأليفه من أجل التأريخ لألفاظ اللغة العربية ب(القاموس العربي التاريخي) وليس (المعجم العربي التاريخي) .

(2) من أنواع المصادر والمظان التي تساعد على التأريخ للهجات العربية القديمة والمتأخرة نذكر :

- كتب القراءات القرآنية .
- كتب لحن العامة والتصويب اللغوي وتفصيح العامي .
- القواميس العربية الشاملة وخاصة (لسان العرب) و (شمس العلوم) .
- قواميس المفردات الطبية والنباتية كمفردات ابن البيطار ، وكتاب (ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس) للعلمي .
- كتب الرحلات ومذكرات الأسفار .
- كتب الجغرافية ووصف الأقاليم ككتاب أحسن التقاسيم .
- كتب التواريخ ، وأحسن مثال عليها كتاب (عجائب الآثار للجبرتي) .
- كتب الطبيخ ووصف الأطعمة ككتاب : فضالة الخوان في طيبات الطعام لابن رزين التجيبي الأندلسي .
- كتب الفلاحة ، ككتاب الفلاحة لأبي الخير الأندلسي .
- الحكايات والقصص الشعبية كألف ليلة وليلة .
- كتب ومجاميع الشعر العربي والأزجال كديوان إبن قزمان وملعبة الكفيف الزرهوني .
- كتب ومجاميع الأمثال الشعبية ، كأمثال الزجالي .

– كتب النوازل والأحكام الفقهية (مثل : المعيار للونشريسي) .
– الوثائق الدبلوماسية والرسائل والعقود المختلفة المستعملة في توثيق المعاملات (بيع – شراء – زواج – شركة ...الخ).
– المستدركات التي وضعها مستشرقون على القواميس العربية القديمة ، كتكملة دوزي .
– بعض القواميس الثنائية اللغة كقاموس بدرودي آلكالا في وصف لهجة أهل غرناطة .
– وأما اللهجات المعاصرة فقد وضعت في وصفها دراسات وقواميس كثيرة ، ولكنها مع ذلك لم تستطع الاحاطة بسائر اللهجات ولا تعد كافية لوضع التأريخ المطلوب .

(3) المزهر : 1 / 186 .

(4) انظر: Simone Delassalle et Marie - Noël... - Le lexique entre la lexicologie et l'hypothèse lexicaliste - in langue française: N° 30. p : 29.

(5) والمثال على ذلك أن التأنيث في العربية الفصحى وفي لغات أخرى كثيرة لاتضبطه قاعدة مطردة ، لذلك تظل خارج القواعد كلمات كثيرة لا يمكن معرفة تأنيثها وتذكيرها إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة ، وهذا ماجعل كتاب ابن الأنباري في (المذكر والمؤنث) يتحول من كتاب لقواعد التذكير والتأنيث إلى قاموس يشتمل على قائمة طويلة جدا من الألفاظ التي لا يعرف جنسها إلا بالسماع ، فكان هذا القاموس الصغير من الألفاظ بمثابة ذيل على قواعد النحو .

(6) تصحيح الفصيح : 1 / 109 ومابعدها .

(7) انظر : قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي : ص :77 .

(8) نفسه .

(9) لم نذكر ضمن هذه الشروط (شرط كثرة الاستعمال) ، لأنه تبين لنا أن صانعي القواميس والمعجميين القدامى بصفة عامة لم يتقيدوا به في كثير من الأحوال . بدليل ماسبق قوله وهو أن قواميسنا القديمة ملأى بالغريب والنادر والحوشي ، وبدليل أيضا أن عملية تنميط (normalisation) الفصحى التي تمت عن طريق التأليف القاموسي لم تقتصر على اللغة الأدبية المشتركة وهي التي نظم بها الشعر الجاهلي ونزل بها القرآن ، وإنما امتدت لتشمل كل لفظ استعمله أعرابي من أعراب القبائل المعدودة في مواطن الفصاحة حتى ولو لم يكن ذلك اللفظ مستعملا عند قبائل أخرى ، وهذا أحد أسباب وجود ظاهرة كثرة الترادف والتضاد والاشتراك والصيغ المتعددة للجموع والمصادر ...الخ . فعملية التنميط هي التي رفعت كثيرا من الألفاظ والاستعمالات من مستوى الاستخدام المحلي واللهجي إلى مستوى الفصحى أي اللغة المشتركة . ومثل هذا حدث أيضا لكل اللغات التي تم تنميطها عن طريق تحويل لهجة معينة إلى لغة مشتركة وتعميم استعمالها على سائر أنحاء البلاد ، كاللغة الفرنسية واللغة التشيكية ...الخ.

ثم إن تطبيق مبدأ كثرة الاستعمال كان يتطلب القيام باستقراء تام للغة الموصوفة وهو ما لم يتم بشكل دقيق في عصر الجمع والتدوين ، لأن كل لغوي كان يحكم بمقتضى علمه الخاص ، ولذلك كثيرا ماكان يحدث أن يختلف اللغويون في الحكم على درجة شيوع لفظ من الألفاظ . أضف إلى ماسبق أن تطبيق هذا المبدأ قد يتعارض أحيانا مع مبادىء ومقاييس أخرى كالقول بأن ما ورد في القرآن أو في لغة الحجاز فصيح ولو لم يكثر استعماله . (انظر 59ومابعدها من كتابنا قضايا المعجم العربي) . ولعله من أجل ذلك كله كان بعض القدامى لا يسلم بضرورة اعتبار (كثرة الاستعمال) ضمن معايير الفصاحة ، ومنهم ابن درستويه الذي قال في الرد على ثعلب : «وليست الفصاحة في كثرة الاستعمال ...وإنما الفصيح ما أفصح عن المعنى ، واستقام لفظه لا ما كثر استعماله .» (تصحيح الفصيح :1 / 109 وما بعدها) ، وتابعه ابن الطيب الشرقي الفاسي في (موطئة الفصيح) وأيد كلامه بعدة شواهد . (انظر : قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي – القسم الأول) .

(10) هناك نصوص حددت مواطن الفصاحة عند العرب أورد عددا منها صاحب المزهر في الجزء الأول وغيره ، وأشهرها نص الفارابي . (انظر كتاب الحروف :147 – والمزهر : 1 /211 – 212) الذي يقصر الفصاحة على ست قبائل بعينها . وإذا كانت هذه النصوص تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات كتسمية وتعيين القبائل الفصيحة التي وقع الأخذ عنها وتحديد عددها وترتيبها من حيث درجة الفصاحة ، كما أشار لذلك الدكتور رشاد الحمزاوي (العربية والحداثة : ص 16 – 17)فهي لا تختلف قط في كون الجزيرة العربية هي مهد الفصاحة وموطنه ، وأن الرواة تحروا الأخذ عن القبائل البعيدة عن التأثر والاختلاط بالأجنبي ما أمكن لهم التحري ، ولذلك اختاروا الرواية عن الأعراب الضاربين في بيئة اعتقدوا أنها مغلقة وهي وسط الجزيرة لأطرافها المحاذية للام .

(11) انظر (قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي) ص :129 .

(12) جعل الدكتور الحمزاوي في كتابه : (العربية والحداثة : 131) من مقاييس الفصاحة : يسر التداول والمقصود به اختيار اللفظ السهل المختصر ، والملائمة ومعناه عدم تداخل «المصطلح المختار مع غيره من المصطلحات وأن يعبر في الحالات الفضلى عن ميدان واحد ، وتكون تلك الملاءمة ضعيفة أو قوية على قدر تقلص أو تعدد الميادين التي يستعمل فيها» . والحوافز أي «كل ما يحفز المتكلم أو المستعمل على اختيار المصطلح ... الذي يتولد منه مشتقات أكثر .»

ونحن نعتقد أن مثل هذه المقاييس صالحة فقط عند إرادة وضع المصطلحات الحديثة ، وخاصة عند إرادة اختيار أو تنميط صيغة معينة من بين صيغ وألفاظ أخرى موجودة لمعنى واحد . كأن نختار بين (هاتف) و (مسرة) و (تلفون) و (إرزير) ... أما في الحالة الأخرى وهي التي يكون فيها اللفظ موجودا ومستعملا بالفعل وليس له ألفاظ أخرى تزاحمه في معناه ، فلا يكون هناك مجال لاستخدام هذه المقاييس ، لأننا سنضطر للاعتراف بفصاحته حتى ولو خالفها ، ولا نشترط فيه إلا الشروط الثلاثة التي ذكرناها لأنها تمثل الحد الأدنى الذي لا يمكن تجاوزه .

(13) المعجم العربي : لحسين نصار : 2 / 733 .

المراجع

- تصحيح الفصيح / لابن درستويه : تحقيق الجبوري (بغداد 1975).
- كتاب الحروف / للفارابي، تحقيق د. محسن مهدي / بيروت 1969.
- المزهر / للسيوطي، محمد أحمد جاد وصاحبه / مصر – بدون تاريخ.
- المعجم اللغوي التاريخي / أ. فيشر / القاهرة، ط.1. سنة 1967.
- المعجم العربي : نشأته وتطوره / د. حسين نصار / مصر 1968.
- العربية والحداثة أوالفصاحة فصاحات / د. محمد رشاد الحمزاوي / دار الغرب الاسلامي 1986.
- قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي. / د. عبد العلي الودغيري / منشورات عكاظ – الرباط 1989.
- المعجم / ج. ب. مارسيليزي – تعريب : د. عبد العلي الودغيري / مجلة (دراسات أدبية ولسانية) ع. 6 سنة 1987 (المغرب).
- مع المعجمات العربية ومسألة التصحيح اللغوي. / د. إبراهيم السامرائي / مجلة البحوث والدراسات العربية. الكويت، ع 15 سنة 1988.

- L. Guilbert
- La créativité lexicale
- Larousse. Paris 1975.
- Simone Delassalle et Marie Noël :
- Le lexique entre la lexicologie et l'hypothèse lexicaliste in : langue française N° 30.



اللغة والمهن – اللغة الخاصة ودورها في الاتصال(*)

بقلم هـ . فيلبر

ترجمة :

محمد حلمي هليل
جامعة الاسكندرية

سعد مصلوح
جامعة الكويت

مقدمة

في هذا العدد يسرنا أن نقدم الترجمة العربية لبحث وثيق الصلة بالمصطلحية وهو اللغة الخاصة (Special Language) . و*اللغة الخاصة* مصطلح يشير إلى التنوعات اللغوية التي يستعملها المتخصصون في كتاباتهم في الحقول الموضوعية المختلفة كما هو الحال في اللغة التي تكتب بها الفيزياء ، والطب ، والقانون ، والكيمياء واللسانيات مثلا . وتشمل دراسة اللغات الخاصة دراسة المصطلحات .

في الآونة الأخيرة ازداد الاهتمام بتحليل ودراسة اللغة الخاصة وجاء ذلك نتيجة التطور الذي حدث في حقل اللسانيات الاجتماعية ومن أجل أسباب تعليمية وعملية خاصة ، وجذبت اللغة الخاصة اهتمام مدرسي اللغات والمعجميين والمصطلحيين والمترجمين .

في هذا البحث يلقي الأستاذ فيلبر الضوء على نهج المصطلحية ونهج اللغة الفرعية اللذين يدور حولهما البحث العلمي في اللغة الخاصة كما يعرض بشكل سريع للبرامج التدريسية للغة الخاصة وللمصطلحية .

هذه البرامج هامة بالنسبة لعالمنا العربي وفي رأينا أن أي برنامج دراسي لأعداد المعجميين والمصطلحيين والمترجمين للنصوص المتخصصة لابد وأن يركز على اللغة الخاصة التي تعد المصطلحات جزءا منها . وقد احتفظنا بثبت المراجع كما جاء في بحث فيلبر وأضفنا مراجع أخرى لمن يشاء المزيد من المعرفة في هذا الحقل كما .وقد أضفنا قائمة ببعض الألفاظ المصطلحية لزيادة الفائدة .

نشر هذا المقال في Taal & Beroep (1984), no. 2
Toegepaste taalwetenschap in artikelen 19 p. 17 - 30
بعنوان "Language and the Professions. The Role of Special Language in Communication."

المراجع :

Robinson, P. (1980) *ESP (English for Specific Purposes)*. Oxford : Pergamon

(يحوي الكتاب قائمة مراجع مستفيضة من كتب ومقالات تبحث في تحليل اللغة الخاصة كلغة العلوم والسياسة والقانون والطب والهندسة والرياضيات وغيرها).

Picht, H. and Draskau, J. (1985). *Terminology* :
An Introduction. The University of Surrey : Guildford Surrey.

(أنظر على وجه الخصوص الفصل الأول الصفحات 1 ـ 23 وبها معالجة ممتازة للتمييز بين لغة الأغراض العامة LGP ولغة الأغراض الخاصة LSP والمصطلحية.)

ومن المراجع التي لا غنى عنها لتفهم هذا الحقل اخترنا :

1. Sager, J.C. Dungworth, D. and McDonald, P.F. (1980).
English Special Langages. Wiesbaden : Brandstter.

2. كما تصدر مدرسة كوبنهاجن للعلوم الاقتصادية نشرة دورية بعنوان :

Unesco ALSED - LSP Newsletter
The Copenhagen School of Economics.

تعرض كل ما هو جديد في هذا الحقل الهام

3. Hoffmann, L. (1979) «Terminology and LSP.»
In : *Infoterm Series* 7, *Terminologies for the Eighties*,
K.G. Saur München, New York, London, Paris.

وهو مقال هام يوضح العلاقة بين المصطلحية ولغة الأغراض الخاصة.

ما كان للعلوم والتقنيّة والاقتصاد والثقافة أن تنمو إلاّ لأن البشرية تعلّمت استعمال اللّغات الخاصة كأدوات لا غنى عنها للاتصال من أجل تحقيق مهام معيّنة في العلوم والمهن والحرف . ومن أجل هذه الغاية ، نمت المفردات الخاصة لكل حقل موضوعيّ (Subject field) أو ناحية من نواحي الحياة المهنية وهذا ما يعرف عادة بمصطلحية (Terminology) الحقل المَعْني . وفوق ذلك نما وتدرج أسلوب خاص لم يحظ باهتمام فقهاء اللغة .

وفي العقدين الأخيرين بدأ اللسانيون أيضا يولون اهتمامهم للنصوص الخاصة التي تتميز بمصطلحياتها . وفي الوقت الحاضر ، تـؤدي المصطلحيات دورا هاما في نقل المعرفة والتقنية . وفي كثير من لغات العالم لابد من وضع المصطلحات حتى نتمكن من اكتساب المعرفة والتقنية من مصادر لغوية أخرى .

وقد أدى ما أحرز من تطور وتقدم سريعين في كل مناحي النشاط البشري ، كالعلوم والثقافة والعمل الحرفي والمهني ، إلى تزايد سريع في عدد التصورات (concepts) الجديدة . وهذه التصورات الجديدة لابد وأن نعبر عنها إما بما هو موجود من المصطلحات أو بمصطلحات مخلقة من الكلمات الموجودة أصلا أو بالتأليف بين عناصر الكلمات . بيد أن عدد الجذور (roots) والزوائد (affixes) المتاحة في كل لغة يصل إلى بضعة آلاف على حين يربو عدد التصورات في كل حقل موضوعي على الملايين وذلكم هو جوهر المشكل . وبحكم هذا التطور سرعان ما سيصل النمو المصطلحي إلى منتهاه وسرعان ما يصبح من العسير إلحاق رمز لغوي بتصور من التصورات على نحو يؤمن اللبس . وسينشأ عن هذا التطور أن يزداد الاتصال بين الانسان والآلة وبين الآلة والآلة بل بين الانسان والانسان صعوبة على صعوبة . وسيئول الأمر في النهاية إلى انقطاع الاتصال . ومن ثم تستبين الحاجة الملحة إلى تنظيم العمل المصطلحي على المستويين القومي والعالمي . كما أصبح البحث في اللغة الخاصة وفي تطوير تعليم اللغات الخاصة من الضرورات الملحة .

ولكي يتحقق التطوير والتنسيق لأوجه النشاط المصطلحي أسِّس في فيينا عام 1971 المركز الدولي للمعلومات المصطلحية (Information Centre for Terminology) أو ما يسمى اختصارا (انفوترم Infoterm) وهو ملحق بمعهد المواصفات النمساوية(Austrian Standards Institute) ويعمل كمركز داخل إطار برنامج المعلومات العامة لليونسكو[1] (General Information Programme) وفي كنف الانفوترم نشأت شبكة دولية لأوجه النشاط المصطلحي تعيش الآن أطوار نموها وقد أصبحت تعرف بشبكة المصطلحات (Terminet)[2] .

نظرة إلى الماضي وإطلالة على المستقبل :

مع النمو المتزايد للعلوم والمهن والحرف في العالم اطرد نمو الحصيلة العلمية المتخصصة حتى تجاوز الحصيلة العلمية العامة ومع ذلك فقد أهملها فقهاء اللغة أما الفلاسفة والعلماء ورجال العلم والمهنيون فقد صرفوا جل اهتمامهم إلى اللغات الخاصة ومصطلحياتها .

وقد اقتضى النمو السريع للمعلومات وإنتاج السلع التقنية من الباحثين والعلماء والمهندسين وأصحاب الحرف معالجة اللغات ، فأصبح لزاما عليهم أن يتناولوا المبتكرات الحديثة والظواهر العلمية الجديدة بالتسمية والتعريف . وقد قام Linné عام 1735 بتطوير أنظمة (Systems) المصطلحات في

علم الأحياء كما طورها Morveau عام 1782 في علم الكيمياء . أما المجهودات التي بذلت في حقول أخرى كمجهودات Durer في الرياضيات فقد أخفقت . وفي 1977 كان Beckmann[3] أول من صاغ فكرة المقاربة المنظومية (Systematic approach) للعمل المصطلحيّ وفكرة توحيد المصطلحات (unification) .

وفي القرن التاسع عشر اقتضى التعاون الدولي في العلوم تطوير القواعد الموحدة لصياغة المصطلحات . وبدأ هذا العمل في المؤتمرات الدولية لعلماء النبات في عام 1867 ، ولعلماء الحيوان في عام 1889 وللكيميائيين في عام 1892 . واليوم ينشط عدد كبير من لجان المصطلحات في الحقول المختلفة لأعداد المصطلحيات – كل في مجال تخصصها – على المستويين القومي والعلمي .

ومع النمو السريع التقني في القرن العشرين أصبح من الضروري للمهندسين أن يصرفوا اهتمامهم إلى المشكلات اللغوية الخاصة بالمجالات التقنية . وكان من أبرز الباحثين Wüster (1898 – 1977) في النمسا . وهو مؤسس النظرية العامة للمصطلحية[4] وLotte[5] (1889 – 1950) في الاتحاد السوفيتي وهو مؤسس المدرسة المصطلحية السوفيتية .

تطلب التعاون الدولي بين التخصصات المختلفة في مجال العلوم والتقنية إرساء مبادىء للمصطلحية والتدوين المصطلحي (Terminography) يمكن تطبيقها على كل الحقول الموضوعية وعلى كل اللغات وأنجز Wüster[6] العمل الرائد التمهيدي وقامت المنظمة العالمية للتقييس[7] (International Organization for Standardization) بنشر هذه المبادىء في الستينات والسبعينات . ويتم الآن تنقيح هذه المبادىء الهادية بشكل منتظم .

كان أول من استعمل المصطلح «Angewandte Sprachwissenschaft» أو (اللسانيات التطبيقية) هو Steche عام 1925 ثم تبعه Wüster عام 1931 وMessing عام 1932 وKandler عام 1952 وهو الذي أسس حلقة اللسانيات التطبيقية في بون . أما اليوم فقد انتشرت أقسام اللسانيات التطبيقية في كثير من جامعات العالم .

وفي عام 1964 أسست الجمعية الدولية للسانيات التطبيقية (ALLA) وكان على رأس أهدافها تعليم اللغات . ثم تأسست بعد ذلك لجنة المصطلحية والمعجمية . وحتى الستينات كان العلماء والمهندسون في الأغلب هم الذين يكرسون أنفسهم للبحث في اللغات الخاصة . وظلت المفردات المتخصصة (Specialized Vocabulary) ولا سيما التصورات والمصطلحات الملحقة بهذه التصورات غالبا محور اهتمامهم حتى اليوم . ويعتقد المتخصصون أن اللغة الخاصة لا يضبطها إلا أهل الاختصاص كل في مجاله ، إذ يتطلب الظبط تمام المعرفة بالبنية التصورية (conceptual structure) لمادة الموضوع ، وإذا استخدمت اللغة الخاصة من غير متخصص انقطع ما بينها وبين الدراسة التخصصية من صلات .

وكانت الزيادة الملحوظة في الكتابات المتخصصة وأهمية اللغة الخاصة بالنسبة للمجتمع دافعا للسانيين في الماضي القريب إلى الاهتمام بمشكلات اللغة الخاصة . وكان اهتمام اللسانيين ولا يزال هو دراسة وحدات أكبر في حجمها من الوحدات المصطلحية نفسها . فاللغة الخاصة في رأيهم ، هي جملة الوسائل اللغوية المستعملة في حقل موضوعي محدد لتأمين الاتصال في هذا الحقل . واعتبرت اللغات الخاصة لغات فرعية (sub-languages) للغة بعينها .

وفي العقدين الأخيرين أقر مدرسو اللغات بحاجاتهم إلى أن يضمنوا تدريسهم معالجة اللغات الخاصة . وعقدت منذ بداية هذا القرن ندوات عالمية وقومية لمعالجة المصطلحيات في حقول موضوعية محددة وما اتبع في وضعها من قواعد . كما عقدت ندوات أخرى في الخمسينات وما تلاها حول أسس المصطلحية العامة وطرقها .

وأما أول ندوة أوربية عن لغة الأغراض الخاصة (Language for Special Purposes, LSP) فقد عقدت في فيينا عام 1975 . ثم تبعتها ندوات أخرى في Bielefeld في عام 1979 وفي Eindhoven في عام 1982 .

وبعد استخدام الحاسب الآلي في معالجة اللغة في السبعينات اجتذبت اللغات الخاصة اهتمام مجموعة أخرى من أهل الاختصاص في مجالي المعلومات ومعالجة النصوص (processing of texts) إذ إن مكانز التوثيق (documentation thesauri) أصبحت شائعة في الستينات بوصفها وسائل للتكشيف والاسترجاع .

المظاهر النظرية والعلمية في اللغة الخاصة :

ثمة مجال واسع للبحث في اللغة الخاصة ، وذلك أنها جديرة في ذاتها بأن تكون موضوعا متشابك المعارف (multidisciplinary) على نحو ما فعل Wüster في نظريته العامة للمصطلحية[8] ، كما يمكن اعتبارها لغة مشتقة من اللغة المشتركة (common language) ومن ثم تأتي صلتها باللسانيات . ويتبع أهل الاختصاص من علماء ومهندسين النهج المصطلحي (terminological approach) على حين يتبع اللسانيون ومدرسو اللغات وفقهاء اللغة والمترجمون الشفويون ما يعرف بنهج اللغات الفرعية (Sublanguage approach) .

وللبحث العلمي في اللغة الخاصة – بحسب ما يهدف إليه – وجهان على الأقل :

1 – فحص طبيعة التصورات والمصطلحات بغية وضع المصطلحيات متسقة أحادية أو متعددة اللغات يمكن توظيفها كأدوات للاتصال وتنظيم المعرفة ، ونقل المعرفة والتقنية . ذلكم هو النهج المصطلحي .

2 – فحص اللغات الخاصة من جهة استعمالها أي نحويا وأسلوبيا ومعجميا وإحصائيا بغية تعليم هذه اللغات ومعالجة النصوص الخاصة وترجمتها . ذلكم هو نهج اللغات الفرعية .

النهج المصطلحي :

هذا النهج ، وهو أوغل في القدم من نهج اللغات الفرعية ، يعني ضمنا أن المصطلحية مبحث خاص تجتاز حدوده اللسانيات وعلم الوجود والمعلومات والحقول الموضوعية وتفارق طرق البحث فيه ما يستخدم في اللسانيات من مثل التصوريات (conceptology) وتقييس التصورات والمصطلحات والتدوين المصطلحي .

وثمة كثير من النظريات المصطلحية ومن أنضجها النظرية العامة في المصطلحية التي وضعها Wüster وهي أساس لمدرسة فيينا المصطلحية . وتتضمن موضوعات البحث فيها : طبيعة التصورات وما بين هذه التصورات من علائق وأنظمتها ووصفها (أو تعريفها) definition وقصر مصطلح على تصور بعينه أو تصور على مصطلح بعينه كما تتضمن أيضا البحث في طبيعة المصطلحات وتقييمها (evaluation) وتقييم عناصرها وتقييس التصورات والمصطلحات وتوحيد التصورات والمصطلحات

دوليا ، وطرق التدوين المصطلحي الخاص بمعالجة البيانات المصطلحية مع الاستعانة بالحاسب الآلي أو بدونه ، وتجميع المفردات المتخصصة لتحقيق الاتصال المعرفي أو إعداد مكانز التوثيق لأنظمة المعلومات .

وتختص الدراسات الحديثة المصطلحية بوظيفة الرموز اللغوية أي *الكلمة* (Word) وعمادها السياق و *المصطلح* (term) وعماده النظام التصوري .

حظيت الدراسات النظرية في هذا المجال باهتمام المدارس المصطلحية في فيينا ، وبراغ والمدرسة السوفيتية وكثير من معاهد البحوث في كندا وأنجلترا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديموقراطية وغيرها . والنظرية القومية في المصطلحية هي أساس لا غنى عنه لضبط المبادىء المصطلحية المقيسة على المستويين القومي والعالمي .

أما النظرية الخاصة في مجال المصطلحيّات (specialized theory of terminology) فهي فرع من فروع البحث المصطلحي يقوم بفحص القوانين التي تضبط المصطلحيات في حقل موضوعي بعينه أو لغة بعينها . ويؤتي هذا البحث ثمرته في خطوط عريضة أو قواعد لصياغة مصطلحيات العلوم كعلم النبات أو الحيوان أو الطب أو الكيمياء وغيرها أو أنظمة تصورية مصطلحية في حقول موضوعية معينة .

نهج اللغات الفرعية :

وينشأ هذا النهج على أساس من اعتبار اللغات الخاصة لغات فرعية . وتبعا لهذا الرأي تعد المصطلحية وسيلة نقل للمعلومات المعجمية (lexical information) في كل من اللغات الخاصة . وهي جملة الوحدات المعجمية (lexemes) التي تشكل معانيها تصورات تكوّن نظاما في الحقل الموضوعي . والمصطلحية هي مجموعة فرعية من الرصيد المعجمي (lexicon) في اللغة الخاصة وهذا الرصيد بدوره هو جزء من نظام يتفرع من «الرصيد المعجمي للغة المشتركة» . ويشمل الدرس العلمي[9] :

المظاهر المعجمية والتركيبية والنحوية والأسلوبية في النصوص المتخصصة وصياغة الوحدات المعجمية المصطلحية (terminological lexical units) والأنساق (Syntagmas) والعبارات وبنية النصوص المتخصصة وتصنيف النصوص (أنواعها) .

أما نظرية الترجمة فهي حقل خاص من حقول هذا البحث .

ولا توجد حتى الآن نظرية متسقة في اللغات الخاصة[10] . وقد تحول اللسانيون من الاهتمام بالوحدات التقليدية للغات الخاصة إلى الاهتمام بوحدات مترابطة أكبر حجما تحقق الاتصال وتشكل الأساس لتأليف نصوص بأكملها . ذلكم هو اتجاه سائد في اللسانيات[11]، [12] .

وفي الوقت الذي يعمق فيه أهل الاختصاص من تفهمهم للجانب التصوري للوحدات الأساسية في اللغات الخاصة ، ألا وهي المصطلحات ، مستعينين في ذلك بمبادىء علم المنطق وعلم الوجود ونظرية المعرفة وعلم المعلومات وغيرها ، يتوسع اللسانيون في بحثهم للوحدات النصية الكبرى (textual units) ، لعلهم يتفهمون ترابط المعاني اعتمادا على أساس من بنية الشكل الخارجي . كما يتجه جانب كبير من بحثهم إلى تطوير التدريس للغات الخاصة .

اللغات الخاصة في المجال الصناعي والتطبيقي :

اللغات الخاصة هي أداة المتخصصين والمهنيين للاتصال داخل حقول نشاطهم ، ومن ثم فلابد

للبحوث النظرية والعملية في اللغات الخاصة أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار وأن تخدم هذا الغرض .

والمصطلحيات هي أساس :

- تنظيم المعرفة (ترتيب التصورات في شكل منظومات)
- نقل المعرفة والمهارات التقنية .
- صياغة المعلومات التقنية والمهنية (النصوص الخاصة)
- ترجمة النصوص الخاصة إلى اللغات الأخرى .
- تخزين المعلومات واسترجاعها .

ثمة حاجة ماسة في حقل الصناعة والتجارة إلى المصطلحيات المتسقة الأحادية اللغة أو المتعددة اللغات لخدمة الكثير من أوجه النشاط كالبحث العلمي ، والتطوير والادارة والتسويق والاتصال داخل الشركات والاتصال بالعملاء وموظفي الجمارك ونقل المهارة والتقنية ومعالجة المعلومات والنصوص (text processing) .

إن البحث والتنمية والانتاج الصناعي ولد الجديد من المعلومات والعمليات والمنتجات التي لابد لها من استحداث مصطلحات جديدة ، ذلك أن بعض الشركات لا يزيد عمر 40% من منتجاتها على خمس سنوات . ثم أن التعاون الدولي يتطلب المشاركة من أهل الاختصاص والمهنيين الصناعيين في جهود اللجان المصطلحية التي تؤسسها الهيئات العلمية أو التقنية أو المهنية من أجل إعداد مصطلحيات متوائمة أحادية اللغة أو متعددة اللغات . وفي عدد من المنظمات الدولية التقنية أو المهنية اكتسبت لغات مثل العربية أو الصينية صفة اللغة الرسمية مما يعني ضرورة العمل على تنمية المصطلحيات في هذه اللغات في فترة وجيزة . ذلكم هو وضع العربية مثلا في الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية (ITU) .

ويقوم تقييس المصطلحيات بدور هام في الصناعة[13] .

وبالنظر لأوجه النشاط هذه توصلت اللجنة الفنية (TC 37) للمنظمة العالمية للتقييس إيزو (ISO) إلى عدد من توصيات ومواصفات إيزو[14] تعالج :

- مبادىء المصطلحية وطرقها .
- التوحيد الدولي للتصورات والمصطلحات .
- المسالك والوسائل الواجب اتباعها في إعداد المعاجم المتخصصة المصنفة .
- الرموز المستخدمة في المعاجم .

ولقد أعدت الانفوترم بيليوجرافيات عالمية للمعاجم المتخصصة أحادية اللغة ومتعددة اللغات وكذلك للمفردات المقيّسة التي تداوم على تحديثها في شكل تسهل قراءته آليا[15]، [16] بغية التعريف بالألفاظ المتخصصة والمقيّسة وإذاعتها على نطاق واسع .

وبحكم التقسيم الدولي للعمل وبيع المعدات الكاملة ووسائل التصنيع أصبح لزاما على الصناعة أن تواصل نقل المعرفة والمهارات التقنية للبلاد الأخرى ، فاللغات الخاصة في هذه البلاد قد يكون نصيبها من التطور صفرا أوجد قليل . ومن ثم كانت حاجة الصناعات إلى معونة المصطلحيين واللسانيين ومدرسي اللغات الخاصة .

ويحضرني هنا مثال : ففي البرازيل وحدت بعض المؤسسات الصناعية الألمانية جهودها في مجال المصطلحية فكونت لذلك فريقا عاملا ليطور - بالتعاون مع معهد اللسانيات البرازيلي - المصطلحيات البرتغالية لخدمة أوجه نشاطها .

وفي حقل الصناعة والتجارة صدر عدد كبير متنوع من النصوص الخاصة التي تيسر الاتصال داخل الشركة وخارجها (دلائل ، إرشادات للاستعمال ، تعليمات ، قوائم بقطع الغيار ، قوائم تجارية) . وتلكم النصوص هي ما نحتاج إليه غالبا في الكثير من اللغات . ويبلغ حجم هذه النصوص في المؤسسات الكبيرة مئات الملايين من الصفحات في كل عام . ولخدمة هذا النشاط كان لابد وأن تعد العبارات المصطلحية المقيسة في اللغات المختلفة وأن تعالج وتختزن وتسترجع ولكي نواجه هذا الموقف علينا أن نقيم جهازا لمعالجة الكلمات (Word processing) . ومن ثم وجب أن تكون هذه النصوص موحدة على قدر الامكان . فجهاز معالجة الكلمات بالحاسب الآلي بتضافره مع بنوك البيانات المصطلحية (terminological data banks) هو الذي يتيح استعمال المصطلحات على نحو متسق وموحد .

إن التعاون الدولي مع الشركاء والحاجة للتصدير أديا إلى إنشاء أقسام للخدمات اللغوية (language services) في الصناعة وفي المؤسسات التقنية والمهنية الوطنية الكبيرة ، الاقليمية منها والعالمية ، الحكومية منها وغير الحكومية . وحتى نزيد من كفاءة عملية الترجمة أنشئت بنوك البيانات المصطلحية[17] ، وذلك أن الوقت الذي تستغرقه الترجمة كان جله منصرفا إلى جلاء المصطلحات . وهذه البنوك تيسر لنا إنتاج نصوص ذات مصطلحيات مُوَحَّدَة لاسيما عند الحاجة إلى عدد من المترجمين يقومون بترجمة نصوص هائلة الحجم في وقت واحد . ومن أمثلة بنوك البيانات المصطلحية في حقل الصناعة بنك TEAM (قسم سيمنز للخدمات اللغوية ، ميونيخ) المتعاون مع شركة فيليبس وغيرها من الشركاء الصناعيين[18] . أما بنك EURODICAUTOM[19] (يروديكاتوم) فقد أنشأته الخدمات اللغوية في الحكومة الكندية بنك «Terminum» .

والتدوين المصطلحي الآلي (computerized terminography) هو حقل من حقول النشاط السريعة النمو[20] ويجتهد هذا الحقل في تسجيل أكبر عدد ممكن من المصطلحيات في شكل يسهل قراءته آليا لتيسير نشرها واسترجاعها . وجوهر المشكلة في بنوك البيانات المصطلحية هو إعداد البيانات الحديثة الموثوق بها . ولذا شرعت الانفوترم تعد برنامجا في إطار شبكة المصطلحات (Terminet) تستهدف منه إعداد أهل الاختصاص في مصطلحيات الموضوعات المختلفة وتسجيل هذه المصطلحات في شكل يسهل قراءته آليا[21] .

وتعد المعرفة الخاصة بالشؤون العلمية والتقنية والانتاج وعمليات التصنيع والأسواق ... الخ مادة خاماً لأي شركة من الشركات . وبالاستعانة بالحاسب الآلي تتم معالجة البيانات في شكل معلومات . لذا فلابد من اختزان البيانات في شكل أنظمة معلومات (information systems) حتى يتيسر لمن هم في حاجة إليها سرعة استرجاعها . ويتطلب تخزين هذه البيانات واسترجاعها أدوات مصطلحية متطورة مثل مكانز التوثيق[22] .

وبقدوم الجيل الخامس من الحاسبات الآلية سيبدأ تطور جديد في المعلومات والتوثيق يتمثل في بناء أنظمة الخبرة (expert system) وبنوك المعرفة (knowledge banks)[23] . وفي المستقبل ومع نشأة فرع جديد في حقل المعلومات وهو هندسة المعرفة (knowledge engineering) ستحدث النقلة من معالجة البيانات (data processing) إلى معالجة المعرفة (knowledge processing) . وبما أن المعرفة وثيقة الصلة بالتصورات فإن النظرية العامة للمصطلحية ، تلك التي سبقت الاشارة إليها ، في إمكانها الاسهام جوهريا في هذا الفرع وذلك بفضل الدراسة العميقة

لطبيعة التصورات والعلائق القائمة بينها ولنظام التصورات وتشابكها[24] . وعلينا إذن أن نوجه بحوث المستقبل نحو التصورية[25] ونظرية المعرفة والمنطق وعلاقات ذلك كله باللغة الخاصة .
أود أن أضرب مثلا قريب العهد : في الولايات المتحدة الأمريكية يجري تنفيذ مشروع المصطلحيات الطبية وتصنيفها عن طريق الحاسب الآلي ، وقوام هذا المشروع هو نظام من التصورات المقيسة حيث ترتبط الحقائق المعرفية (أي المأخوذة عن كتب التدريس والمعرفة العامة في مجالي التشخيص والعلاج) المختزنة في ملف معرفي بالمعرفة العلاجية (أي التشخيص والعلاج) المختزنة في ملف علاجي[26] . وقد طلب الانفوترم المعاونة في تنفيذ هذا المشروع لما لها من معرفة وخبرة خاصة في تقييس المصطلحيات وتنسيقها .

تعليم اللغة الخاصة :

تعليم اللغات الخاصة حقل واسع من حقول النشاط . ففي العقدين الأخيرين ظهر عدد كبير من البحوث حول هذا الموضوع[27] ، [28] ، [29] ، [30] في الدوريات التي تعنى باللغة الخاصة والمصطلحيات والترجمة واللسانيات التطبيقية ، وهو موضوع يحتل مكانا في جدول أعمال المؤتمرات واللقاءات العلمية القومية والدولية . كما خصصت مؤتمرات ولقاءات لهذا الموضوع وحده كالمؤتمرات العلمية لكلية درسدن Dresden الفنية في عـــام (1971)[31] (اللسانيات التطبيقية والتدريب في اللغة الخاصة) .
(Angewandte Sprachnissenschaft und fachsprachliche Ausbildung)
أو الندوة العالمية للتمرن على المصطلحية .
(International Symposium on Terminology Training)
في كويبيك بكندا عام 1979 . وفي نطاق برنامج اليونسكو «الانثروبولوجيا وعلم اللغة للتطوير التعليمي» .
(Anthropology and language Science in Educational Development. ALSED).
أسس مركز لغة الأغراض الخاصة (LSP Centre) في مدرسة كوبنهاجن للعلوم الاقتصادية وهو محور اليونسكو شبكة ألسيد ALSED للغة الأغراض الخاصة[32] . وتعتزم الشبكة ربط كل المنظمات والمؤسسات المشتغلة بالبحث في اللغة الخاصة وتعليمها

وفي عام 1981 نشر دليل «عالم لغة الأغراض الخاصة (The World of LSP) وبه قوائم تشمل أوجه النشاط في مجالات البحوث والتدريس لثمانية وثلاثين بلدا[33] . وفي السنين الأخيرة أصبحت الحاجة أكثر إلحاحا إلى تدريس اللغة الخاصة . ويلزم لتدريس اللغة الخاصة الالمام بما يلي :

- من ذا الذي يحتاج لهذا المران ؟
- لأي نوع من النشاط المهني أو التأهيلي يحتاجه ؟

وندرج فيما يلي قائمة بالمتخصصين الذين يحتاجون تعلم اللغة الخاصة على نحو خاص وبدرجات متفاوتة من الشمول :

- أهل الاختصاص (العلماء ، المهندسون ... الخ)
- المصطلحيون (terminologists)
- الوسطاء اللغويون language mediators (المترجمون والمترجمون الشفويون)
- اللسانيون
- مدرسو اللغات
- المتخصصون في علم المعلومات (Information specialists)
- المحررون العلميون والفنيون

ويمكن للتدريس أن يتجه إلى المصطلحية أو الترجمة أو اللغة الفرعية . ولنضرب لذلك بعض الأمثلة .

تعليم المصطلحية :

نما تعليم المصطلحية في السنين الأخيرة نموا كبيرا ونمت الحاجة لوضع المصطلحيات ومعالجتها من حيث المواءمة (harmonization) والتنسيق والتوحيد والتقييس داخل المؤسسات الصغيرة والكبيرة . ولقد قويت الحاجة إلى ذلك في مناطق لغوية برمتها كاللغة الصينية واليابانية والعربية ، واللغات الافريقية حيث تزداد الضرورة إلى نقل المصطلحيات للمعرفة والتقنية[34] ، [35] .

ولتحقيق هذا النشاط يصبح التدريب على تطبيق المبادىء المصطلحية وطرق التدوين المصطلحي ضروريا[36] . وفي السنين الأخيرة ركزت الانفوترم مجهوداتها على تدريب أهل الاختصاصات المختلفة لهذه الغاية . وعلى أساس من خبرة الانفوترم عقدت برامج تدريسية رائدة في Beijing[37] في سبتمبر 1981 ، وفي سبتمبر 1982 في بعض الجامعات في اليابان[38] ، وفي أبريل 1983 في Universidad Simon Bolivar في كراكاس (فنزويلا) ، وفي نوفمبر 1983 في مركز Hispanoterm في مدريد[39] ، وفي ديسمبر 1983 في مركز شرقي إفريقيا للبحث والتراث الشفوي واللغات الافريقية في زَنْجبار (تنزانيا)[40] . أدت هذه البرامج وما حصلته الانفوترم من خبرة في التدريب داخل أروقتها إلى إعداد دليل للمصطلحية (مع إيلاء مبادىء المصطلحية ووسائلها عناية خاصة) . وقد أريد بهذا الدليل أن يكون مرجعا للبرامج التدريسية قومياً ودولياً . ويجري الآن تدريس برامج حول النظرية المصطلحية في جامعات مختلفة كالنمسا وكندا والمملكة المتحدة وجمهورية ألمانيا الاتحادية وجمهورية ألمانيا الديموقراطية والاتحاد السوفيتي . وفي معهد اللسانيات العامة والتطبيقية في فيينا ومنذ عام 1972 يعقد برنامج في النظرية العامة للمصطلحية والمعجمية المصطلحية[41] (Terminological lexicography) .

أما ما يدعو للأسى فهو انعدام برامج التدريس في النظريات الخاصة بالمصطلحية أي النظريات المتعلقة بمصطلحيات الحقول الموضوعية مما يعين على تطوير العمل المصطلحي المنظومي (Systematic) .

تدريس المصطلحية الموجه للترجمة :

يحتاج المترجمون إلى مصطلحيات معينة تتجه نحو اللغات الفرعية وتستهدف مقارنة اللغات[42] . كما أن عليهم أن يعالجوا من الوحدات ما هو مصطلحي (أي المصطلحات والعبارات المصطلحية) ووحدات أخرى بعينها تختص ببنية النص .

وقد بدأ هذا النوع من التدريس في منتصف السبعينات في مدرسة العلوم الاقتصادية بكوبنهاجن[43] ويجري تقديمه الآن في كل بلاد الشمال . أما في قسم تدريب المترجمين والمترجمين الشفويين بجامعة فيينا فقد طور أنموذج فيينا لتدريس المصطلحية لهذه الأغراض[44] . وثمة تجربة مثيرة في مجال تدريس المتخصصين في معهد Hochschule Hildesheim بجمهورية ألمانيا الاتحادية[45] .

التدريس الموجه إلى اللغات الفرعية :

يقوم عدد كبير من الجامعات بتقديم برامج تدريبية في اللغات الخاصة بالنسبة لكثير من اللغات القومية (الانجليزية ، الفرنسية ، الاسبانية ، الروسية) إلى مجموعات ذات أهداف مختلفة منهم مدرسو اللغة وأهل الاختصاص ممن يعتزمون اكتساب معرفة القراءة والكتابة في لغة خاصة أجنبية بعينها وكذلك المترجمون واللسانيون . وقد تعنى مثل هذه البرامج بما تشتمل عليه لغة بعينها من لغات خاصة أو بلغة فرعية تستخدم لحقل موضوعي معين كالاقتصاد والكيمياء .

وهنا ننوه بما تمّ إنجازه في جمهورية ألمانيا الديموقراطية من بحث علمي مكثف في مجال اللغات الخاصة لا سيما ما تم على يدي L. Hoffmann من عمل[46] ، [47] .

مفردات مصطلحية

تصور : *concept*

وحدة فكرية يعبر عنها بمصطلح أو رمز كتابي أو بأي رمز آخر .

منظومة تصوّرات : *system of concepts*

مجموعة مركبة من التصورات تبنى وفقا للعلاقات بين التصوّرات حيث يُحَدَّد كل تصور بوضعه في النظام التصوّري .

مصطلح : *term*

تمثيل تصور ما بوحدة لغوية ويتكون المصطلح من كلمة واحدة أو أكثر .

عنصر المصطلح : *term element*

أي مكوّن من مكونات المصطلح ولا تقل هذه عن المورفيم (أصغر وحدة لغوية ذات معنى)

تقييم المصطلح : *evaluation (of term)*

الحكم على المصطلح :

أ – مفضّل : (preferred)

مصطلح موصى به من سلطة أو هيئة موثوق بها .

ب – مقبول : (accepted)

مصطلح مقبول باعتباره مرادفا للمصطلح المفضل .

ج – مستهجن : (deprecated)

مصطلح مرفوض من سلطة أو هيئة موثوق بها .

مصطلحية : *Terminology*
(ج . مصطلحيات)[1]
. جملة المصطلحات التي تمثل منظومة من التصورات داخل حقل بعينه (مثال : مصطلحيّة اللسانيّات) .

(علم) المصطلحية : *Terminology* [2](Science)
علم التصوّرات والمصطلحات كما نُطبِّقه على اللغات الخاصة ويشمل نظريات في :
- التصورات
- المنظومات التصورية
- تمثيل التصورات عن طريق التعريفات والمصطلحات .
- صياغة المصطلح .
- المظاهر الأسلوبية للغات الخاصة .
- مبادىء المصطلحية والتدوين المصطلحي .
- المقاربة المنظومية لمصطلحية أو أكثر .

نظرية عامة في المصطلحية : *General theory of terminology*
أي نظرية في علم المصطلحية تختص بأكثر من حقل موضوعي واحد أو أكثر من لغة من اللغات .

نظرية خاصة في المصطلحية : *Special theory of terminology*
أي نظرية في علم المصطلحيّة تختص بحقل موضوعي واحد في لغة واحدة .

التدوين المصطلحي : *terminography*
تسجيل ومعالجة البيانات المصطلحية المبنية على البحث المصطلحي بهدف حفظها في شكل حامل للبيانات (بطاقات ، شرائط أو أسطوانات) ويحل المصطلح (*terminography*) الآن محل المصطلحين القديمين : المعجمية المصطلحية (Terminological Lexicography) والمعجمية الخاصة (Special lexicography)

حقل موضوعي : *subject field*
مجال تخصصي معين من مجالات نشاط الفكر الانساني .
مثال : فرع من فروع العلم أو تقنية مهنية معينة .

تعريف : *definition*
وصف لفظي لتصور ما يسمح بالتفريق بينه وبين تصورات أخرى داخل منظومة تصورات .

المراجع

(1) FELBER, H.; GALINSKY, CH.; NEDOBITY, W. Ten years of Infoterm.
A report on activities and achievements. In : INFOTERM. Terminologies for the eighties. München / New York / London / Paris : K.G.
Saur, 1982 (Infoterm Series 7), p. 119 - 136.

(2) FELBER, H. Infoterm en TermNet. Plans - activities - achievements. International Classification 7 (1980), no. 3, p. 140 - 145.

(3) DROZD, L.; SEIBICKE, W. Deutsche Fach - und Wissenschaftssprache. Bestandsaufnahme - Theorie - Geschichte (German special and scientific language. State of the art - theory - history).
Wiesbaden : Brandstetter, 1973, p.25.

(4) WÜSTER, E. Einführung in die Allgemeine Terminologielehre und Terminologische Lexikographie, 2 Teile (General Theory of Terminology and terminological lexicography - an introduction. 2 parts). Wien / New York : Springer, 1979, (Teil 1) 145 p., (Teil 2) 70 p., (Schriftenreihe der Technischen Universität Wien, Bd. 8).

(5) LOTTE. D.S. Voprosy zaimstvovanija i uporjadocenija inojazycnyh terminov i terminoelementov (Problems of borrowing and regulating foreign terms and term elements). Moskva : Izdatel'stvo nauka, 1982 147 p.

(6) WÜSTER, E. Internationale Sprachnormung in der Technik, besonders in der Elektrotechnik (International standardization of language in engineering, especially in electrical engineering). 3rd rev. ed.; Bonn : Bouvier, 1970, 507 p. (Sprachforum, Beiheft no. 2).

(7) FELBER, H.; NEDOBITY, W. International bibliography of standards and non-standardized guidelines for terminology (BT 6).
Wien : Infoterm, 1984, 12 p.

(8) see (4)

(9) HOFFMANN, L. Leipziger Thesen zur fachsprachlichen Forschung (Propositions of Leipzig towards research in special languages). Wissenschaftliche Zeitschrift der Karl - Marx - Univesität Leipzig 26 (1977), no. 2, P. 163 - 167.

(10) HOFFMANN, L. Fachtextlinguistik (Linguistics of special texts). Fachsprache 5 (1983), no. 2, p. 58.

(11) ibid, p. 57 - 68

(12) BEAUGRANDE, R.; DRESSLER, W. Einführung in die Textlinguistik (Introduction to Text Linguistics). Tübingen : Niemeyer. 1981.

(13) GALINSKI, CH. Standardization in terminology. An overview.
In : INFOTERM. Terminologies for the eighties. München / New York / London / Paris : K.G. Saur, 1982 (Infoterm Series 7), p. 186 - 226.

(14) see (7)

(15) FELBER, H.; GALINSKI, CH.; NEDOBITY, W. Ten years of Infoterm. A report on activities and achievements. In : INFOTERM. Terminologies for the eighties. München / New York / London / Paris :
K.G. Saur, 1982 (Infoterm Series 7), p. 51.

(16) FELBER, H.; KROMMER - BENZ, M.; MANU, A. International bibliography of standardized vocabularies / Bibliographie internationale de vocabulaires normalisés / Internationale Bibliographie der Normwörterbücher. 2nd ed. München / New York / London / Paris : K.G. Saur, 1979 (Infoterm Series 2), 540 p.

(17) KROMMER-BENZ, M. International bibliography of computer-assisted terminology (BT 9). Wien : Infoterm, 1984, 35 p.

(18) FELBER, H. Computerized terminography in TermNet - the role of terminological data banks. In : SNELL, B. (ed.) Term Banks for Tomorrow's World. Translating and the Computer 4.
Proceedings of a conference, 11 - 12 November 1982, London.
London : Aslib, 1983, p. 8 - 20.

(19) FELBER, H.; GALINSKI, CH. International efforts of TermNet towards the recording of terminologies in machine - readable form. Terminologie Bulletin (1981), no. 39, p. 1 - 13; Mitteilungsblatt für Übersetzer und Dolmetscher 28 (1982), no. 1, p. 8 - 10 and in : GOETSCHALCKX, J.; ROLLING, L. (eds.). Lexicography in the Electronic Age. Amsterdam : North Holland Publishing Company, 1982, p. 143 - 157.

(20) see (18)

(21) see (19)

(22) FELBER, H.; NEDOBITY, W. The basis of Wüster's classification research. In : DAHLBERG, I. (ed.). Universal classification I. Subject analysis and ordering systems. Frankfurt : Indeks, 1982, p. 95 - 101 (Studien zur Klassifikation, Band 11; FID Publ. 615).

(23) CEC. Proposal for a Council decision adopting the first European Strategic Programme for Research and Development in Information Technologies (ESPRIT). Bruxelles : CEC, 1983, 65 p.
(COM(83) 258 final).

(24) FELBER, H. The General Theory of Terminology - a theoretical basis for information. 41st FID - Congress, Hongkong, 12 - 16 September 1982, Session E, Paper no. 16 FID / CR. Cahiers de la documentation / Bladen voor de documentatie 37 (1983), no. 2 / 3, p. 85 - 91.

(25) NEDOBITY, W. Conceptology and semantics. A comparison of their methods and an examination of their applicability in terminology. Wien : Infoterm, 1982, 16 p.

(26) GABRIELI, E.R. Automated encoding of medical information. Paper presented at a special session of the annual conference of AAMSI. (typescript).

(27) SAGER, J.C. Training in terminology : needs, achievements and prospectives in the world. In : FELBER, H.; LANG, F.; WERSIG, G. Terminologie als angewandte Sprachwissenschaft - Gedenkschrift für Univ - Prof. Dr. Eugen Wüster (Terminology as applied linguistics - in memory of Prof, Eugen Wüster). München / New York / London / Paris : K.G. Saur, 1979, p. 149 - 163.

(28) PICHT, H. Reflexions on training in terminology in the 1980's. In : INFOTERM. Terminologies for the eighties. With a special section : 10 years of Infoterm. München / New York / London / Paris : K.G.Saur, 1982 (Infoterm Series 7), p. 172 - 185.

(29) HOFFMANN, L. 30 Jahre fachsprachliche Lehre und Forschung an den Universitäten und Hochschulen der DDR (30 years of special language teaching and research at the universities and polytechnics of the GDR). Fachsprache 3 (1981), no. 1, p. 2 - 10.

(30) WÜSTER, E. Die Ausbilding in Terminologie und terminologischer Lexikographie (Training in terminology and terminological lexicography). Lebende Sprachen 20 (1975), no. 2, p. 33 - 37.

(31) AAA. 3. Wissenschaftliche Konferenz «Angewandte Sprachwissenschaft und fachsprachliche Ausbildung an der T.U. Dresden, 6. 8. Januar 1971 (3rd Scientific conference «Applied Linguistics and training in LSP at the technical University Dresden, 6 - 8 January 1971). Wissenschaftliche Zeitschrift der T.U. Dresden 20 (1971), no. 5, p. 1203 - 1296.

(32) COPENHAGEN SCHOOL OF ECONOMICS. Unesco ALSED - LSP Newsletter. Copenhagen : School of Economics, vol. 1 : 177 ff.

(33) H EDT, J.; TURNER, R. (eds.). The world of LSP. K benhavn : Nyt Nordisk Forlag / Busck, 1981, 223 p.

(34) FELBER, H.; NEDOBITY, W. Teaching and training of terminology in countries with less developed technical languages. Wien : Infoterm, 1983, 9 p.

(35) FELBER, H. The development of terminological activities in the People's Republic of China. A report on an information and consultant mission for Unesco. Wien : Infoterm, 1981, 25 p.

(36) FELBER, H. Terminology - theory and practice (A manual). Wien : Infoterm, 1981.

(37) INFOTERM. The development of terminological activities in the People's Republic of China. Infoterm Newsletter (1981), no. 22, p. 2 - 3.

(38) INFOTERM. Terminology work in Japan. Infoterm Newsletter (1982). no. 27, p.1 - 2

(39) INFOTERM. First Hispanoterm terminology course, workshop, Madrid, Nov. 8 - 10, 1983. Infoterm Newsletter (1984), no. 32, p. 1 - 2.

(40) INFOTERM. EACROTANAL training seminar on terminology, Zanzibar, United Republic of Tanzania, Dec. 7 - 17, 1983. Infoterm Newsletter (1984), no. 32, p. 2 - 4.

(41) see (4)

(42) ARNTZ, R.; PICHT, H. Einführung in die übersetzungsbezogene Terminologiearbeit (Introduction to the translation - oriented terminology work). Hildesheim / Zürich / New York : Olms, 1982, 238 p.

(43) see (28)

(44) BÜHLER, H. Die Terminologieausbildung für Ubersetzer und Dolmetscher - ein Wiener Modell (Terminology training for translators and interpreters - a Viennese model). In : BACK, O. (ed.). Festschrift zum 40 - jährigen Bestehen des Instituts für Ubersetzer - und Dolmetscherausbildung der Universität Wien. Tulln : Ott, 1983, p. 51 - 73

(45) ARNTZ, R. Modelle und Methoden der fachsprachlichen Ubersetzerausbilding (Models and methods of the LSP teaching for translators). In : GNUTZMANN, C.; TURNER, J. Fachsprachen und ihre Anwendung. Tübingen : Narr, 1981, p. 95 - 117.

(46) HOFFMANN. L. The linguistic analysis and teaching of LSP in the German Democratic Republic. Unesco ALSED - LSP Newsletter 2 (1979), no. 3(6), p. 2 - 12.

(47) HOFFMANN, L. Probleme und Methoden der Fachsprachenforschung (Problems and methods of special language research). Wissenschaftliche. Zeitschrift der Karl - Marx - Universität Leipzig 31 (1982). no. 1, p. 25 - 34.



مع «المعجم الوسيط» في طبعته الثانية

بقلم
إدريس بن الحسن العلمي

«عباد» جمع من جموع «عبد»

في مادة «عبد» عند ذكر «المعجم الوسيط» لمختلف الجموع الواردة في اللغة لكلمة «عبد» لم يثبت الجمع التالي : «عباد» الذي أورده الفيروزبادي صاحب «القاموس المحيط» مع كون أصحاب «المعجم الوسيط» نقلوا عنه شرح كلمة «عبد» بالحرف ونصه : «الانسان حرا كان أو رقيقا» .

ونحن نأسف لاغفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع «عباد» الذي هو أكثر شيوعا وأكثر تداولا من غيره من الجموع لا سيما وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم سبعا وتسعين مرة ضمن 97 آية بينما لم ترد كلمة «عبيد» في القرآن إلا خمس مرات . ومن الآيات التي نصت على كلمة «عباد» آيتان اشتملتا على المفرد وجمعه أي على «عبد» و «عباد» في آن واحد وذلك ضمن الآية 65 في سورة الكهف وهو قوله تعالى : «فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا» وضمن الآية 10 في سورة التحريم وذلك قوله سبحانه : «كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما» .

فالأمانة العلمية تقضي بالعمل على تدارك هذا الاغفال الخطير عند إخراج الطبعة الثالثة بدون أيما اعتبار .

ليست «المداهنة» هي «المداراة»

في مادة «دهن» جاء في شرح «المعجم الوسيط» لفعل «داهنه» ما يلي : «داراه ولاينه» .

وكل من له إلمام باللغة العربية واطلاع ولو يسير على الأحاديث النبوية وعلى ما وصلنا من الآثار يعلم أن المداراة فضيلة يامر بها الشرع وأن «المداهنة» رذيلة منهي عنها ويأباها الطبع الكريم . فالمداراة تصدر عن الحصافة والرزانة والتبصّر والمداهنة لون من ألوان النفاق والخداع فقد جاء في الأثر «رأس الحكمة بعد مخافة الله مداراة الناس» كما ورد في الأثر أيضا «داروا سفهاءكم» .

وقد نص على الفرق بينهما شيخ الاسلام سيدي محمد العربي ابن السائح في كتابه «بغية المستفيد لشرح منية المريد» بقوله رضي الله عنه :

«وتشتبه المداراة بالمداهنة والفرق بينهما أن

المداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته رجاء إصلاحه واحتملت منه ما تكره . والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى كطلب حظ وإقامة جاه فالأولى من أخلاق الأخيار والثانية من سمات الأشرار» .

وأورد ابن منظور في معجمه (لسان العرب) في مادة «دهن» ما يلي بنصه :

ــ «والمداهنة والادهان : المصانعة واللين . وقيل : المداهنة إظهار خلاف ما يضمر والادهان : الغش ودهن الرجل إذا نافق . ودهن غلامه : ضربه ... الجوهري : والمداهنة والادهان كالمصانعة . وفي التنزيل العزيز (ودّوا لو تدهن فيدهنون) . وقال قوم : داهنت بمعنى واريت . وأدهنت : بمعنى غششت . وقال الفراء : معنى قوله عز وجل : (ودوا لو تدهن فيدهنون) : (ودوا لو تكفر فيكفرون) . وقال في قوله : (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) : أي مكذبون . ويقال : كافرون . وقوله : (ودوا لو تدهن فيدهنون) أي ودوا لو تصانعهم في الدين فيصانعوك . الليث : (الادهان : اللين والمداهن : المصانع ... وقال بعض أهل اللغة معنى (داهن وأدهن) : أي أظهر خلاف ما أضمر فكأنه بيّن الكذب على نفسه» (اهـ) .

ــ وأورد ابن منظور كذلك في مادة «المداراة» ما يلي بنصه : «والمداراة : في حسن الخلق والمعاشرة مع الناس : المداجاة والملاينة ومنه الحديث : (رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ، أي ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك . (وداريت الرجل) : لاينته ورفقت به» . (اهـ)

وبإمعان النظر في شروح ابن منظور نجد أن لفظ «المداراة» لم يرد ولا مرة واحدة ضمن مختلف شروح «المداهنة» كما أن لفظ «المداهنة» لم يذكر قط ضمن شروح «المداراة» .

وفي ذلك وفي غيره مما تضمنته الشروح من معاني ودلالات تأييد وتأكيد للتفرقة بين «المداهنة» و «المداراة» التي نص عليها جهبذ العلماء ، ونابغة الشعراء والأدباء ، المربي الناصح ، والولي الصالح ، سيدي محمد العربي ابن السائح ، رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به آمين .

فنرجو من مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يتدارك هذا الخلط وألا يشرح في الطبعة الثالثة لـ «المعجم الوسيط» كلمة «داهنه» بـ «داراه» ولا «المداراة» بـ «المداهنة» . فإن مثل هذا الشرح حتى ولو جاز صدوره عن معجم من المعاجم اللغوية القديمة التي كانت تأتي بالشروح على وجه التقريب لابقصد التحديد والضبط فإنه لا يسوغ وروده في أي معجم لغوي حديث لاسيما إذا كان صاحب هذا المعجم هو «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة الذي أولى مهامه تحقيق وتدقيق دلالة المفردات والمصطلحات .

«المِدْلَجة» (بكسر الميم) لا (المَدْلجة» (بفتحها) هي العلبة التي ينقل فيها اللبن أو الماء

في مادة «دَلَج» كرر «المعجم الوسيط» في طبعته الثانية خطأه في شرح كلمة «مَدْلَجَة» (بفتح الميم) الوارد في طبعته الأولى ونصه : «المَدْلَجة : المَدْلَج وكِنَاس الوحش . والعلبة الكبيرة ينقل فيها اللبن» . وقد سبق لنا أن نبهنا على هذا الخطإ في العدد الثاني من مجلة «اللسان العربي» بقولنا : أورد المعجم ضمن شرحه لكلمة «مَدْلَجة» (المفتوحة الميم) ما يلي : «العلبة الكبيرة ينقل فيها اللبن» والصحيح أن هذا المعنى هو مدلول كلمة «مِدلجة» (المكسورة الميم) كما ينص عليه «أقرب

الموارد» و «تاج العروس» و «أساس البلاغة» .

واليوم نضيف إلى استشهادنا بالمعاجم الثلاثة المذكورة نص ما أورده الفيروزبادي صاحب «القاموس المحيط» في مادة «دَلَجَ» من شرح لكلمتي «مَدْلَجة» المفتوحة الميم و «مِدْلَجة» المكسورة الميم وذلك قوله : « ... والدالج الذي يأخذ الدلو ويمشي به من رأس البئر إلى الحوض ليفرغها فيه وذلك *الموضع «مَدْلَج» و «مَدْلَجة»* (بفتح الميم في كلتيهما) ... وكمِكْنَسَة (بكسر الميم) : *العلبة* الكبيرة ينقل فيها اللبن . وكمَرْتَبة (بفتح الميم) : *كِناس الوحش*» اهـ .

وكما نأخذ على «المعجم الوسيط» عدم تفريقه بين المفردتين «المَدْلجة» (المفتوحة الميم) «والمِدْلجة» (المكسورة الميم) نأخذ عليه إغفاله هذه الأخيرة بالمرة .

ولذلك نرجو من مجمع اللغة العربية بالقاهرة عند إخراجه الطبعة الثالثة لـ «المعجم الوسيط» :

1) أن يصحح شرحه لكلمة «مَدْلجة» (المفتوحة الميم) كما يلي :

ــ المَدْلجة والمَدْلج : ما بين الحوض والبئر الذي يمشي فيه الدالج بالماء .

ــ المَدْلَجَة والدَّوْلَج : كِناس الوحش .

2) أن يثبت المفردة «مِدْلَجة» المكسورة الميم على النحو التالي :

ــ المِدلجة : العلبة الكبيرة ينقل فيها اللبن أو الماء .

المستوى = Niveau

أصرّ المعجم على إغفال كلمة «مستوى» (بفتح الواو) إسم مكان من «الاستواء» التي تقابل اللفظ الفرنسي «Niveau» رغم تنبيهنا على هذا الاغفال في العدد الثاني من مجلة «اللسان العربي» بصدد ملاحظاتنا على الطبعة الأولى . ولذلك نلح على ضرورة إثباته في الطبعة الثالثة مع الشرح التالي الوارد قبالة اللفظ الفرنسي المذكور الذي ننقله مترجما عن معجم «بول روبير» الصغير :

ــ المُسْتَوَى : درجة ارتفاع خط أو سطح بالنسبة لسطح أفقي يوازيه . وبالمجاز : المستوى التعليمي ، أو المستوى الثقافي : درجة العرفان أو الثقافة .

ــ مستوى الحياة : مجموع الأمتعة والخدمات التي يساعد على تحصيلها أو اكتسابها الدخل الوطني المتوسط .

«كَفَّهُ» عن الأمر = صَرَفَهُ وَمَنَعَهُ

في مادة «كفف» أغفل المعجم عند شرحه فعل «كَفَّ» معنى : «كفّه عن الأمر : صرفه ومنعه» الذي نصت عليه أمهات كتب اللغة ونخص منها بالذكر «لسان العرب» لابن منظور و «أساس البلاغة» للزمخشري و «أقرب الموارد» إلخ ...

وقد تكرر هذا الاغفال في الطبعة الثانية مع أننا نبهنا عليه بصدد ملاحظاتنا على الطبعة الأولى للمنشورة في العدد الثالث من مجلة «اللسان العربي» الصادر في غشت من سنة 1965 .

مادتا «ذوف» و «ذيف»

أصر المعجم على إغفال مادتي «ذوف» و«ذيف» رغم تنبيهنا عليه في العدد الثالث من هذه المجلة منذ عشرين سنة . ونعيد التذكير بمفرداتها التي نقلها عن (لسان العرب) لابن منظور فيما يلي :

الذَّوف : مشية في تقارب وتفحج .

الفعل : ذاف ، يذوف قال :

رأيت رجالا حين يمشون فحجوا
وذافوا كما كانوا يذوفون من قبل

الذوفان : السم المنقع وقيل هو القاتل وسنذكره في الياء لأن الذيفان لغة فيه .

الذواف : الذوفان

الذئفان بالهمزة و ***الذيفان*** بالياء و ***الذيفان*** بكسر الذال وفتحها و ***الذواف*** كله السم الناقع وقيل القاتل يهمز ولا يهمز ... وأنشد ابن السكيت لأبي زجزة :

وإذا قطمتهم قطمت علاقما
وقواضي الديفان فمن تقطم

« ... ابن الأثير في حديث عبد الرحمن بن عوف :

«يفديهم ، وودوا لو سقوه
من الديفان مترعة الملايا»

« ... وحكى اللحياني / سقاه الله كأس الديفان / : بفتح أوله «وهو الموت» .

«المبزغ» و «المشرط» و «المبضع» و «المفصد» «المرهم» – «الحرج» – «الصن»

— أبقى المعجم على الغموض والفراغ في شرح كلمات «المبزغ» و«المشرط» و«المبضع» و«المفصد» التي فسر بعضها ببعض ويؤسفنا أنه لم تأخذ بعين الاعتبار ملاحظاتنا والشروح التي اقترحناها لهذه المفردات في العدد الثالث من مجلة «اللسان العربي» الصادر منذ عشرين سنة .

— لم يتدارك المعجم إغفاله كلمة «مرهم» التي نبهنا عليها بصدد طبعته الثانية في العدد الثالث من هذه المجلة مع افتقار الاصطلاح الطبي إليها ومع ورودها في أمهات كتب اللغة مثل «لسان العرب» و «تاج العروس» بمعنى «طلاء يطلى به الجرح» .

— عند شرحه كلمة «حرج» لم يتدارك كذلك إغفاله المعنى الوارد في «تاج العروس» بالنص التالي : «سرير يحمل عليه المريض أو الميت وذلك رغم تنبيهنا عليه في العدد الثالث من هذه المجلة .

— في مادة «صنّ» لم يتدارك المعجم إغفاله مفردة «الصن التي ورد شرحها في «تاج العروس» وفي «متن اللغة» وفي «أقرب الموارد» وفي «المنجد» بالمعنى التالي :

«شبه السلة المطبقة يجعل فيها الطعام أو الخبز» والتي يقابلها في اللغة الفرنسية لفظ «Porte-manger» و ذلك رغم تنبيهنا عليها .

عسى الله أن يوفق مجمع اللغة العربية بالقاهرة لأن يتدارك في الطبعة الثالثة ما أغفله في الطبعة الثانية لمعجمه مثلما تدارك غيرها من المغفلات التي نبهنا عليها من قبل والله ولي التوفيق .



2 . تتأثر تراكيب لغة البلد المتلقي بالتراكيب الاصطلاحية للغة البلد المنتج إذ يلاحظ أن طرائق تشغيل الماكينات والآلات ومنتجات التقنية تنقل بفعل ضرورة الاتصال والتخاطب بين العاملين في المؤسسة أو الشركة من لغة البلد المنتج إلى لغة البلد المتلقي ، وقلما يكون النقل وفق خطة علمية مدروسة ، بل يغلب عليه طابع الارتجال والسرعة وحكم الضرورة ، والنقل عادة ما يكون ترجمة حرفية لأوامر التشغيل وغيرها من العمليات الداخلة في الانتاج أو التعبئة أو التخزين أو صيانة المعدات ويؤدي هذا النقل إلى تأثر تراكيب اللغة المنقول إليها بتراكيب اللغة المنقول عنها .

3 . تتأثر مفردات لغة البلد الملتقي وخاصة في ميدان المصطلحات العملية بمفردات لغة البلد المنتج وينتج عن لقاء اللغتين عدة أوضاع لغوية يمكن حصرها فيما يلي :

أ . تبقى المصطلحات على حالها بلغة الأصل وتستعمل كما هي في لغة التخاطب شفاهة وكتابة .

ب . تنقل المصطلحات الأجنبية إلى اللغة المحلية بطرائق مختلفة مثل التعريب الصوتي ، الترجمة الحرفية ، الترجمة الدلالية ، اللجوء إلى التعريب الشعبي والتلقائي وينتج عن ذلك خليط من المصطلحات بعضها دخيل وبعضها معرب وآخر عربي أو شعبي .

تؤثر عملية التداخل اللغوي في أبعادها التي فصلناها أعلاه على بنية اللغة العربية وعلى صرفها ومفرداتها ، والغرض من هذا البحث دراسة أبعاد هذا التأثير ومظاهره ومستوياته المختلفة في مؤسسة شهدت إدخال قدر هائل من منتجات التقنية الرائدة في منطقة لا عهد لها بمثل ذلك وهي المنطقة التي أقيم فيها مصنع سكر كنانة والغاية من الدراسة رصد مظاهر تأثر اللغة العربية في هذا المصنع باللغة الانجليزية مفردات وصرفا وتراكيب اصطلاحية ويمكن استخدام هذه الدراسة كنموذج لتأثير نقل التقنية غير المخطط له لغويا على لغة البلد المتلقى ، وكأساس لاستراتيجية لغوية في التعامل مع منتجات التقنية التي ترد بلغة البلدان المنتجة لها بغرض إحلال لغة البلد المتلقي المكان اللائق بها في عمليات التخاطب المؤسس ، حماية لهذه اللغة من الاقصاء عن مجال التقنية ، وتسهيلا لعمليات التخاطب بين مستويات العاملين المختلفة وهو أمر يؤثر على الانتاج وكفاءة التشغيل سلبا وإيجابا .

خطة البحث :ـــ

أ . التعرف على طبيعة مصنع سكر كنانة والأسس العلمية التي قام عليها ، وعلى نوع المنتجات التقنية المستخدمة فيه .

ب . رسم خارطة كاملة بكافة العمليات الصناعية التي تؤدي إلى إنتاج السكر وتحديد دور كل عملية في سلسلة العمليات الصناعية ، وتحديد الآلات والماكينات المستعملة في كل مرحلة من مراحل صناعة السكر والمصطلحات الأجنبية والعربية الشائعة في كل مرحلة .

جـ . رصد شبكة التخاطب الرسمي داخل المصنع ووسائل التخاطب من مراسلات وإشارات وتوجيهات ورصد اللغة أو اللغات المستعملة في مختلف مستويات التخاطب الرسمي (بين إدارة المصنع والعاملين على مختلف مستوياتهم ، بين مختلف مستويات العاملين مثلا بين المهندسين والفنيين ، وبين

المهندسين والعمال أو الفنيين والعمال ... إلخ)والغرض من هذه الدراسة رسم خارطة لغوية متكاملة للتخاطب الرسمي داخل المصنع بغرض تحديد دور كل من اللغة الأجنبية واللغة العربية في مختلف مراحل الانتاج .

د . دراسة المصطلحات الأجنبية الخاصة بكل مرحلة من مراحل الانتاج وطرائق نقلها إلى اللغة العربية ومدى تطابق أو مشابهة طرائق النقل الشائعة لوسائل اللغة العربية في تعريب المصطلحات الأجنبية (الاشتقاق ، النحت ، التعريب ، الترجمة الحرفية ، الترجمة الدلالية ، تعريب السوابق واللواحق ... إلخ) .

هـ . تحديد دور التعريب الشعبي والتلقائي في تعريب المصطلحات ومدى إمكانية الاستفادة من الطرائق التي يبتدعها حس العاملين اللغوي في تعريب المصطلحات باستخراج الأنماط اللغوية الشائعة في هذا الضرب من ضروب التعريب (الأوزان والصيغة الصرفية ، الترجمة ...) ومدى مطابقتها لوسائل التعريب في اللغة العربية الفصحى أو اختلافها عنها .



توصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والخمسين

(القاهرة : 1989 – 1990 م)

1 – يوصي المؤتمر أن يعنى في مرحلة التعليم الاساسي بحفظ قدر كاف من القرآن الكريم مع تفسيره في صفوف هذا التعليم ، وأن تتلو الناشئة مجموعة من أجزاء القرآن موزعة على الصفوف حتى ترسخ الملكة اللغوية في نفوسهم ، ويتمثلوا قيم القرآن الجمالية والسلوكية والاجتماعية .

2 – يؤكد المؤتمر توصية الدول العربية التي لم يتم فيها تعريب جميع الادارات والمؤسسات أن تستكمل ذلك لضرورته في التعامل مع أفراد شعوبها ، ولأن ذلك جزء لا يتجزأ من عروبتها الخالدة .

3 – يوصي المؤتمر الدول والحكومات العربية أن لا تعمل على إحياء اللهجات المحلية حتى لا تغض من العناية بالعربية لغتنا القومية والدينية ، ولغة ثقافتنا على مر التاريخ ولغة هويتنا وشخصيتنا وإذا كتبت أي لهجة محلية أو جعلت صحيفة لسانا لها ينبغي أن لا تكتب بأبجدية سوى الأبجدية العربية .

4 – يدعو المؤتمر الصومال حكومة وشعبا إلى العودة إلى الأبجدية العربية حتى تظل الأواصر قائمة بينها وبين شقيقاتها من البلدان العربية بحيث لا يمسها أي انفصام أو انفصال ، ويهيب المؤتمر بالدول والحكومات العربية أن تعمل بشتى الوسائل على هذه العودة المنشودة .

5 – يوصي المؤتمر ببذل الجهود العلمية لوضع معجم كبير للعامي الفصيح المشترك في البلدان العربية والذي يرجع إلى أصول فصيحة ، حتى تتقارب تلك البلدان بعضها من بعض وتتعاون بلغة مشتركة . ويقرر المؤتمر أن يظل هذا الموضوع مفتوحا في المؤتمر القادم .

6 – يدعو المؤتمر علماء العربية كل في وطنه إلى محاصرة العامية وبيان الفروق الدقيقة بينها وبين الفصحى وما دخل الكلمات الفصيحة فيها من إبدالات في الحركات والحروف وتغيرات في البنية والهيئة ، لعرض ذلك على الناشئة والاذاعيين حتى يتحاشوه في كتابتهم ونطقهم .

7 – أخذ مؤتمر المجمع علما بقرار وزراء الصحة العرب بتعريب كليات الطب في الوطن العربي وهو ما أوصى به مؤتمر المجمع مرارا ، وإن مؤتمر المجمع إذ يحيي هذا القرار يوصي الحكومات العربية بإصدار التشريعات اللازمة لتعريب التعليم الجامعي والعالي في مختلف الحقول والتخصصات العلمية .

8 - يدعو المؤتمر اتحاد المجامع والهيئات العلمية إلى توحيد المصطلحات في جميع العلوم ، حتى تنمحي انمحاء تاما البلبلة في وضع هذه المصطلحات ، فلا تكون في أي بلد عربي مصطلحات في علم تغاير مصطلحاته في البلاد العربية الاخرى ، وحتى يتعاون علماؤنا جميعا في نهضة العلوم ببلادنا نهضة جماعية عربية قويمة .

9 - يوصي المؤتمر بزيادة عدد الساعات في تدريس قواعد العربية مع العناية في النصوص بالضبط والشكل الكامل ، ومع تيسير القواعد على الناشئة والاستضاءة في ذلك بما قرره مؤتمر الدورة المجمعية الخامسة والاربعين من تبسيط لتلك القواعد ، ولدى المجمع كراسة توضح هذا التبسيط وترسل لمن يطلبها من وزارات التعليم في الوطن العربي .

10 - يوصي المؤتمر أن يعنى في التدريس للناشئة وفي جميع وسائل الاعلام وفي الاذاعتين المسموعة والمرئية ومسلسلات التليفزيون باستخدام الفصحى ومراعاة قواعدها وصياغاتها مراعاة دقيقة وينبغي إعداد المذيعين والمذيعات لغويا بواسطة دورات تدريبية لهم تعرفهم - في دقة النطق العربي الفصيح ، مع تصحيح ما يتردد في ألسنتهم من أخطاء لغوية .

11 - يوصي المؤتمر بما دعا إليه في مؤتمرات سابقة - حفاظا على الهوية العربية والقومية - من إصدار تشريعات تحظر كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات والفنادق بغير العربية كما تحظر كتابة الاسماء الاجنبية - عليها جميعا - بحروف عربية .

12 - يدعو المؤتمر رجال الدولة وجميع المسئولين في الوطن العربي أن تكون خطبهم وبياناتهم الموجهة إلى الجماهير بلغة عربية سليمة ، لما لذلك من تأثير عميق في نفوس الجماهير وتمثلها القويم للبيان العربي.

13 - تبلغ هذه التوصيات للمؤتمر إلى المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والصحف العربية وإلى وزارات التعليم والاعلام والثقافة في الوطن العربي .

أبحاث ودراسات بلغات أجنبية

Researches and Studies
Recherches et Etudes

96

Translation in this case consists usually of a literal translation of manual of operations and the other processes that relate to production, storage or maintenance. During this process of literal translation the structures of the target language are affected by those of the source language.

3. The lexical items of the language of the recipient country are influenced especially in the field of scientific terms, by the lexical items of the language of the producing country. The interaction of the two languages gives rise to a number of linguistic situations which are as follows :

(a) The terms remain as they are in the source language and they are used in this form both in verbal and written communication.

(b) Foreign terms are transferred to the target language in different ways e.g. phontetic arabicization, literal translation,semantic translation, and spontanoeus arabicization. All this gives rise to a heteroginous collection of terms some of which are alien, some arabicized while others are either arabic or colloquial terms. The process of linguistic interaction with its various aspects, the details of which we have given above, affects the structure of Arabic, its morphology or lexical items. This proposed study aims at investigating the dimensions of this influence. Its manifestations and its various levels in an factory which has witnessed the introduction of a great number of products or technology in an area which had not known anything of the sort before. This is the area where the Kenana Sugar Factory has been set up.

The objective behind this study is to assess the ways in which Arabic has been influenced by english in this factory on the level of lexical item, morphology and idiomatic phrases. This study could be used as an example of the influence of technology transfer-which takes place without any linguistic planning on the language of the recipient country and also as a basis for a linguistic strategy for dealing with the products of technology that arrive in the recipient country along with the language of the producing country. The intention here is to give the language of the recepient country its rightful place in the process of institutional communication so as to make sure that this language is not cut off from the field of technology and so as facilitate communication between the different levels of the work force and this in bound to affect production orperational efficiency either negatively or positively.

Plan of the study

(a) Familarize ourselves with the nature of Kenana Sugar Factory, the basis on which it was built, and the products of technology used in it.

(b) Map all industrial operations that lead to the production of sugar and determine the role of each operation, in the chain of industrial operations as well as the kind of equipment and machinery used in each stage in the manufacture sugar in addition, to the foreign and arabic terms used extensively in each stage.

(c) The network of official communication with the factory and the necessary communication - correspondence, and instructions - and the language or languages used at all levels of official communication (between the management of the factory and the work force at all levels and between different levels of the work force - e.g. between the engineers and the technicians, the engineers and workers or the technicians and the workers etc.) The purpose behind the study is the drawing up of a complete linguistic map of official communication within the factory with the intention of determining the role of the foreign language and arabic in the various stages of production.

(d) Study the foreign terms relating to each stage of production and methods of translating them into arabic and the extent of overlap between these popular methods of translation and the methods followed in arabic for the arabicization of foreign terms.

(e) Determine the role of the spontaneous arabicization of terms and assess the viability of making use of the methods created by the linguistic institution of the workers in arabicizing terms. This could be done by extracting of popular linguistic structures in this kind of arabicization (linguistic forms, morphology, translation methods) and comparing them with the methods of arabicization in classical arabic in order to determine the similarities and differences.

THE IMPACT OF TECHNOLOGY TRANSFER ON THE ARABIC LANGUAGE

The products of technology are usually transferred from industrialized to developing countries (North-South transfer). These products are on the whole transferred along with the language of the country that produces them, moreover, the documents relating to these products are written in the language of the producing country. This process leads to the interaction of the language of the producing country with that of the recepient on a number of levels among which are institutional and non-institutional verbal communication and institutional written communication within a corporation or a company. This kind of interaction may lead to cross fertilization as a result of translation and phonetic / semantic arabization which is bound to affect the language of the recepient country on a number of levels among which are : -

(1) The role of the language of the recipient country in the official language of communication :

The transfer of the products of technology along with the language of the producing country may confine the language of the recepient country to a marginal role in the official mode of communication within a corporation or a company and to the use of the language of the producing country as a means of communication by the work force in the corporation or the company at all levels. Moreover, it is a well known fact that the use of the language of the producing country (the foreign language) varies in frequency in accordance with the profiency of the work force in the language concerned so that the higher the level of this profiency the stronger the tendency on the part of the members in work force to use this language or some of its lexical items among themeselves in official communication (both written and verbal) in a company or a corporation. This process may lead to the relegation of the language of the recepient country to the status of secondary language and this may in turn impede the integration of the products of technology in the language of the recepient country and affect in an adverse manner their assimilation in its general scientific culture. Perhaps one of the results of this distinitive linguistic situation (which is characterized by the ascendency of foreign language and the peripheral role assigned to the local language) is the kind of stratification of knowledge in the technological field which allows a group of employees to monopolize technological knowlege at its highest levels while other groups of employees remain more or less ignorant about the elementary principles of technology. This is something which may impede the process of production and the flow of information necessary for this process.

2. The structures of the language of the recipient country are affected by the idiomatic phrases of the language of the producing country since the instructions for operating the machinery and equipment and the other products of technology are translated, as a result of the need for interaction and communication among the work force, from the language of the producing country to the language of the recepient country. This translation is seldom carried out according to a scientific plan but is often dictated by haste and the pressures of work.

المراجع العربية

1 - الحمزاوي ، محمد رشاد ، **الصدور واللواحق وصلتها بتعريب التعليم ونقلها إلى العربية الحديثة** ، اللسان العربي ، عدد12 ، الجزء الأول 1975 ، ص 121 - 138 .

2 - الحمزاوي ، محمد رشاد ، **المنهجية العربية لوضع المصطلحات : من التوحيد إلى التنميط** ، اللسان العربي ، العدد 24 ، 1984 / 1985 ، ص 41 - 51 .

3 - الخطيب ، أحمد شفيق ، **معجم المصطلحات العلمية** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، 1981 .

4 - الخطيب ، أحمد شفيق ، **منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان** ، اللسان العربي عدد 24 ، 1984 / 1985 ، ص 37-66 .

5 - الخوري ، شحادة ، **اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في هذا العصر** ، اللسان العربي ، عدد 26 ، 1986 ، ص 37 - 48 .

6 - القاسمي ، د . علي ، **المعاجم العربية المتخصصة ومساهمتها في الترجمة ونقل التكنولوجيا** ، اللسان العربي ، عدد 25 ، 1983 / 1984 ، ص 45 - 54 .

7 - المبارك ، د . مازن ، **اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي** ، مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، بيروت 1983 .

8 - المغنم ، محمد ، **مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها** ، اللسان العربي ، عدد 24 ، 1984 / 1985 ، ص 95 - 102 .

9 - بنعبد الله ، عبد العزيز ، **التعريب ومستقبل اللغة العربية** ، معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1975 .

10 - حجازي ، د . محمود فهمي ، **اللغة العربية عبر القرون** ، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، 1978 .

11 - عبد الرحمان ، وجيه ، **منهجية وضع المصطلحات الجديدة في الميزان** ، اللسان العربي ، عدد 24 ، 1984 / 1985 ، ص 57 - 65

12 - مجمع اللغة العربية ، المعجم **الوسيط** ، القاهرة ، 1974 .

13 - مدكور ، د . إبراهيم ، **محصول المجمع لمصطلحات العلم** ، العربي ، عدد 187 الكويت ، 1974 .

14 - **ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي** ، الرباط 18 - 20 / 2 / 1981 ، اللسان العربي ، المجلد 18 ، 1981 ، ، ص 175 - 178 .

15 - يعقوب ، إميل ، **المعاجم اللغوية العربية ، بدايتها وتطورها** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1985 .

References

English References

1 - Abdul-wahed,
Technical Dictionary : Machine Tools, Edition Leipzig. East Germany, 1977.

2 - Abdulla, Hassan,
A Dictionary of International Relations and Conference Terminology, Librairie Du Liban, Beirut, 1983.

3 - Abu-Ghazaleh, Talal,
The Abu-Ghazaleh English-Arabic Dictionary of Accounting, Macmillan Press Ltd, London, 1982.

4 - Al-Kasemi, Ali M.,
Dictionaries for Translation, Al-Lisan Al-Arabi, Volume 18, 1980.

5 - Al - Khatib, Ahmad,
A New Dictionary of Petroleum and the Oil Industry, Librairie Du Liban, Beirut, 1975.

6 - El-Assioutty, Magdi,
El-Assioutty Banking and Financial Dictionary, El-Assioutty, Cairo, 1980.

7 - Henni, Mustapha,
Dictionary of Economic and commercial Terms, Librairie Du Liban, Beirut, 1972.

8 - Hitti, Yusuf K.,
Hitti's English-Arabic Medical Dictionary, Librairie Du Liban, Beirut, 1980.

9 - Kabarity, A.M et al.,
Botany and Microbiology Dictionary, Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences, Kuwait, 1985.

10 - Monkhouse, F.J. and John Small,
A Dictionary of Geography and the Natural Environment, Librairie Du Liban, Beirut, 1983.

11 - Nasr, Z.,
The Dictionary of Economics and Commerce, The Macmillan Press Ltd, 1979.

12 - OAPEC,
Energy Terminology, Kuwait, 1983.

b - The principles approved by CBA for the unification of methodology for forming scientific and technical terms.

a - The principles published by Cairo Language Academy covered the formation of artificial nouns (المصدر الصناعي) such as تقدمية ، شعوبية ، شاعرية linking certain derived forms to certain meanings such as فعيل (sounds), فعالة (profession), and فعال (disease), derivation of verbs and nouns from names such as المرسرة ، البسترة formation of negative nouns by adding the negative particle to the noun such as اللاوعي ، اللاادرية compounding which produces Arabic equivalents to English words beginning with non-, semi- un- / in- and mis- : لاخطي ، شبه موصل ، غير دستوري ، سوء الادارة

and, finally, lexical borrowings تلفزيون ، فلطية ، كاثود ، اكسيد . It is worth mentioning here also that the topic of prefixes and suffixes was adequately dealt with in Al-Khatib (1982), Al-Hamzawy (1975), Abdul-Rahman (1984 / 1985) and Al-Maghnam (1984 / 1985).

b - During the period between 18-20 / 2 / 1981, the CBA organised a seminar which was devoted entirely to the formation of a unified methodology for Arabising scientific and technical terms. The list of reccommendations is quite lengthy, but the following is a summary thereof : lexicographers should utilise old suitable Arabic scientific terms culled from our heritage; each term must have one equivalent in a given field of specialisation; international Methodology Should be complied with when new terms are formed; preference should be given to pure Arabic or Arabised terms, to lucid terms, to terms which allow derivation rather than those which do not, to specific rather than general terms, to commonly-used rather than rare terms; avoidance of colloquial expressions whenever possible; meanings of terms given as synonyms must be clearly explained; acceptance of terms suggested by specialists; and using linguistic rules when new terms are produced. In addition, CBA proposed a set of rules to govern Arabised terms. (Nadwat Tawheed... 1981).

5 - Prospects

Although the ceaseless efforts of the Arab language academies and CBA and the resolve and tenacity of many an organisation and a scholar have infused new blood in the process of Arabisation' which specialised dictionaries ultimately serve, the achievement of an acceptable level of Arabisation as a vital pan-Arab objective calls for an increase of emphasis on translation, lexicography and co-ordination among the concerned organisations and individuals. So far as specialised dictionaries are concerned, the author suggests the following :

1 - Dictionaries prepared by CBA and governmental bodies should become available to the public through experienced publishers like Librairie Du Liban or Al-Ahram,
2 - CBA should, in co-operation with publishers, review and approve dictionaries before they are sold on the market,
3 - Seminars, workshops and coferences should be held on a regular basis for Arab linguists, lexicographers, translators and other specialists,
4 - Public and private organisations particularly those involved in dictionary-making and translation should be made aware of the recommendations and resolutions passed by language academies and CBA,
5 - Correspondents should be appointed in every Arab country to monitor the new terminology in various fields. This should be viewed as an ongoing task in view of the huge number of new terms that are produced in the fields of technology and science.

man, in the same order of importance. Arabic-English glossaries are extremely rare as demand in translation is most of the time from English to Arabic. Nevertheless, several lexicographers have provided their dictionaries with an Arabic glossary in the case of bilingual dictionaries (Hitti 1980) as well as glossaries in languges other than that of the lexical entries in the case of multilingual dictionaries (Henni 1972, Abdel-Wahed 1977 and OAPEC 1983).

Lexical entries in the specialised dictionaries are, for the most part, single nouns, noun plus noun compounds (reconnaissance map, price support, heat transmission), adjective plus noun compounds (pricing policy, racial factor, galvanic terminal) or longer nominal phrases (law of diminishing marginal unity, soil moisture stress, electric system protection). On the other hand, these lexical entries are either listed in accordance with the initial component only or under the various constituents of the construction.

Quite recently, two innovations have been registered in the field of specialised dictionaries. First, some publishers have started to publish foreign dictionaries with an English-Arabic glossary at the end (Monkhouse and Small 1983). Second, some lexicographers tend to organise the lexical entries in accordance with the topic (OAPEC 1983 and Abdulla 1982).

4 - Methodology

The fact that most of the specialised dictionaries resulting from individual efforts are produced by professionals who are wellversed in their areas of specialisation is a mixed blessing. For on the one hand, these professionals could determine the most common terms used in their fields in the languages concerned. On the other hand, the complexity of dictionary compilation and the continuous influx of new concepts and terms makes their task rather difficult as certain issues require the insights, rules and linguistic knowledge only linguists and scholars of Arabic could provide.

This aside, if lexicographers are to work without any linguistic or organisational principles, this would undoubtedly lead to inconsistencies, confusion and duplication, a hardly desirable position if Arabisation is to succeed at all. To illustrate this point, let me give a few examples from three business dictionaries :

English Term	Arabic Term		
	Librairie Du Liban	El-Assioutty	Abu Ghazaleh
charge account	حساب قيدي، حساب الزبون الجاري	حساب المبيعات الاجلة	حساب العميل
charge adjuster	مسوي الخسارة	موزع العوارية	
consignment clearance	إرسالية، بضاعة أمانة	إيداع برسم الأمانة	إرسالية بضاعة (شحنة)
consignment	ربح، منحة، إجازة، تصفية، تخليص	تخليص، إبراء	تسامح، فك الرهن، مقاصة
deferred credit	دين مؤجل الدفع	قيد دائن بتاريخ	إيراد مؤجل
margin	حد (الربح، الخسارة، إلخ)	حد، هامش، احتياطي، غطاء	الربح الاجمالي، هامش الضمان، تأمين نقدي

Perhaps the most significant contributions made in the field of unifying methodology in lexicography are the following :

a - The set of principles issued by Cairo Language Academy regarding derivations, and

which was formed on June 8, 1919 was soon to become the first Arab language academy : Damascus Language Academy (Hijazi, 1987). The Egyptian government followed suit in 1932 by establishing Fuad I Language Academy (which later became Cairo Language Academy). The two major objectives the Academy set about to achieve were :

1 - To maintain the accuracy and purity of Arabic and ensure that it can efficiently meet the requirements of progress in sciences and arts.

2 - To compile a historical dictionary for Arabic. (Al-Mu'ujam Al-Waseet, 1972).

Sixteen years later, the Iraqi Scientific Academy was established. But the last academy of this sort to be launched was the Jordanian Language Academy which was formed in 1976 (Al-Khoury, 1986).

These academies were destined to play a significant role in the process of Arabisation and spearhead the efforts to compile specialised dictionaries. Arabic equivalents for thousands of predominantly English and French words were proposed, and Cairo Language Academy made considerable efforts to regulate and control the selection of equivalents in Arabic.

c - As the second half of the present century dawned, more Arab countries gained independence. The strong desire among Arab linguists, academics, lexicographers and intellectual leaders to give the process of Arabisation a new impetus, to pool all the linguistic resources of the Arab World and to co-ordinate and systematise the efforts in this particular area culminated in establishment of the Co-ordination Bureau of Arabisation (CBA) in Rabbat in 1962. Set up within the framework of the Arab League Educational Scientific and Cultural Organisation, the Bureau started to organise conferences, seminars and workshops on all aspects of Arabisation, lexicography and translation. Through its journal. Al-Lisan Al-Arabi, CBA was instrumental in publishing a very large number of specialised bilingual and multilingual dictionaries. In addition to the works of its members, the most notable of whom is Abdul-Aziz Ben-Abdulla, the Bureau began to serve as a focal point for the co-ordination of dictionary-making and Arabisation : Lexicographers, whether individuals or organisations, started to co-operate with CBA which helped in reviewing dictionaries and in suggesting modifications and alternative terminology. Moreover, the Bureau set up specialised committees in different parts of the Arab World to produce specific dictionaries. Upon completion, these dictionaries are returned to the Bureau whose specialists will determine whether to retain, drop or modify the contents in the light of guidelines suggested by Arab scholars and linguists. Once the task is accomplished, the draft is then submitted to a conference whose specialised committees will review the dictionary and propose any relevant modifications. (Al-Hamzawi, 1984 / 1985)

d - Compilation of specialised dictionaries, however, is not limited to the Arab language academies and CBA. A number of governmental, semi - governmental and autonomous organisations have published, and indeed continue to publish, glossaries and dictionaries in their fields of specialisation. Among these, to name a few, are the central Bank of Iraq, the Egyptian Scientific Academy, the Statistical Society for Arab Countries, Organisation of Arab Petroleum Exporting Countries and Kuwait Foundation for the Advancement of Sciences. In addition, the recognition of Arabic as an official language in the various bodies of the United Nations gave rise to a number of specialised dictionaries. (Abdulla, 1982)

e - The contribution of several scholars in the field specialised dictionaries is also noteworthy. Their methodology and the contents of their dictionaries were largely influenced by the views, principles and glossaries published by language academies and CBA. On the other hand, some of the dictionaries compiled by certain individuals were endorsed by official organisations (Al-Khatib, 1976 and Elassioutty 1980).

3 - Languages and Organisation

The great majority of the specialised dictionaries published in the Arab World are no more than English-Arabic glossaries. Other languages which also appear are French and Ger-

Specialised Dictionaries in the Arab World : An Overview

Dr. A.F. Abu-Ssaydeh
English Departement
University of Bahrain

1 - Introduction

We define a specialised dictionary as a dictionary whose lexical entries are restricted to a certain area or sub-area of human knowledge. Such a dictionary may be unilingual, bilingual or multi-lingual and the lexical entries may be part of a glossary or accompanied by explanations of varying lengths in one or more languages. Furthermore, the specialised dictionaries may appear in the form of a bound book or as software for a terminology bank or machine translation (Al-kasemi, 1984 / 1985).

This paper attempts to provide the reader with an overview of specialised dictionaries which have been published in the Arab World and which constitute the major reference for Arab translators.

2 - Historical Background

a - Although unilingual dictionaries were known in the Arab World as early as the fifteenth century, the emergence of bilingual and multilingual lexicons and dictionaries could not materialise until the Arab culture came into contact with foreign cultures. The first manifestation of such contact appeared during the nineteenth century when Mohammad Ali and his successors embarked on an ambitious modernisation campaign. Some of the facets of which were a scholarship programme to France, the establishment of schools, including the Language Academy (Dar Al-Alson) in 1835 and translation of French scientific and technical books as students returning from France were instructed to translate one book each, in addition to their involvement in committees which culled scientific terms and tried to find Arabic equivalents for them. Efforts at this stage, however, did not produce more than unsystematic and limited lists of French and Arabic and Arabic terms (Hijazi, 1978).

b - The end of the First World War signalled the collapse of the Ottoman Empire in the Middle East and the appearance of several Arab states in the aftermath. This political change ushered in a parallel linguistic change as the Turkish language had to cede its place to Arabic. Thus the Arab government which was set up in Damascus in 1918 sought to establish a body to be entrusted with the task of Arabising the administration and the educational system. This body



(21) نعمة رحيم العزاوي، النقد اللغوي عند العرب ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد ، ١٩٧٨ .

(22) البرجاني (الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي بن عبد العزيز البرجاني).

(23) الأمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي .

(24) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء .

(25) نعمة رحيم العزاوي ، المرجع السابق الذكر .

(26) Idem.

(27) Idem.

(28) طه حسين ، مستقبل الثقافة ، عن أنور الجندي ، المرجع السابق الذكر .

(29) علي العناني ، مجلة النهضة الفكرية ، ١٩٣٣ ، عن أنور الجندي ، الفصحة لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(30) أنور الجندي ، الفصحى لغة القرآن ، المرجع السابق الذكر .

(31) Gilbert Grandguillaume, Arabisation, Maisonneuve et Larose, Collection Islam d'hier et d'aujourd'hui. Paris, 1983

(32) "L'arabe ne serait-il dès lors que la langue du passé? Certainement pas. L'arabe deviendra opérationnel, il l'est déjà dans mains secteurs. Mais la condition pour cela est de ne pas le laisser se perdre, se vider de tout contenu propre, perdre forme et couleur en versant dans le mimétisme du langage occidental", Gilbert Grandguillaume, op. cit.

(33) أنظر أيضا توصيات ندوة مونس حول تشجيع تعليم العربية في بلدان الاتحاد الاقتصادي الأوروبي ، ٨ - ٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٧ .

(34) "Il reste maintenant à faire en sorte que, dans un contexte ou autant de sujets sont abrodés, l'Organisation puisse offrir pour chaque concept véhicule le terme juste". Francoise Cestac, la traduction et les services de conférences à l'Organisation des Nations Unies.

(35) Mala Tabory, Multilingualism in International Law and Institiutions, Sijthoff and Noordhoff, Rockville, Maryland, U.S.A.

Notes

(1) Bernard Coorie, Major World's Languages, Croom Helm, London, 1987

(2) محمد عابد الحابرى ، تكوين العقل العربي ، نقد العقل العربي ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .

(3) علي عبد العظيم (عن عالمية اللغة العربية) مجلة الأزهر سنة ١٣٩٢/١٣٩١ عن أنور الجندى ، الفصحى لغة القرآن ، الموسوعة الاسلامية العربية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(4) The New Encyclopaedia Britannica, Islamic Literatures, Vol. 9 P. 954, 1984.

(5) أنظر أنور الجندى ، المرجع السابق الذكر ، للمزيد من التفاصيل .

(6) Encyclopaedia Britannica, op. cit.

(7) م . ع . الحابرى ، تكوين العقل العربي ، المرجع السابق الذكر .

(8) <u>Idem</u>.

(9) القاضي عبد الجبار ، عن م . ع . الجابري ، المرجع السابق الذكر .

(10) محمد عابد الجابرى ، بنية العقل العربي ، نقد العقل العربي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .

(11) <u>Idem</u>.

(12) <u>Idem</u>.

(13) <u>Idem</u>.

(14) <u>Idem</u>.

(15) الجابري ، تكوين العقل العربي ، المرجع السابق الذكر .

(16) الجابري ، بنية العقل العربي ، المرجع السابق الذكر .

(17) The New Encyclopaedia, op. cit.

(18) الجابري ، تكوين العقل العربي ، المرجع السابق الذكر .

(19) محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تاويل آية القرآن عن "النقد الأدبي عند العرب"

(20) جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن .

early documents issued soon after Arabic was introduced into the United Nations. Because of the extreme literalness which had its justifications, those texts read like Arabic texts written in English. A coherent form suits the spirit of the age, while a new meaning is valuable to the Arabs.

* * * * *

between the text and the thinking, or between language and thought, although some addresses in non-scientific fields are rather reiterative and repetitive in all the six languages.

In the United Nations, and for the Arabic translator in particular, there is some degree of freedom from Arabic thinking, because some non-Arab thinking underlies the text to be translated. This is an advantage for the language.

5 - Conclusion

There is no question that the Arabic language is swinging in the hands of the Arabs between the affection and infatuation of those adept in it and knowledgeable of its rules and those who are jealous for Islam and, therefore, seek to preserve the language of the Holy Quran, on the one hand, and degradation on the part of those ignorant of it or despise it for various factors, including the social factor, on the other hand. It has survived safely, inspite of the hinderances it had to contend with and the enfeeblement of its lexicon to which its admirors have also inadvertently contributed .

The international forum has served the Arabic language by giving it a push forward. Yet, the language must not be detached from its glorious past. It is now engaged in refining its terminology so that it will serve the meanings and the concepts. The term is only a means of clarification of the meaning or the concept, which can be completely new to Arabic, while the mentality behind the text to be translated, which in most cases is written in English, is usually non-Arab. This insures the seperation between language and thought and the freedom from the plague of preoccupation with words which has been an attribute of Arabic texts for a long time.

Thus the (translated) Arabic text in the United Nation is Arabic in form but non-Arabic in content. This was very clear in the

are closely related. While the interpreter has to be proficient in his job, the address is, nevertheless, the core and the source of his work. It is well known that simultaneous interpretation is based mainly on meaning and content, so if the adress was "meaningless but reads and sounds as if it were meaningful", its conveyance is bound to prove difficult for the interpreter because he will be preoccupied with the words. However, United Nations documents issued in Arabic prove that this language is capable of matching the other languages inall fields, in view of its characteristic merits. Although Arabic was entangled, at some period, in a verbal maze, its connection with the Holy Quran has preserved its structure and delivered it to us intact, inspite of the above-mentioned defects.

It can thus be seen that the meaning is the essence in the meetings and conferences of the United Nations, dealing with social subjects such as crime prevention, drug control, assistance to disabled and elderly people, the advancement of women, scientific subjects like new and renewable sources of energy and the peaceful uses of nuclear energy, specialized legal subjects in the field of international law and international trade law, etc.

Nevertheless, many Arab discussions in conferences dealing with important subjects revolve on words.

Not only the interpreter, but also the Arabic translator in the United Nations is a conveyor of ideas, so if he is content with a feeble literal translation devoid of meaning he will be in default. Experts often write reports in languages other than their mother tongue, sometimes in a poor style, without paying much attention to the text. The Arabic translator must, nonetheless, pay full attention to the text, which has to be understandable and smooth and deliver the intended meaning accurately.

One of the characteristics of the United Nations in general, particularly in scientific and specialized topics, is, therefore, the distinction

4 - The international perspective

4-1- Introduction of Arabic into the United Nations

4-1-1- The distinction between language and thought

The Arabic language, a language of exalted literature and verbous polemics, was introduced into the United Nations at an apportune time. Thus,daily contact was established with the five other working languages, i.e., Chinese, English, French, Russian and Spanish. The situation in the United Nations has the following characteristics :

(a) The subjects discussed are scientific, specialized and very diverse . Thus, scientific accuracy is necessary;

(b) Since the meetings deal with current subjects, most of the concepts are novel and, therefore, new terms are necessary to express the new concepts;

(c) Extremely literal translation initially characterized the United Nations documents. This was due to the necessity of disposing with the synonymal chaos which had afflicted the language in the ages of decline and because distinctions had to be evolved gradually, taking into account that "if the subjects dealt with by the organization are varied, it is necessary for it to assign to every concept a term that indicates it accurately".(33) This applies to all working languages. Some people are of the opinion that "the use of Arabic in the General Assembly would lessen the impact of the Arabs. A statement delivered in English or French was thought to be more effective than an address in Arabic which most delegates would have to follow through interpretation".(34) This is not true, because, on the one hand, there is simultaneous interpretation also from English and French and not only from Arabic, and many delegations are not fluent in both English and French. On the other hand, there are two points : the quality of the Arabic address and the quality of simultaneous interpretation from Arabic, and these two points

the Co-ordination of Arabicization in the Arab World and strengthen the Councils (Majmaa's) of Arabic Language. Coordination is indispensable;

(c) Fascination with non-Arab cultures: This fascination is traceable to various reasons, such as the colonial heritage and social status. There is nothing wrong with it unless it is accompanied by an underestimation of Arabic language and heritage, taking into account that "la culture arabe en son ensemble est un patrimoine et ignoré, une terre perdue".(30) "Is Arabic now the language of the past? Definitely not. Arabic will become a practical language, it is already so in many areas".(31) It is time that the Arab should have a close look at his past and be proud of his language. It is desirable that he learns other languages so as to be aquainted with other civilizations and mentalities;

(d) The standard of education : It is necessary to raise the standard of education and increase its Arabization so that Arabic will become the language of daily usage and transaction. This applies in particular to university education because the phase of scientific research requires a proper scientific accurancy and discipline;

(e) Grammar and the teaching of Arabic to non-Arabs: Arabic grammar should be reclassified and its teaching facilitated and systematized. Advanced audio-visual means should be used to encourage the learning of Arabic by foreigners;(32)

(f) The terminology crisis: It is necessary to increase co-ordination and to issue a comprehensive dictionary that distinguishes accurately between the heaps of synonoyms which, as a part of the above-mentioned verbal heritage, has become a burden on the Arabic language.

(g) The Arabic press: The press can play a significant role, particularly in the classicalization of collaquial dialects or, in other words, the simplification of classical Arabic for the benefit of both the public and the intellectuals.

property. The clergy have no right to impose their guardianship over it."(27) They also include Ahmed Amin, whose opinion was that "the language is our property; we are not the property of the language". On the other hand, others were of the view that Arabic defies "the reform of its rules by removal and addition, or merely by addition, since such a change would estrange it to the language of the Quran, the Traditions of the Prophet, Arabic literature and the religious, philosophical and international Arab mentality".(28)

Those who advocate renovation (tajdid), and who are called "the enemies of Arabic"(29) by Anwar Al-Jundi, include: Lutfi Elsayyed (1913), Qasim Amin (1912), Elkhoury Maroun Ghusn (1926), Abdel-Aziz Fahmi (1944), Elzahawi (1910), Salama Mousa (1926), Sayyed Aql (1961), Anis Freha/Amin Elkhouly (1955) and Luis Awad (1947).

It is really fortunate that classical Arabic has escaped from the trap of colloquial dialects and that Arab intellectuals have come to tend to introduce classical Arabic into the latter in their daily conversation, Communications and meetings. The classical language has also penetrated the homes through radio and television. It cannot be denied that Arabic has made great progress nowadays and since the nineteenth century, but the situation is still not ideal. Following are some of the corrective measures proposed:

(a) Quality of writing: It is necessary to adopt official decisions to provide that good quality must be sought in correspondence and writing in Arab countries, on the example of some countries such as France, in order to protect the language. The execution of such decisions must be followed-up;

(b) Plurality of linguistic authorities: It is to be noted that linguistic authorities in the Arab world are numerous and incapable of coping with the situation in view of their small budgets and scarce resources. It is therefore necessary to augment the capabilities of the Permanent Office for

Some poets, such as Bashshar ibn Burd, Abu-Nawwas and Abu-Tammam, tried to break the rules of antiquity, so some critics, like Ibn-Tabatiba and Ibn-Faris, confronted them with the utmost attacks. Some Arab scholars, however, questioned the infalibility of the ancients. These scholars include Al-Jarjani(22), Al-Amidi and Ibn-Qutaiba(23) who says :

> ".... nor did I view the earlier with reverence because of his precedence or the later with dispise because of his antecedence . I have, rather, considered both parties with justice, granted each party its due and awarded it with what it deserves."

Conflict between the supporters of the old and the propogators of the new, and between the poets, was acute. That conflict was "personal and detached from technical reasons. It was prompted by factors which had nothing to do with literary tradition"(24) or was ideological and "caused much of the linguistic criticism which had reached us".(25)

> "The earlier critics, in particular, were convinced that Arabic was a language which was fully developed and had reached the utmost perfection, so that the Arabs and the Arabic speaking people have only to protect and defend it and rid it from anything foreign or new."(26)

In this way they condemn Arabic to antiquity, being incapable of renovation .

3- The Arabic language and The Arabs today

3-1- The old and the new again

In modern times, some Arab thinkers appeared who considered renovation to be in the use colloquial dialects in writing and some who rejected the old traditions. These include Taha Husein, who advocated the development of grammar and had the opinion that "the language is our

"The conventions were so rigid that the reader was allowed only a rare glimpse into the poet's feelings. Indeed, such feelings were put through a sieve of intellect, and personal experiences were transformed into arabesque-like work of artistry, if not art. In the hands of mediocre versifiers and prose writers, however, literature became mannered and completely artificial".(17)

2- Old and new: a recurring struggle

The old is what was new at some time and newness will inevitably become oldness . But whenever someone initiates something extraordinary or new he comes into conflict with those who fear for their old . Innovation is necessary for evolution, given that the new contains some improvement .

For the Arabic language, "the Arab mind is until now tied to that physical non-historical world established by the age of tadwin (codification) on the basis of the lowest level of Arab civilization in history, the civilization of the bedwins, which was adopted as an origin and thus imposed on the Arab mind a certain way of judgement based on judging the new by the views of the old."(18)

There was an invitation to rely on pre-Islamic poetry even for the interpretation of the Quran, with its sagacious verses and glorious meanings . Al-tabari says :

"If something in the Quran looks incomprehensible, then look into poetry, because poetry is Arabic."(19)

Ibn-Abbas said :

"If you ask me about mysterious words in the Quran, look for them in poetry, for poetry is the book of the Arabs."(20)

"The Arabs were occupied with the Quran. They attended to its interpretation and safeguarding. It was a basis for many language sciences of Arabic."(21)

certain framework which must not be broken-out of. When the structure of language and law was completed and there was no room for more, the structure of legislation became also complete for the legislator. The rhetorical Arab mind became a prisoner of the structure it had built around itself. There was no alternative to stagnation and immitation (taqlid)".(13)

When the age of tadwin (codification) was over and the great books were written, replication began. The "result was the appearance of types of meaningless phrases which read and sound as if they were meaningful. This was the prominent characteristic of the literature of the age of decline in Arab culture, the age which followed Al-Sakaki immediately and in which the interest of Arab culture was focused on verbal cosmetics".(14)

While Arabic grammar has an impeccable structure and is associated with logic and interacts with it, and while Arabic is rich with terms which follow a coherent and accurate system of expression of meanings, it is to be noted that the Arabs were so entangled in texts and infatuated with words that the words became almost the sole objective.

A factor which contributed to this was the fact that Arabic is a musical language, so much so that "the musical tone in the Arabic language compensates for, or hides, the poverty of the meaning and makes superfluous words seem meaningful even if they were not; for here the ear replaces the mind in accepting or rejecting".(15)

However, "rhyming, and generally preoccupation with the structuring of speech, blocks mental control not only for the listener but also for the speaker. When the speaker is engaged in decorating his speech with the available verbal cosmetics his mind comes under the influence of two types of association: that of words and that of meanings".(16)

This is exactly the situation generally afflicting Arab speeches and correspondence nowadays.

It is thus clear that at least some of those concerned with language did not overlook the importance of comprehension and exposition and the necessity of making speech ballanced and meaningful.

However, "the infatuation with words made them the focus of Arab thinking. It is really surprising that among all those wide and manifold studies and discussions abounding in books on language, religious law (Fiqh), theology and rhetoric and dealing with subjects like the origin of languages, precedence of words or meaning, determination of the system of speech and the system of the mind, etc., one does not find any interest in the relationship between language and thought, in a more general way, or any interest in the role of language in the process of thinking. The reason for this is obvious. The lack of concern with the relationship between language and thought is here due to a lack of concern with the process of thinking in itself, independent of words and language. The rhetorists, with their various inclinations and their different specializations, were not concerned with the question: How do we think? The question which occupied all their minds was: How to speak eloquently?."(10)

Therefore, "the Arab mind was formed, basically, through interaction with texts (in the interpretation of the Quran, in language and in theology)".(11)

Thus, "the formation of the rhetorical mind takes place through the memorization and study of texts. Its interest would focus mainly on the "structure of speech" and not on the structure of the mind".(12)

It is regrettable that "the rhetorical Arab mind could not progress further. Its great achievement in the field of language and religious law (fiqh) constituted not merely linguistic and legislative rules which had to be followed but also a restriction of the mind .... a creation of a framework for the mind, by which I mean the enclosure of its action mechanisms within a

"Eloquance does not appear in single words but in words combined in a certain way. In combination, each word must aquire a quality."

(Judge Abdul Jabbar)

"In the final analysis, speech pertains either to informing the listener about something or asking him to do something, i.e., information and request."

(Abu Yaaqoub Alsakaki, in Miftahul Uloum)

"Eloquance (bayan) is the knowlege of how to deliver the same meaning in various ways, by increasing or decreasing the clarity of its indication, thereby avoiding making a mistake in the conformity of speech to the desired meaning."

(Abu Yaaqoub Alsakaki, in Miftahul Uloum)

"The question revolves on eloquence (bayan) and comprehension (tabayyun), explanation (ifham) and understanding (tafahhum). The more eloquent the speech, the better, just as the more discerning the mind, the better. The one who explains and the one who comprehends share the credit, but the one who explains is better than the one who comprehends, and like-wise the teacher is better than the student."

(Al-Jahiz, in Albayan wa Altabyin)

"Eloquence requires 'discernment, prudence, discipline and training' as well as 'perfection of the tool and the craft."

(Abu Uthman Al-Jahiz)

"There is no order or discipline in speech unless its parts are related to each other and based on each other, one part being a corollary of another."

(Abdul Qahir Al-Jarjani, in Dalailul al Iajaz)

of life and entered all homes. The scientist is here an integral part of society, living with his age and for his age, affecting others and affected by them.

It can be said that non-Arabs have benefited from Arab scientists more than the Arabs themselves have. For those scientists were practicing their intellectual and scientific activities for the sake of science and knowledge as such and only exceptionally with the purpose of exploiting them for the benefit and advancement of their society, and thus had little contact with realities.

From Spain, in particular, these sciences crossed to the Western world, where they were copied, studied and utilized.

In contrast, the sciences of language, theology and logic flourished among the Arabs. Society was permeated with linguistic currents which had the ultimate aim of explaining and interpreting the Holy Quran or the promotion of a religious school. Important books were written on language and related sciences. Eminent scholars appeared, such as Ghazali, Ibn Hazm, Ibn Rushed, Ibn Tufail, Al-Farabi, etc.

Arab scholars were concerned with rhetoric, semantics and eloquence, in their various branches and forms. Religious scholars and pious people were engaged in the study of language, as well as of religion, for the same purpose. They distinguished between the various types of speech, as well as between different levels of understanding (tabayyun, fahm and talaqqi) and communication (tabyeen, ifham and tableegh). Their writings were accurate and deep. They broke-down the study of speech into two aspects, one concerning speech in itself and its subject (the letter or manzoum of speech) and the other concerning its content (manqoul), whether based on reason or on.(9)

The following quotations indicate the extent of their concern and how occurate and deep they were:

Thus Arabic retained its purity and beauty through the ages. The poverty it suffered from during the ages of decline were not caused by any defect in it but rather by inadequacy on the part of its own people and connivance on the part of those who, for various reasons, stand against it. Nevertheless, Arabic has been praised by many orientalists, like Louis Massignon, R. Blachère, etc.

> "The grammarian would be equally sure that his keen insights into the structure of Arabic grammar were of the utmost importance in preserving that literary beauty in which Arabs and non-Arabs alike took pride". (6)

Because of its connection with Islam and with the national identity, the Arabic language has played an important role in the liberation of Arab countries from colonization .

The Arab nation had eminent scientists who excelled in the various fields of knowlege and who had many merits. They added to the knowlege which was originally taken over from the Greeks. The activities of "Baitul-Hikmah" (the House of Wisdom) which was established by Al-Maamoun enriched and diversified Arab culture. But for those scientists, who conducted isolated experiments with the sole purpose of exploring the secrets of nature and arriving at valid conclusions, "...the practice of science was carried on privately and quitely, in an individual and intermittent manner."(7) Arab science, the science of Al-khawarizmi, Al-Bairuni, Ibnul-Haitham, Ibnul-Nafis, etc., remained outside the mainstream of Arab culture. It did not contribute much to the enrichment of the Arab mentality, the renovation of its patterns or the examination of its postulates. Thus, for Arab culture, time remained flat from the age of tadwean (codification) to the age of Ibn Khaldun. It stagnated and froze from the age of Ibn Khaldun to the modern Arab Nahda (renaissance) which is yet to be seen".(8)

This contrasts with the industrial and technological revolution which has been taking place in the western world and which transformed all aspects

The Arabic Language: Arab Recognition and International Prespective

1- The Legacy

The mentality of the Arabs is reflected in their language, just as the mentality of other nations is reflected in theirs. A lot has been written and said about this subject. At present, "Arabic sticks out like a sore thumb in comparative semitic linguistics because of its almost (too perfect) algebraic - looking grammar, i.e. root and pattern morphology. It is so algebraic that some scholars have accused the medieval Arab grammarians of contriving some artificiality about it in its classical form."(1)

On the other hand, Arabic language science is the " miracle" of the Arabs, just as philosophy was the "miracle" of the Greeks.(2) Arabic has spread from the Atlantic Ocean to the borders of China. It was also "the foremost international language from the eighth to the fifteenth century and its major universities were attended by students of international culture from all over the world."(3)

> "The vast majority of Arab writings are scholarly. ... There are superb, historically important translations made by medieval scholars from Greek into Arabic; historical works, both general and particular; a range of religiously inspired works; books on grammar and on stylistics, on ethics and on philosophy."(4)

The jealousy of the Arabs and the Moslems for the Arabic language, which is the language of the Quran, the traditions of the Prophet and Islamic Jurisprudence, has incited them to defend and protect it from every adulteration or defect, all the more so since, after the Islamic Empire extended far and wide and Arabs mixed with non-Arabs, the language began to be infilterated by foreign influences threatening to undermine its structure.

The Arabic Language : Arab recongnition and international prespective

by : Mohammed Didaoui
(UNIDO)

Translated from arabic
by : Fouad Elagabany

It is graceful to remember with gratitude the glorious works of Arab scholars and their undeniable services to modern civilization; indeed, they had scored a great success in several fields of knowledge.

It is even wonderful when an Arab turns his eyes to his own language and, through it, finds that the Arab nation is the only nation in the world, amongst which a linguistic miracle had been revealed, consisting of a masterly structured, creatively eloquent, solidly founded and sustainable discourse, namely the Holy Quran; a manifestation, of the greatness of the language itself and of its aptitude to such extraordinary apparitioins.

But what about the Arabs themselves? Did they take advantage of their heritage in the course of time? Are the Arabs of today still sustaining their language? Does the promotion of their language stand up to it in the most appropriate manner?

The introduction of the Arabic language into the United Nations in 1973, was indeed a significant event. What benefits does the Arabic language gain from such a status?

(*) The opinions expressed in this paper are purely personal.

٦١ – من أسرار اللغة – للدكتور إبراهيم أنيس – الطبعة الخامسة – نشر مكتبة الأنجلو المصريّة – القاهرة ١٩٧٥

٦٢ – المنجد في اللغة والأعلام – الطبعة الثانية والعشرون – نشر دار المشرق – بيروت ١٩٨٦

٦٣ – النحو العربيّ : نقد وبناء – للدكتور إبراهيم السامرّائيّ – نشر دار الصادق – بيروت ١٩٦٨

٦٤ – نحو عربيّة ميسّرة – للدكتور أنيس فريحة – نشر دار الثقافة – بيروت ١٩٥٥

٦٥ – النحو الواضح – لعلي الجارم ، وأحمد أمين – ٦ أجزاء – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٥٣ – ١٩٧٥

٦٦ – النحو الوافي – لعبّاس حسن – أربعة أجزاء – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٧٥

٦٧ – نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – للشيخ محمّد الطنطاويّ – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٧٣

٥٠ – اللغة العربيّة في إطارها الاجتماعيّ – لمصطفى لطفي – نشر معهد الإنماء العربيّ – بيروت ١٩٧٦

٥١ – اللغة العربيّة : معناها ومبناها – للدكتور تمّام حسّان – نشر الهيئة المصريّة العامّة للكتاب – القاهرة ١٩٧٣

٥٢ – محيط المحيط : قاموس مطوّل للغة العربيّة – للمعلّم بطرس البستانيّ – نشر مكتبة لبنان – بيروت ١٩٧٧

٥٣ – المدارس النحويّة – للدكتور شوقي ضيف – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٦٨

٥٤ – مستويات العربيّة المعاصرة – للدكتور السعيد محمّد بدوي – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٧٣

٥٥ – مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة – للدكتور ناصر الدين الأسد – الطبعة الخامسة – نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٧٨

٥٦ – معجم الأدباء – لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ – ٢٠ جزءا – دار المشرق – بيروت (بدون تاريخ)

٥٧ – معجم قواعد اللغة العربيّة في جداول ولوحات – للعقيد الركن أنطوان الدحداح – نشر مكتبة لبنان – بيروت ١٩٨٧

٥٨ – المعجم الوسيط – لإبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيّات ، وحامد عبد القادر ، ومحمّد النجّار – جزءان – نشر مجمع اللغة العربيّة – القاهرة (بدون تاريخ)

٥٩ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – لجمال الدين ابن هشام الأنصاريّ – تحقيق الدكتور مازن المبارك ، ومحمّد علي حمد الله ، وسعيد الأفغانيّ – الطبعة الثالثة – نشر دار الفكر – بيروت ١٩٧٢

٦٠ – المفصّل في علم العربيّة – للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ – الطبعة الثانية – نشر دار الجيل – بيروت (بدون تاريخ)

٣٩- العربيّة : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - ليوهان فك - ترجمة
الدكتور رمضان عبد التوّاب - نشر مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٠
٤٠- فصول في فقه العربيّة - للدكتور رمضان عبد التوّاب - نشر دار المسلم
للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٩
٤١- فقه اللغة - للدكتور علي عبد الواحد وافي - الطبعة السابعة - نشر دار
نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٢
٤٢- فقه اللغة وخصائص العربيّة - لمحمّد مبارك - نشر دار الفكر - بيروت ١٩٧٥
٤٣- في أصول اللغة والنحو - للدكتور فؤاد حنّا ترزي - نشر مكتبة لبنان -
بيروت ١٩٦٩
٤٤- في أصول النحو - لسعيد الأفغانيّ - الطبعة الثالثة - نشر دار الفكر -
دمشق ١٩٦٤
٤٥- في اللغة العربيّة وبعض مشكلاتها - لأنيس فريحة - نشر دار النهار للنشر -
بيروت ١٩٥٨
٤٦- في اللغة ودراستها - للدكتور محمّد عيد - نشر عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٤
٤٧- في اللهجات العربيّة - للدكتور إبراهيم أنيس - الطبعة الخامسة - نشر
مكتبة الأنجلو المصريّة - القاهرة ١٩٧٣
٤٨- الكتاب : كتاب سيبويه - لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق عبد
السلام هارون
الجزء الأوّل - نشر دار القلم - القاهرة ١٩٦٦
الجزء الثاني - نشر دار الكاتب العربيّ للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٨
٤٩- اللغة بين القوميّة والعالميّة - للدكتور إبراهيم أنيس - نشر دار
المعارف - القاهرة (بدون تاريخ)

٢٨- أصول النحو العربيّ في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث - للدكتور محمّدعيد - نشر عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٣

٢٩- الإيضاح في علل النحو - لأبي القاسم الزجاجيّ - تحقيق الدكتور مازن المبارك - نشر دار النفائس - بيروت ١٩٧٣

٣٠- تجديد النحو العربيّ - للدكتور عفيف دمشقيّة - نشر معهد الإنماء العربيّ - بيروت ١٩٧٦

٣١- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - للطاهر أحمد الزاوي - أربعة أجزاء - نشر الدار العربيّة للكتاب - بيروت ١٩٨٠

٣٢- تعليم اللغة العربيّة لغير العرب - للدكتور أحمد شلبي - نشر مكتبة النهضة المصريّة - القاهرة ١٩٨٠

٣٣- الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جنّي - تحقيق محمد علي النجّار - ثلاثة أجزاء - الطبعة الثانية - نشر دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت (بدون تاريخ)

٣٤- دراسات في فقه اللغة - للدكتور صبحي الصالح - الطبعة السابعة - نشر دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٨

٣٥- ديوان إبراهيم : أعمال شاعر فلسطين إبراهيم طوقان - للدكتور إحسان عباس - نشر دار القدس - بيروت ١٩٧٥

٣٦- شرح ابن عقيل - لبهاء الدين عبد الله بن عقيل - جزءان - نشر دار الفكر - القاهرة ١٩٧٤

٣٧- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية - لعبد الحميد الراضي - الطبعة الثانية - نشر مؤسّسة الرسالة - بغداد ١٩٧٥

٣٨- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربيّة - للدكتور أحمد أحمد بدوي - نشر مكتبة مصر - القاهرة (بدون تاريخ)

9. Eco, U. *A Theory of Semiotics*. London: Fontana/Collins, 1976.

10. Ferguson, Charles A. "Diglossia," *Word*, 15 (1959), 325 - 340.

11. _____. "The Arabic Koine," *Language* 35 (1959), 75 - 82.

12. Fodor, J.D. *Semantics: Theories of Meaning in Generative Linguistics*. New York: Crowell & Hassocks, Sussex: Harvester, 1977.

13. Giglioli, P. P. (ed.). *Language and Social Context*. Harmondsworth: Penguin, 1972.

14. Haywood, J. A., and Nahmad, H. M. *A New Arabic Grammar of the Written Language*. London: Lund Humphries, 1982.

15. Hudson, R. A. *Arguments for a Non-Transformational Grammar*. Chicago: University of Chicago Press, 1976.

16. Kempon, R. M. *Semantic Theory*. London & New York: Cambridge University Press, 1977.

17. Leech, G. N. *Semantics*. Harmondsworth: Penguin, 1971.

18. Lyons, J. *Language, Meaning and Context*. London: Fontana/Collins, 1981.

19. _____. *Semantics*. 2 vols. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

20. ______. *Language and Linguistics: An Introduction*. Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

21. Nilsen, D. L. F., and Nilsen, A. P. *Semantic Theory: A Linguistic Perspective*. Rowley, Mass.: Newbury House, 1975.

22. Palmer, F. R. *Semantics: A New Outline*. Cambridge: Cambridge University Press, 1976.

23. Pei, Mario A., and Gaynor, Frank. *Dictionary of Linguistics*. London: Peter Owen, Ltd., n.d.

24. Wehr, Hans. *A Dictionary of Modern Written Arabic*. 4th ed. Edited by J. Milton Cowan. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1979.

25. Wise, Hilary. *A Transformational Grammar of Spoken Egyptian Arabic*. Oxford: Basil Blackwell, 1975.

26. Wright, W. (ed.). *A Grammar of the Arabic Language*. 2 vols. Cambridge: The University Press, 1967.

27. Zabech, F., Klemke, E. D., and Jacobson, A. (eds.). *Readings in Semantics*. Urbana, Ill. & London: University of Illinois Press, 1974.

Chapter X

1. See item 15 in Chapter II; also see Chapter III.
2. See the note at the end of Chapter X.

Chapter XI

1. See, for example, B65 and B66.
2. See pp. 198 - 211.
3. See B61, pp. 212-274.
4. See B39, pp. 8 - 10; also see B1, pp. 240 - 241.
5. See B11.
6. See B61, p. 267.
7. See B26, Vol. II, pp. 358 - 368.
8. See B61, pp. 251, 252.
9. See B61, p. 198.
10. See B61, p. 199.
11. See B61, p. 210.

BIBLIOGRAPHY

ENGLISH

1. Arberry, A. J. *The Seven Odes*. London: George Allen & Unwin, Ltd., n.d.

2. Bach, E. *Syntactic Theory*. New York: Holt, Rinehart & Winston, 1974.

3. Bell, R. T. *Sociolinguistics: Goals, Approaches and Problems*. London: Batsford, 1976.

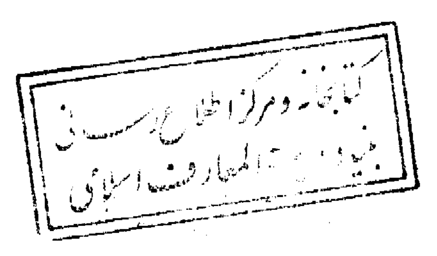
4. Chomsky, N. *Cartesian Linguistics*. New York: Harper & Row, 1966.

5. _____. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, Mass.: MIT Press, 1966.

6. _____. *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton, 1957.

7. _____. *Reflections on Language*. London: Temple Smith, 1976.

8. Dillon, G. *An Introduction to Contemporary Linguistic Semantics*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice Hall, 1977.



Chapter V

1. See B26, Vol. II, pp. 129 - 178.
2. See Appendix I.
3. See B26, Vol. II, pp. 198 - 200.

Chapter VI

1. See B26, Vol. II, pp. 45 - 53.
2. See B26, Vol. II, pp. 30, 31.
3. See B26, Vol. II, p. 33.
4. See B26, Vol. II, pp. 72 - 76.
5. Nominal expressions with identical function may differ in regard to temporal denotation; this is true of the italicized expressions in the following sentences:

'axbarani T-Tabiibu bi-*kawnihaa mariiDatan*.	'The doctor told me that she was sick.'
'axbarani T-Tabiibu bi-*maraDihaa*.	'The doctor told me of her sickness.'
'axbarani T-Tabiibu bi-*'annahaa mariiDatun*.	'The doctor told me she is sick.'

In the first sentence, the italicized expression denotes state but not current aspect; in the second sentence, the italicized expression denotes neither state nor current aspect; in the third sentence, the italicized expression denotes state as well as current aspect (thus transferring the listener to the moment when the doctor made his statement, or attributing to a past event the speaker's knowledge of a present fact).

Chapter VII

1. See B52.

Chapter IX

1. The expressions *ruwaydan* 'Take it easy!' and *ruwayda zaydin* 'Treat Zaid gently!' are structurally comparable to *wuquufan* 'Stand up!' and *ra9yan li-zaydin* 'May God protect Zaid!': here *ruwayda* is a *declinable* verbal noun, and for this reason it cannot be included in the class of *indeclinable* forms which Arab grammarians call *'asmaa'u l-'af9aali*. See B26, Vol. II, p. 78; also see B65, Vol. I, pp. 49, 78.

And lo! despite it all, a jackass
Places the second member of the construct phrase,
as well as the direct object of the verb,
in the nominative case.

Be not surprised if I should, one day, let out a cry
And fall dead among the desks.

O you who wish to commit suicide, I have found the means:
Decidedly, a teacher cannot live long!

FOOTNOTES

Chapter I

1. For the definition of *'i9raab*, see item 2 of Chapter II.
2. See B28, pp. 131 - 262.
3. See B30, p. 161.
4. See B6, pp. 49 - 60.
5. See B28, pp. 152, 153, 156.
6. See B60.

Chapter II

1. See B26, Vol. I, pp. 104, 105; also see B57, pp 70 - 110.
2. See B26, Vol. II, pp. 111, 112, 178-192.
3. See B66, Vol. I, pp. 76 - 79, 300 - 302, 313 - 315; B57, pp. 64 - 66; and B26, Vol. I, pp. 54-57, 100, 101, 252, 253, 264 - 278.
4. See B66, Vol. II, p. 272; also see B24.
5. See B19, Vol. II, p. 643.
6. See B23.
7. See B19, Vol. II, pp. 725 - 731, 749, 750.
8. See B19, Vol. II, pp. 808, 809.

Chapter IV

1. See B26, Vol. II, pp. 4, 23; also see the definition of *qad* in B31.
2. See B19, Vol. II, pp. 690, 719, 809 - 823.
3. See B19, Vol. II, pp. 745, 746.
4. See B26, Vol. II, pp. 345 - 347.
5. See B19, Vol. II, pp. 816-819.

APPENDIX II

A TEACHER'S VIEW OF *'i9raab*

The following poem was composed by 'ibraahiim Tuuqaan (1904 - 1941 A.D.). At the time he wrote the poem in 1933, Tuuqaan was teaching the Arabic language at ar-ras^{h}iidiyya(t) School in Jerusalem. Reference is made in the first and the third lines to the famous poet 'aHmad s^{h}awqii (1868 - 1932 A.D.) who was known throughout the Arab World as the "Prince of Poets". In the eleventh line, reference is made to siibawayhi (c. 140 - 180 A.H.), the father of Arabic grammar.

Says s^{h}awqii (and little did he know what cross I bear):
        "Rise to your feet to show respect for teachers!"

Sit down for Heaven's sake! Can one be revered
        Who is the bosom friend of the young generation?

The Prince almost drives me mad when he says:
        "A teacher almost ranks with the prophets!"

Had s^{h}awqii experienced teaching [even] for one hour,
        He would have spent his life as an idle vagabond.

Sufficient for a teacher are the misery and the depression
        Of seeing notebooks early in the morning and late in the afternoon--

Hundreds of them! Were they all to be corrected,
        Blindness would find its way to the [teacher's] eyes!

And were correcting them to serve any useful purpose,
        I swear I would have not spared my eyes!

But [the fact is that] I correct a grammatical mistake,
        For example, citing the Quran as an authority,

Quoting as proof the gems of its verses,
        Or [quoting] the Hadith in minute detail;

I delve into ancient poetry, selecting
        Whatever is not ambiguous and not vulgar;

I almost resurrect from the dead siibawayhi
        And his colleagues who lived during the early centuries [of Islam];

The Cardinal Numerals 13-19

	Numeral	*Counted Noun*
Ref. Num.	Plural	Singular
*Gender**	M	F
	F	M
Case	N. A.	Applicable

The Cardinal Tens above 19, Hundreds, Thousands, Millions, Billions, and Trillions

	Numeral	*Counted Noun*
Ref. Num.	Plural	Singular
Gender	Fixed	Variable
Case	Variable	Fixed

The Cardinal Numeral 11

	Numeral	*Counted Noun*
Ref. Num.	Plural	Singular
Gender	M F	M F
Case	N. A.	Applicable

The Cardinal Numeral 12

	Numeral	*Counted Noun*
Ref. Num.	Plural	Singular
Gender	M F	M F
*Case**	Variable	Fixed

APPENDIX I

CONTRASTS BETWEEN

CARDINAL NUMERAL AND COUNTED NOUN

In the following tables, an asterisk indicates that the contrasts are displayed by the unit and the counted noun. The abbreviation *Ref. Num.* stands for "referential number" and pertains to meaning rather than form. The abbreviation *N. A.* stands for "not applicable".

The Cardinal Numerals 3-10

	Numeral	*Counted Noun*
Ref. Num.	Plural	Plural
Gender	M	F
	F	M
Case	Variable	Fixed

2. As proposed by 'aniis, the theory of anaptyxis provides no explanation for nunation.

3. As 'aniis himself admits,[8] the ancient Arab grammarians identified certain positions where anaptyctic vowels occur; in addition, they provided accurate rules which determine the anaptycic vowel for each environment. One must therefore conclude that they drew a distinction between anaptyxis and *'i9raab* on the basis of obvious linguistic facts.

4. According to 'aniis, pairs such as *mudarrisuuna: mudarrisiina* did not co-occur in the same dialect; he makes the same claim for pairs like *rajulaani: rajulayni*. The ancient Arab grammarians, on the other hand, claimed that such pairs *did* co-occur in the same dialect, and the Quran confirms their claim. Did the ancient Arab grammarians dare to change even the Quran?

What could have driven 'aniis, a linguist of impeccable credentials, to a theory beset with so many pitfalls? Perhaps a clue is provided by the following passages:

> "The second century after the Hegira had hardly ended when *'i9raab* became a mighty fortress, too strong even for the prowess of masterful writers, public speakers, and poets of the Arabic language."[9]

> "[The rules of *'i9raab*] eventually became extremely complicated, to the extent that a life span is not sufficient to learn or completely master those rules."[10]

> "Today, many among us are frustrated by this matter of *'i9raab*: having encountered great difficulty in grasping its cause and motivation, they rebel against *'i9raab* and advocate its overthrow."[11]

Difficulty such as 'aniis describes in the above statements is not typical of human languages. While 'aniis concludes that *'i9raab* is a fabrication, the present writer concludes that the ancient Arab grammarians produced a defective analysis of an authentic linguistic phenomenon. This study is offered as an attempt to remedy the defects.

One need only reflect on the linguistic situation in pre-Islamic Arabia to realize that 'aniis is far from convincing when he argues that *'i9raab* originated with the ancient Arab grammarians. Prior to Islam, the Arabian Peninsula witnessed a diglossic situation where Standard Arabic was used mainly for poetry while the colloquial dialects were used for common, everyday purposes.[4] Arabic meters favor free word order; it is possible, therefore, that *'i9raab* developed as a necessary device to provide non-syntactic markers for grammatical functions. Since Standard Arabic was a native language neither before nor after the appearance of Islam, it is hardly surprising that transfer from the colloquial dialects produced certain mistakes in the rendition of some Quranic utterances, that even the educated Arabs of early Islam violated the rules of *'i9raab*, and that the contemporary Arabic dialects (which probably descended from the colloquial dialects of Pre-Islamic Arabia[5]) are devoid of *'i9raab*.

In Semitic languages which were used for common, everyday purposes as well as poetry, the need for free word order was overpowered by the tendency to simplify the system; thus no morphological device like *'i9raab* developed in those languages to mark grammatical function.

The statement that omitting *'i9raab* causes no ambiguity is more true of prose than it is of poetry; such a statement is irrelevant to the present discussion if it is poetry that gave rise to *'i9raab*.

Finally, the statement that certain mistakes were committed in describing *'i9raab* may be viewed as a reflection on the ancient Arab grammarians, on the linguistic science of their time, or on both; it cannot prove, however, that the linguistic corpus was devoid of *'i9raab*.

To suggest that anaptyxis was mistaken for *'i9raab* raises some rather serious problems:

1. As proposed by 'aniis, the theory of anaptyxis would render unmetrical many lines of pre-Islamic poetry which are perfectly metrical in the context of *'i9raab*. To escape this dilemma, 'aniis faults the rules which al-xaliilu bnu 'aHmada l-faraahiidiyyu (c. 101-175 A.H.) formulated for Arabic prosody: in violation of those rules, 'aniis considers the string U- - - - - U-U U-U- a variant of U- - U- - - U- - U- - -,[6] thus claiming that a hemistich-medial foot can undergo a deletion transformation. The rules formulated by al-xaliil depict a system which painstakingly safeguards the distinct identity of each meter;[7] on the other hand, the hemistich-medial deletion 'aniis wishes to admit can change one meter to another (for example, U- - U- - - U- - U- - - → U- - U- - U- -). Modern Linguistics science has emphasized the role of contrast to the extent that no elaborate discussion of that role is necessary at this point; but to state this fact is to assert that al-xaliil is probably right, 'aniis is probably wrong, and *'i9raab* is probably an authentic phenomenon.

In the same book,[3] 'aniis states his conviction that *'i9raab* represents a misinterpretation committed by the Arab grammarians during the first two centuries of Islam and passed on to subsequent generations. Five arguments are offered in support of his position:

1. Certain reciters of early Islamic times rendered many utterances of the Quran without *'i9raab*.

2. The contemporary colloquial dialects of Arabic are devoid of *'i9raab*; the same is true of Semitic languages other than Arabic.

3. Even the educated Arabs of early Islamic times violated the rules of *'i9raab*. A native speaker's intuition tends to preclude such violation.

4. Omitting *'i9raab* from an utterance causes no ambiguity.

5. As formulated by the ancient Arab grammarians, the rules of *'i9raab* display no small measure of contradiction and confusion.

According to 'aniis, anaptyxis was employed by Standard Arabic in pre-Islamic times to avoid the occurrence of non-lingual clusters (i.e., clusters consisting of more than two consonants) across word boundaries. In this context, anaptyxis is defined as appending a short vowel to the first of two words whose juxtaposition would otherwise produce a non-lingual cluster. The anaptyctic vowel, 'aniis asserts, was determined by articulatory convenience:

1. To facilitate vowel harmony, the sequence *qaalat* + *xruj* yielded *qaalatu xruj* while the sequence *qaalat* + *Drib* yielded *qaalati Drib*.

2. Pharyngeal and pharyngealized (emphatic) consonants tended to select the vowel /a/; other consonants tended to select the "homorganic" short vowel (*hum* + *l-mu9allimuuna* ⟶ *humu l-mu9allimuuna*).

With this in mind, 'aniis assumes that the ancient Arab grammarians mistook anaptyxis for *'i9raab*, and that once the rules of *'i9raab* were formulated all exceptions to those rules were regularized.

How does 'aniis explain contrasts which oppose /uu/ to /ii/ and /aa/ to /ay/ (e.g., *mudarrisuuna: mudarrisiina* and *rajulaani: rajulayni*)? He claims that one member of the pair was used by certain tribes while the other member was used by the rest of the tribes; he further claims that, failing to discern this fact or anxious to uphold at all costs the rules which they formulated for *'i9raab*, the ancient Arab grammarians assigned one member to the nominative case and the other member to the oblique case.

When it occurs as part of a name, *almunaada lmuDaafu* is nevertheless marked by *naSb*; this probably results from analogy with construct structures not used as names.

To summarize, certain vocative structures appear, at first glance, to violate the rules of *'i9raab*; a closer examination reveals conformity rather than anomaly: typically lacking the feature [+ Exclamatory], they are not subject to *naSb*.

Note: Elevation concerns the so-called *annakiratu l-maqSuudatu*: in *ma smuka yaa 'ustaadhu?* 'What is your name, professor?', *ijlis yaa ghulaamu* 'Sit down, lad!', *idhhab yaa rajulu* 'Go, man!', etc., the forms after *yaa* assume the status of titles; they are "elevated" from the role of common nouns to the role of proper nouns.

CHAPTER XI

CONCLUSION

The theory of *'i9raab* being taught to students of Standard Arabic all over the Middle East is that which was formulated by the ancient Arab grammarians.[1] Contemporary Arabs find the study of *'i9raab* a nightmarish endeavor: even the specialists among them violate the rules of *'i9raab* with dismaying frequency whenever they speak, read, or write Standard Arabic. Grammatical rules are no more than a statement of the native's linguistic competence. A theory of *'i9raab* which even the determined contemporary Arab fails to master cannot be a valid representation of the ancient Arab's intuition; this study proposes the rules of Chapter III as a substitute.

In the twentieth century, a number of Arabists have advanced the claim that no inflectional markers were used to designate grammatical function in pre-Islamic times. Perhaps the most eloquent proponent of this claim is 'ibraahiim 'aniis.

In his book *min 'asraari l-lughati*[2] 'aniis shows that, during Islamic times, *'i9raab* became the most important characteristic of Standard Arabic. Mastering the rules of *'i9raab* was considered a supreme skill worthy of the utmost veneration, and deviation from those rules characterized speech as "vulgar;" indeed, educated Arabs viewed *'i9raab* as a sacred feature of the language, and equated the violation of its rules with sin. Little wonder, then, that the grammarians of the time enjoyed a high degree of respect and wielded a great deal of influence within the literary community.

In this light, it is hardly surprising that with some cardinals the counted noun rejects *jarr*: what appears at first glance to constitute arbitrary inconsistency proves to be a means of differentiating two sets of numerals. Seeing that *jarr* is disfavored in this context, *naSb* is the only form of *'i9raab* available to counted nouns which follow the cardinals 11-99 and the cardinal tens above 19.[1]

(c) *jarr* is rejected after the interrogative numerical pronoun *kam* to differentiate pairs like the following:

kam nabiyyan qataluu? 'How many prophets did they kill?'

kam nabiyyin qataluu. 'Many a prophet they killed.'

It is hardly surprising to find *jarr* in the second sentence since the underlying string (*kam + min + nabiyy + qataluu*) contains a preposition.

4. The general rules are not without force even in the context of exceptions: for example, the first noun rejects *naSb* in *maa jaa'a 'illaa Hasanun 'illaa samiiran* 'None came except for Hasan and Samir', but the second does not.

In the context of exceptions, vocation warrants a few comments. In sentences such as *yaa muHammadu* 'O Mohammad!', *yaa haad^{h}a rrajulu* 'You over there! (addressing a man)', *'ayyuha rrajulu* 'O man!', and *yaa rajulu* 'O man!', *naSb* is rejected to differentiate two types of *almunaadaa*: the simple, and the exclamatory; only the latter is marked by *naSb*.

Most commonly, the vocative particle is followed by a name, a demonstrative pronoun, or a title. These three structures are viewed as the "natural" way to identify the person or thing addressed and, therefore, the framework for simple vocation; in contrast, other structures are viewed as the framework for exclamatory vocation. To be sure, the first set of structures may occur with exclamatory denotation, but such occurrence represents the exception rather than the rule.

The names and the demonstrative pronouns are defined by selection, while the titles are defined by elevation.[2] The demonstrative pronouns involved are *haad^{h}aa* (with various forms to denote number and gender) and *-haa*: the former may be preceded by *yaa* (in which case it is optionally followed by an appositive) or *'ayyu-* (in which case it is obligatorily followed by an appositive); the latter is preceded by *'ayyu-* (and obligatorily followed by an appositive). Here are some examples: *yaa muHammadu* 'O Mohammad!', *yaa haad^{h}aa* 'You over there! (addressing a male)', *yaa haad^{h}a rrajulu* 'You over there! (addressing a man)', *'ayyuhaad^{h}a rrajulu* 'You over there! (addressing a man)', *'ayyuha rrajulu* 'O man!', *yaa rajulu* 'O man!'.

The structures denoting exclamatory vocation are *annakiratu g^{h}ayru lmaqSuudati* (e.g., *yaa g^{h}aafilan wa-lmawtu yaTlubuhu* 'O thou that art heedless, whilst Death is seeking thee!' said by a preacher), *almuDaaf* (e.g., *yaa 'aSdiqaa'anaa* 'Our friends!'), and *as^{h}-s^{h}abiihu bi-lmuDaafi* (e.g., *yaa muHibban lil-9ilmi* 'You who love knowledge!').

Numerals other than 1 and 2 are divisible into two sets: those which frequently occur as the first term of a construct phrase, and those which rarely enter into construct with a following form. The first set comprises the numerals 3 - 10, hundred, thousand, million, billion, and trillion; the second set comprises the numerals 11 - 19 and the tens above 19. The dichotomy stems from two rules which transcend the numeral system and pervade Standard Arabic as a whole: the first term of a construct is typically a simple word (as opposed to a compound word or a phrase), and a nunated form does not function as the first term of a construct.

Of the following examples, group (a) and group (b) are common while group (c) is relatively rare; group (c) is usually avoided in favor of group (d).

(a)	xamsatu kutubin	'five books'
	'alfu rajulin	'a thousand men'
	milyuunu diinaarin	'a million dinars'
	bilyuunu junayhin miSriyyin	'a billion Egyptian pounds'
	tirilyuunu duulaarin	'a trillion dollars'
(b)	kaana xaamisahum.	'He was the fifth of them.'
	kaana saabi9a ramaDaana.	'It was the seventh of Ramadan.'
	huwa xaamisu xamsatin.	'He is the fifth of five.'
(c)	xamsata 9as^{h}ara samiirin	'Samir's fifteen'
	kaana xaamisa 9as^{h}arahum.	'He was the fifteenth of them.'
	huwa xaamisa 9as^{h}ara	'He is the fifteenth
	xamsata 9as^{h}ara.	of fifteen.'
(d)	al-xamsata 9as^{h}ara llatii	'The fifteen which belong
	li-samiirin	to samiir'
	kaana l-xaamisa 9as^{h}ara	'He was the fifteenth
	minhum.	of them.'
	huwa l-xaamisa 9as^{h}ara	'He is the fifteenth
	min xamsata 9as^{h}ara.	of fifteen.'

In regard to form, the tens above 19 are similar to the sound masculine plural. Resembling nunation, the final *-na* of those numerals does not occur in the middle of a construct phrase; yet, viewed as part of the stem, the same termination resists deletion (construct phrases such as *xamsuuhum* 'their fifty' are rare).

CHAPTER X

EXCEPTIONS

The rules presented in this study are not without exception; for example:

(a) *maa jaa'a 'illaa samiirun* 'None came except for Samir' is used rather than **maa jaa'a 'illaa samiiran.*

(b) *xamsata 9as^{h}ara kitaaban* 'fifteen books' is used rather than **xamsata 9as^{h}ara kitaabin.*

9is^{h}ruuna rajulan 'twenty men' is used rather than **9is^{h}ruuna rajulin.*

(c) *kam rajulan?* 'how many men?' is used rather than **kam rajulin?*

However, the following points must be noted:

1. The exceptions generated by the present study are fewer than those generated by other studies. The genitive is a case in point. Ancient Arab grammarians state that the second member of a construct phrase is governed by an implied preposition in some instances and by the first member of the phrase in other instances. If the first kind of government is considered the rule, the second must be considered anomalous, and a sizable set of forms must therefore be relegated to the heap of arbitrary exceptions; the present study, on the other hand, classifies those forms (together with prepositions) as noun determiners.

2. The exceptions are insignificant compared to the overwhelming regularity which characterizes the system.

3. The present study utilizes the principles of modern linguistics. In the light of those principles, it is usually easy to account for the anomalous nature of the exceptions; for example:

(a) *naSb* is rejected in *maa jaa'a 'illaa samiirun* because the noun occupies a slot which is normally occupied by the agent.

(b) After the cardinals of 11-19 and those of the tens above 19, counted nouns reject *jarr* to facilitate differentiation.

Coordinating, appositive, and attributive constructions constitute the "endo-centric" constructions of Standard Arabic; thus the foregoing statements can be reduced to a simple rule: Provided they are declinable (*mu9rab*), the immediate constituents of an endocentric construction are typically identical in regard to the state of *'i9raab*.

4. The following examples illustrate the effect of Rule 3 on minor sentences which employ certain indeclinable forms (the so-called *'asmaa'u l-'af9aali*); notice that the italicized expressions are deletable.

(a)	'aamiina.	'Amen!'
	'ilayya.	'Come to me!'
	s^hattaana *Sanii9ukum wa-Sanii9ii*.	'How different your deed and mine are!'
	hayhaati *maTlabuka*.	'How impossible your quest is!'
(b)	*haaka* mat^{h}alan.	'Here's an example!'
	9alayka fariidan.	'Seize Farid!'

In set (a), the conditions for the application of Rule 3 are not met; consequently, *naSb* is not employed. In set (b), *naSb* is displayed by the second word in accordance with the stipulations of Rule 3.

The *indeclinable* form *ruwayda* belongs to the second set;[1] thus in the following example, Rule 3 places the second word in the accusative:

ruwayda zaydan. 'Treat Zaid gently!'

The governed form can be pinpointed further in regard to position within the second component; this task, however, has been accomplished with satisfactory precision by traditional grammar, and refinement (though desirable) is beyond the scope of this study.

Rule 1: Function of Each Component

Throughout the present study, we have used diagrams to represent specification; in those diagrams, the first component *usually* functions as the specifier and the second *usually* functions as the head.

Rule 2: Component Where the Governed Form Is Located

The governed form belongs to the second component.

Rule 3: Determining The Governed Form

Given an expression which fills the role of second component, the governed form is a *mu9rab* which (a) constitutes the entire expression or (b) functions as the first nuclear, non-deletable constituent of the expression.

Notes:

1. Strictly speaking, a transitive verb has one specifier, a di-transitive verb has two, and a tri-transitive verb has three; thus Rule 3 applies to each of the objects. Again, a conditional sentence has two heads, and for this reason Rule 3 applies to the protasis as well as the apodosis.

2. Repetition of a governed form in *istig^{h}aat^{h}a(t), taHd^{h}iir,* and *'ig^{h}raa'* ('call for help', 'warning', and 'urging' respectively) constitutes a second domain of the required *'i9raab*; e.g., *an-najdata n-najdata* 'Help! Help!', *al-kalba l-kalba* 'Beware of the dog!', *aS-Sabra S-Sabra* 'Patience! Patience!'

3. A *mu9rab* conjoined to the governed form constitutes a second domain of the required *'i9raab*; the same is true of a nomen which stands in apposition to the governed form and of a nomen which modifies the governed form. It must be remembered that, typically, such conjoining, apposition, and modification result from combining two sentences. For example, *qaabaltu Taaliban wa-'ustaad^{h}an* 'I met a student and a teacher' is derived from two sentences whose objects denote different referents: *qaabaltu Taaliban* 'I met a student', and *qaabaltu 'ustaad^{h}an* 'I met a teacher'; *'aHtarimu 'axii nabiilan* 'I respect my brother Nabil' is derived from two sentences with a reversible order and co-referential objects: *'aHtarimu 'axii* 'I respect my brother' and *'aHtarimu nabiilan* 'I respect Nabil'; *'a9rifu r-rajula T-Tawiila* 'I know the tall man' can be derived from two sentences with a fixed order and co-referential objects: *'a9rifu r-rajula* 'I know the man', and *'a9rifu T-Tawiila* 'I know the tall one'.

3.	sayatazawwaju 'ajnabiyyatan.	'He will marry a foreign woman.'
	sayafqidu waD^{h}iifatahu fi ssifaarati.	'He will lose his job at the embassy.'
	'in yatazawwaj 'ajnabiyyatan yafqid waD^{h}iifatahu fi ssifaarati.	'If he marries a foreign woman, he will lose his job at the embassy.'

The first sentence expresses a fact; the same is true of the second sentence. The third sentence, however, expresses a dependency which restricts the probability of occurrence.

4.	raja9a saamii.	'Sami returned.'
	'akala saamii.	'Sami ate.'
	'akala saamii laHman.	'Sami ate meat.'

In each of the above sentences, the first form is a verb. Subclassification is facilitated by noting the obligatory absence, potential occurrence, or actual presence of a direct object.

An interesting contrast emerges from comparing the second and the third sentences: the former implies that something was eaten by Sami, but it does not exclude any type of food; the latter, on the other hand, excludes all but one type of food. Thus the occurrence of an object in the third sentence restricts the verb.

Furthermore, it has been shown that the number and the types of objects frequently determine the general meaning of verbs.

CHAPTER IX

THE DOMAIN OF *'i9raab*

In Chapter II, it was stated that specification is defined by two components: the specifier, and the head. In Chapter III, it was stated that specification is a governing set of functions requiring *'i9raab*. The word which displays the required *'i9raab* is viewed as the "governed" item.

The following rules identify the governed item.

Although a discrete form, the affirmative *la-* (*laamu l-ibtidaa'i*) does not govern *'i9raab* since it embodies no nuclear features. Unlike *'inna*, the affirmative *la-* is not diagnostic of one particular head: it can qualify the subject, the predicate, or the entire sentence.[1]

Lack of a specifier and lack of nuclear features cannot be properly viewed as dissociative factors: by definition, no specification exists in the absence of a specifier which embodies at least one nuclear feature. Thus avoiding excessive redundancy emerges as the only motivation for dissociating *'i9raab* from specification.

CHAPTER VIII

THE MEANING OF "SPECIFICATION"

In this study, "specified" is opposed to "general"; it may be equated with "restricted", "limited", "determined", or "specialized". Consider the following:

1. raja9a samiirun. — 'Samir returned.'
   raja9a samiirun g^{h}aaDiban. — 'Samir returned angry.'

In the first sentence, the predicative construction is general in the sense that *Manner* is not specified; in the second sentence, however, a specific manner is stipulated, thus restricting the predicative construction.

2. muHammadun 'ustaad^{h}un. — 'Mohammad is a professor.'
   kaana muHammadun 'ustaad^{h}an. — 'Mohammad was a professor.'
   Saara muHammadun 'ustaad^{h}an. — 'Mohammad became a professor.'

The first sentence states an equational proposition which holds true for the present; there is no indication, however, that the proposition was untrue in the past, nor is there any indication that the proposition will be untrue in the future. In other words, the first sentence affirms the present as temporal domain, but it denies neither the past nor the future. In contrast, the second sentence denies the present as well as the future, and the third sentence denies the past.

Again, compare the following sentences:

almariiDu Hayyun. — 'The patient is alive.'
laa-zaala lmariiDu Hayyan. — 'The patient is still alive.'

The first sentence neither affirms nor denies the future as temporal domain; the second sentence, on the other hand, represents the future as a doubtful domain (to say the least).

Contrasts such as the above show that *kaana* and its sisters restrict equation.

In both sentences, *kaana* provides a temporal context for an aspectual feature; such specification is marked by *naSb* in the first sentence but not in the second. Significantly, *kaana* is an auxiliary in the second sentence but not in the first.

An auxiliary verb always specifies aspect. In a sequence of two verbs, the first may be an auxiliary or a catenative. Auxiliaries are identifiable by certain structual criteria; for example, they differ from modals (or verbal "qualifiers") in at least two respects: An auxiliary and the main verb must have the same subject, and the two verbs are never separated by a nominalizer; on the other hand, a modal and the following verb may have different subjects, and the two verbs are always separated by a nominalizer. Designated in this manner, the use of auxiliaries as specifiers is not marked by *naSb*.

In the remainder of this chapter, we shall explicate a rule which was implied in item 7 of Chapter II: utterances employ *jazm, jarr,* and *naSb* only when the definition of specification is fully satisfied. Lack of a specifier and lack of nuclear features will be used as examples to illustrate this rule.

In the absence of a specifier, utterances never employ *jazm, jarr,* or *naSb;* for this reason we find pairs of sentences where only one term of a given contrast is associated with governmental *'i9raab*--the term embodied in a specifier. Examples of such pairs are given below.

1. in yadhhab samiirun tadhhab su9aadu. — 'If Samir goes, so will Su'ad.'

   sayadhhabu samiirun wa-satadhhabu su9aadu. — 'Samir will go, and so will Su'ad.'

2. 'inna jayshanaa qawiyyun. — 'Our army is definitely strong.'

   jayshunaa qawiyyun. — 'Our army is strong.'

3. 'aDhunnu 'anna 9aliyyan ghaaDibun. — 'I think that Ali is angry.'
   9aliyyun ghaaDibun. — 'Ali is angry.'

4. layta jayshanaa qawiyyun. — 'I wish our army were strong.'
   jayshunaa qawiyyun. — 'Our army is strong.'

In example 1, both sentences express distance from actuality (the first sentence expresses remoteness, and the second expresses proximity). In example 2, both sentences express degree of commitment to truth (the first sentence expresses a qualified fact, and the second expresses a categorical fact); the same is true in example 3. In example 4, both sentences highlight the object of commitment (the first expresses commitment to falsity, and the second expresses commitment to truth).

In any given example, both sentences contribute to the contrast, but only the first sentence associates *'i9raab* with specification; significantly, only the first sentence in each example contains a specifier.

Note: It is relevant at this point to compare two contexts where *sa-* and *sawfa* are excluded: the first follows *qad/rubbamaa* 'may, might' and the second follows *'an* 'that'. In the first context, the verb expresses aspect; the exclusion of *sa-* and *sawfa* marks modality. In the second context, the verb *can* be equated with the corresponding verbal noun, not merely in structural usage but also in meaning. In other words, the clause which follows *'an* is readily interpretable as expressing a proposition or simply naming an event; what must be emphasized here is that temporal reference is irrelevant to the second interpretation. Thus after *'an* aspect is not an obligatory feature of the verb; the exclusion of *sa-* and *sawfa* is a result of such neutralization rather than a marker of modality. The following are examples:

qad/rubbama 'akuunu muSaaban bi-haad^{h}a l-maraDi (l-'aana).	'I might be infected with this disease (now).'
qad/rubbama 'uSaabu bi-haad^{h}a l-maraDi (fi l-mustaqbali).	'I may contract this disease (in the future).'
'uHibbu 'an 'aqra'a s^{h}-s^{h}i9ra (= 'uHibbu qiraa'ata s^{h}-s^{h}i9ri).	'I like to read poetry (= I like reading poetry).'
'an tuHibba xayrun min 'an tubg^{h}iDa (= al-Hubbu xayrun mina l-bug^{h}Di).	'To love is better than to hate. (= Love is better than hatred).'

3. Nominalizers are associated with three phenomena:

(a) Determination of a syntactic structure: The expression which follows *'an* is a verbal sentence; that which follows *'anna* is a nominal sentence.

(b) Determination of a syntactic slot: The string consisting of a nominalizer and the following sentence occupies a nominal slot.

(c) Determination of modality: With *'an* the sentence expresses a frequently-qualified possibility; with *'anna* it expresses a frequently-qualified fact.

Word order is employed to mark the first two phenomena; consequently, only the last is marked by *naSb*.

4. Word order satisfies and marks the stipulation that *'inna* and its sisters must introduce a nominal (rather than a verbal) sentence; for this reason, *naSb* does not mark the stipulation in question.

5. specification is dissociated from *'i9raab* when the specifier is an auxiliary verb. Compare the following sentences:

kaana samiirun mariiDan.	'Samir was sick.'
kaana samiirun yadurusu.	'Samir was studying.

2. The expectative mood denotes a performative role in which the speaker hopes for or fears the occurrence of an event. The particle *la9alla* designates the expectative mood in sentences like the following:

la9alla lmariiDa yus^{h}faa.	'Perhaps the patient will recover (= I hope the patient recovers).'
la9alla lmariiDa yamuutu.	'Perhaps the patient will die (= I am afraid the patient might die).'

CHAPTER VII

DISSOCIATING SPECIFICATION FROM *'i9raab*

The relationship between head and specifier serves as the primary marker of specification; other formal devices which the head employs to designate specification will be called "secondary markers". Occurrence of a secondary marker together with the primary marker constitutes redundancy; thus associating *'i9raab* with specification constitutes redundancy.

To avoid excessive redundancy, specification is marked by *jazm*, *jarr*, or *naSb* only in the absence of other secondary markers; in other words, *'i9raab* is dissociated from specification to avoid excessive redundancy. The following examples illustrate this principle:

1. As a specifier of modality, *qad* may denote certainty or doubt: certainty is denoted when the following verb is a perfect form, and doubt is denoted when the following verb is an imperfect form. Thus modality is determined as much by the head of specification as by the specifier. In this sense, the verbal form marks the head; furthermore, the head is marked for doubt by the inadmissibility of *sa-* and *sawfa*. Consequently, the sentence does not employ ***naSb*** to mark modality.

2. When *rubbama* 'may, might' is used to specify modality, the string which underlies the sentence frequently contains the formative *Modal Perfect* (e.g., *rubbama d^{h}ahabtu yawman maa* 'I may go some day'). Potential occurrence of that formative marks the head for modality; in addition, the head is marked for modality by the inadmissibility of *sa-* and *sawfa*. Consequently, the sentence does not employ *naSb* to mark modality.

Specification of modality

Compare the following sentences:

jays^{h}unaa qawiyyun.	'Our army is strong.'
'inna jays^{h}anaa qawiyyun.	'Our army is definitely strong.'
9alla/la9alla jays^{h}ana qawiyyun.	'Perhaps our army is strong.'
layta jays^{h}anaa qawiyyun.	'I wish our army were strong.'

The first sentence denotes a fact, the second affirms the fact, the third denotes a possibility, and the fourth denotes a contra-fact. Thus *'inna* and its sisters specify modality.

The following diagrams represent the profiles for *'inna,* the particle of absolute negation (*laa*), *9alla/la9alla,* and *layta*:

['inna]
[+ Factive] S
[+ Qualified]

[laa]
[+ Factive] S
[+ Qualified]

[9alla/la9alla]
S
[+ Non-factive]

[layta]
S
[+ Contra-factive]

Notes:

1. The forms *'anna* 'that', *laakinna* 'but', and *ka'anna* 'as if, as though' are not sisters of *'inna* : the first is a nominalizer, the second consists of *laakin* plus *'inna,* and the third consists of *ka-* plus *'anna.*

kaana

[+ X]

D^halla, baqiya

[+ X]
[+ Durative]

maa daama

[+ Vacuous]
[+ Durative]

The following forms combined, in the perfect or imperfect, with a negative particle: *infakka, fati'a, bariHa,* and *zaala*

[+ Vacuous]
[+ Retentive]

'aSbaHa, 'aDHaa, 'amsaa, raaHa, g^hadaa, baata, 'asfara, Saara, 9aada, raja9a, and *'aaDa*

[+ X]
[+ Conversional]

'ays (in *laysa*)

[+ Vacuous]

Note: *laysa* is a verbal form derived from the string *laa + 'ays* (where the first constituent is a negative particle and the second is a variant of *kawn*). Thus the following derivation is proposed for *laysa 9aliyyun tilmiid^han* 'Ali is not a student'; notice that the verb *yantafii* 'to be false' is proposed as a Deep-Structure constituent.

yantafii + kawn + 9aliyy + tilmiid^h ⟶
laysa + 9aliyy + tilmiid^h ⟶ laysa
9aliyyun tilmiid^{h}an

Sentences (i) and (ii) are similar in that both denote past time; they differ in that sentence (ii), unlike sentence (i), expresses the progressive sense of sentence (a). It is somewhat harder to determine whether (iii) resembles (i) or (ii). The answer becomes clear when we try to embed (i), (ii), and (iii) in the matrix *9indamaa zurtu l-'usrata, ...* 'When I visited the family, ...': (ii) and (iii) fit into the matrix, but (i) does not. We therefore conclude that (iii) resembles (ii) rather than (i).

The foregoing discussion leads to four conclusions: (a) that equation is an aspectual feature which signifies a state; (b) that equation is always associated with a "temporal context"; (c) that in the equational kernel, current aspect constitutes the temporal context; (d) that *kaana* and its sisters specify equation by denoting deviation from the temporal context of the kernel.

Since it presupposes the two constituent nomens, equation is inseparable from the sentence as a whole; it is in this sense that we regard equation as a sentential feature.

The following diagrams illustrate the use of *kaana* in equational sentences. The first diagram states that a non-current temporal context is assigned to the equational sentence. In the second diagram, the feature [+ Vacuous] indicates that the equational sentence is devoid of current aspect and that equation is associated with the temporal context of the matrix sentence.[5]

[kaana] [+ Perfect]	Equational Sentence

[kawn] [+ Vacuous]	Equational Sentence

The introducers of equational sentences are listed below, together with the pertinent profiles. The symbol *X* stands for *Habitual, Future, Perfect,* or *Vacuous;* the specifier assumes a different form for each of these features: the imperfect form for [+ Habitual], the imperfect form usually preceded by *sa-/sawfa* for [+ Future], the perfect form for [+ Perfect], and the verbal noun for [+ Vacuous]; in addition, the specifier may assume the imperative form for [+ Habitual] or [+ Future]. The feature [+ Durative] expresses continuation until a point other than the present time, the feature [+ Retentive] expresses continuation until and during the present time, and the feature [+ Conversional] expresses change to a given state.

The introducers being discussed comprise two groups: of these, one group specifies equation and the other specifies modality.

Specification of equation

We shall define an equational sentence as a construction whose nuclear constituents in Surface-Structure are two nomens of which one functions as subject and the other functions as predicate. Typically, such a sentence expresses "equation"; i.e., it identifies the referent of a given nomen with the referent of another nomen, or attributes to the referent of a given nomen the description denoted by another nomen. Thus equation is the counterpart of progressive aspect: the latter combines with a verbal denotation to signify an on-going event; the former relates two *nomens* to signify a state. Here are some examples of equational sentences:

9aliyyun tilmiid^{h}un.	'Ali is a student.'
9aliyyun Tawiilun.	'Ali is tall.'
9aliyyun mariiDun.	'Ali is sick.'
9aliyyun naa'imun.	'Ali is asleep.'

Characterized by expressing current aspect, the above examples illustrate the "equational kernel". Current aspect is always associated with an on-going event or a state, but the reverse is not true: an on-going event or a state can be associated with the past or the future. The forms commonly known as "*kaana* and its sisters" denote deviation from the current aspect of the equational kernel (compare *ya9malu fi l-maSna9i* 'He is working in the factory', *kaana ya9malu fi l-maSna9i* 'He was working in the factory', and *sa-yakuunu ya9malu fi l-maSna9i* 'He will be working in the factory'; also compare *huwa Taalibun* 'He is a student', *kaana Taaliban* 'He was a student', and *sa-yakuunu Taaliban* 'He will be a student'). In spite of such deviation, the sentence continues to express an on-going event or a state; consider the following contrasts:

(i) darasa 9umaru T-Tibba. 'Omar studied medicine.'

(a) yadrusu 9umaru T-Tibba. 'Omar is studying medicine.'

(ii) kaana 9umaru yadrusu T-Tibba. 'Omar was studying medicine.'

(b) 9umaru tilmiid^{h}un. 'Omar is a student.'

(iii) kaana 9umaru tilmiid^{h}an. 'Omar was a student.'

hanii'an laka. — 'Congratulations!'
'ahlan wa-*sahlan*. — 'Hello!'
an-naara n-naara. — 'Fire! Fire!'
'iyyaaka wa-*'aSdiqaa'a* s-suu'i. — 'Beware of bad friends!'
al-jidda l-jidda. — 'Diligence, diligence!'
an-najdata n-najdata. — 'Help! Help!'
yaa *'aSdiqaa'a*naa. — 'Our friends!'
waa *9abda* l-muTTalibaah. — 'Alas, Abd-al-Muttalib!'
maa 'ajmala *l-warda*. — 'How beautiful the roses are!'
ruwayda *fariidan*. — 'Treat Farid gently!'
haaka *l-kitaaba*. — 'Here's the book! Take it!'

Notes:

1. The structure which employs *ni9ma* 'to be good' and *bi'sa* 'to be bad' is a major sentence-type since it results from predication (e.g., *muHammadun ni9ma rrajulu* 'Mohammad is an excellent man' = *muHammadun na9ima rrajulu*); for this reason, it does not employ the *naSb* required by the third type of specification.

2. Some linguists consider exclamatory minor sentences the product of deleting certain elements from major sentence-types; accordingly, *'ahlan wa-sahlan* 'Welcome!' would be equivalent to *ji'ta 'ahlan wa-nazalta sahlan* 'You are come to a friendly people and a place of ease'. The present writer finds this analysis objectionable since the presumably elliptical sentence and the postulated source string are not synonymous: *ji'ta 'ahlan wa-nazalta sahlan*, for example, is constative; *'ahlan wa-sahlan*, on the other hand, is performative.

E. *The Use of Function Forms to Introduce Nominal Sentences*

Equation and modality are two features which pertain to sentences. The former pertains to "equational sentences" where the subject and the predicate express a relationship of equivalence or identity; the latter denotes the speaker's commitment to the proposition. The following are examples:

Equation: 'abii 'ustaad^{h}un. 'My father is a professor.'

Modality:

[+ Factive]: yarji9u 9aliyyun haad^{h}a lmasaa'a. 'Ali will return this evening.'

[+ Non-factive]: 'arjuu 'an *yarji9a 9aliyyun haad^{h}a lmasaa'a*.'I hope Ali will return this evening.'

[+ Contra-factive]: law d^{h}ahaba la-d^{h}ahabtu ma9ahu. 'Had he gone, I would have gone with him.'

[+ Qualified]: 'innahu muxliSun. 'He is definitely sincere.'

(i) Consider, for example, the underlying strings *riTl + min + al9inab* 'a pound of grapes', *kayla(t) + min + alqamH* 'a kilah of wheat', *mitr + min + alHariir* 'a meter of silk', and *faddaan + min + al'arD* 'a feddan of land'. Because it is recoverable (i.e., because the context renders it redundant), the preposition may be deleted, and the Surface-Structure expressions will therefore be: *riTlu 9inabin, kaylatu qamHin, mitru Hariirin,* and *faddaanu 'arDin.*

(ii) Consider, on the other hand, the underlying strings *riTl + wuzin + min + al9inab* 'a pound in weight of grapes', *kayla(t) + kiilat + min + alqamH* 'a kilah in measure of wheat', *mitr + qiis + min + alHariir* 'a meter in length of silk', and *faddan + musiH + min + al'arD* 'a feddan in area of land'. Here the prepositional phrase is an adjunct; thus, together with *'i9raab,* deletion of the redundant constituents would yield *riTlun 9inaban, kaylatun qamHan, mitrun Hariiran,* and *faddaanun 'arDan*:

riTl + wuzin + min + al9inab → riTlun wuzina 9inaban → riTlun 9inaban
etc.

D. *Specification of Minor Sentences*

A "major" sentence-type is defined as a pattern constituted by predication; all other sentence-types are "minor". Within the framework of this general definition, various sub-types of minor sentences have distinct, well-defined structures.

Minor sentences comprise a relatively small set. In regard to communicative role, they are performative utterances which express command, wish, reproach, praise, salutation, vocation, lamentation, warning, urging, call for help, admiration, and the like.[4] In such sentences, the common element associated with *naSb* is the modal feature [+ Exclamatory].

Some minor sentences contain a characteristic function form; for example, sentences denoting vocation typically begin with a vocative particle. A close examination reveals that [+ Exclamatory] is denoted by the entire sentence structure rather than the function form alone; in other words, the structure of a minor sentence plays the role of specifier.

[Minor Sentence-type]
[+ Exclamatory] S

The following are examples of exclamatory minor sentences; the accusative forms are italicized. Notice that the accusative form is frequently a verbal noun.

Sabran.	'Have patience!'
ra9yan laka.	'God keep you!'
sam9an wa-*Taa9atan.*	'To hear is to obey!'
*makaana*ka.	'Stay where you are!'
*wayHa*ka.	'Woe unto you!'
subHaana llaahi.	'Praise be to God!'

Adjuncts include: expressions which specify manner (*almaf9uulu lmuTlaqu* and *ismu lhay'ati*); expressions which specify frequency (*ismu lmarrati*); expressions which specify association or concomitance (*waawu lmuSaaHabati* plus *almaf9uulu ma9ahu*, as in *sirtu wa-samiiran* 'I walked along with Samir'); expressions which answer the question *In what respect?* (*tamyiizu ttabyiini*, as in *allaahu jaliilun qadran* 'God is great in stature' and *izdaadat su9aadu Husnan* 'Su'ad has become more beautiful'); expressions which specify time; expressions which specify place or local extension; expressions which specify state or circumstance (*al-Haal*); expressions which specify quantity or measurement (*tamyiizu lwazni wa-lkayli wa-lmiqyaasi wa-lmisaaHati*, as in *riTlun 9inaban* 'a pound of grapes', *kaylatun qamHan* 'a kilah of wheat', *mitrun Hariiran* 'a meter of silk', *faddaanun 'arDan* 'a feddan of land'); expressions which specify motive (*al-maf9uulu li-'ajlihi*); expressions which specify exception (*l-istit^hnaa'*).

Only when they consist of a *mufrad* or a phrase introduced by a declinable adverbial functor do adjuncts display the morphological markers which designate specification. This state of affairs ensues from two rules:

(a) If it receives a morphological marker to designate specification on a given level, a form cannot receive a different morphological marker to designate specification on a higher level. Consider, for example, the sentence *raja9a fariidun fi lmasaa'i* 'Farid returned in the evening': Type II specification operates in the prepositional phrase while Type III specification operates on a higher level (namely, the sentence level); since the last word is morphologically marked for Type II, it cannot be morphologically marked for Type III.

(b) Specification does not entail *'i9raab* if the specifier and the head are dominated by different S-nodes. Thus adjunction does not entail *naSb* if the adjunct consists of a sentence.

It is pertinent at this point to make the following comments on the derivation of *tamyiiz*:

(a) The string underlying *tamyiizu ttabyiini* contains a preposition. Consider, for example, the underlying string *allaah + jaliil + fii + alqadr* 'God is great in stature'. Because it is recoverable (i.e., because the context renders it redundant), the preposition may be deleted. If *fii + alqadr* is viewed as modifier of *jaliil*, the deletion (together with *'i9raab*) yields *allaahu jaliilu lqadri*; if, on the other hand, *fii + alqadr* is viewed as an adjunct modifying the preceding clause, deletion (together with *'i9raab*) yields *allaahu jaliilun qadran*.

(b) The string underlying *tamyiizu lwazni wa-lkayli wa-lmiqyaasi wa-lmisaaHati* contains a preposition:

(e) Since it is synonymous with the preposition *'ilaa*,[3] *'aw* must be derived from the string *'ilaa + 'an* (*la'astashilanna SSa9ba 'aw 'udrika lumunaa* 'I will deem everything difficult easy until I attain my wishes' = ...*'ilaa 'an 'udrika lmunaa*).

(f) *laamu ljuHuudi* must be derived from a string which contains the preposition *li-* and the particle *'an* since we find the equivalence demonstrated by the following example: *maa kaana llaahu liyarudda 9ibaadahu* 'God is not one to turn away his servants' = *maa kaana lillaahi 'an yarudda 9ibaadahu*. Thus we may assume that *laamu ljuHuudi* results from the following transformation:

ma - kaana li+N - 'an - imperfect Verb → maa kaana - N - li+imperfect Verb

The structural changes cited in the above paragraphs follow from a general transformation:

$$\text{X - Prep}_1 + \text{'an + imperfect Verb - Y} \longrightarrow \left\{ \begin{array}{l} \text{X - Conj + imperfect Verb - Y} \\ \text{X - Prep}_1 + \text{VN - Y} \end{array} \right\}$$

where (a) the preposition and the conjunction are synonymous

(b) the verb and the verbal noun share the same root

2. *'anna* is the only conjunction which governs the accusative: *laakinna* 'but' = *laakin + 'inna, ka'anna* 'as if, as though' = *ka- + 'anna,* and *li'anna* 'because' = *li- + 'anna.*

3. The potential mood indicates a performative role in which an embedded proposition is viewed as a possibility. The particle *'an* designates the potential mood in sentences like *'uHibbu 'an 'azuura miSra* 'I would like to visit Egypt'.

C. *The Use of Adjuncts*

A sentence may be specified by an adjunct (compare *sayusaafiru 9aliyyun* 'Ali will go abroad' and *sayusaafiru 9aliyyun Talaban lil9ilmi* 'Ali will go abroad for the purpose of obtaining an education'). When specified by an adjunct, a sentence is said to be "adjunctive".

$$\text{S} \quad \begin{bmatrix} \text{Modifier} \\ +\text{Adjunctive} \end{bmatrix}$$

$$\begin{bmatrix} \text{'an} \\ +\text{Non-factive} \end{bmatrix} S$$

$$\begin{bmatrix} \text{'anna} \\ +\text{Factive} \end{bmatrix} S$$

Notes:

1. *'an* is the only particle which governs the subjunctive: *lan* 'will not' = *laa + 'an,* and *'id^h^an* 'in that case' = *'id^h^ + 'an; laamu tta9liili* (translatable by 'in order that'), *Hattaa , kay, likay* (all translatable by 'in order that'), *faa'u ssababiyyatu* (translatable by 'so that'), *waawu lma9iyyati* (translatable by 'whilst'), *'aw* 'until', and *laamu ljuHuudi* (which denotes denial) are Surface-Structure realizations of the underlying string *Prep + 'an*.

(a) Two facts support the assumption that *laamu tta9liili* is derived from the string *li+'an* (where the first constituent is a preposition):

(i) The string *'an + imperfect verb* is usually replaceable by a verbal noun.

(ii) The string *li+imperfect verb* is interchangeable with the string *li+VN.*

We may therefore postulate the following transformation:

$$\text{li+'an - imperfect Verb} \longrightarrow \left\{ \begin{array}{l} \text{li+imperfect Verb} \\ \text{li+VN} \end{array} \right\}$$

where the verb and the verbal noun share the same root

(b) Since synonymous constructions are identical in Deep Structure, we must assume that *Hattaa, kay,* and *likay* (all synonymous with *laamu tta9liili*) are derived from the string *li+'an* (where the first constituent is a preposition).

(c) Since it is synonymous with the preposition *Hattaa,*[2] *faa'u ssababiyyatu* must be derived from the string *li+'an* (where the first constituent is a preposition).

(d) Since it is synonymous with the preposition *ma9a, waawu lma9iyyati* must be derived from the string *ma9a + 'an* (*laa tanha 9an xuluqin wa-ta'tiya mit^h^lahu* 'Do not restrain others from any habit whilst you yourself practice one like it' = *....ma9a 'an ta'tiya mit^h^lahu).*

(b) Verbs which signify 'to fill', 'to give', 'to deprive', 'to forbid', 'to ask', 'to entreat', and the like.

(c) Verbs which signify 'to make', 'to appoint', 'to call', 'to name', and the like.

2. Verb [$Object_1$ + $Object_2$] [+ Ditransitive b]

where the string *$Object_1$ + $Object_2$* is derived from a sentence

To this subclass belong Measures other than IV of *'af9aalu lquluubi* 'verbs of the heart' (i.e., verbs which signify a mental event).

Tritransitive verbs

Verb [I. O. + $Object_1$ + $Object_2$] [+ Tritransitive]

where the string *$Object_1$ + $Object_2$* is derived from a sentence

To this subclass belong all Measure IV verbs of *'af9aalu lquluubi*.

Note: The construction known as *ixtiSaaS* 'particularization' results from deleting the verb *'a9nii* 'I mean' or *'axuSS* 'I specify'; thus *naHnu lmiSriyyiina....* 'we the Egyptians....' is equivalent to *naHnu, 'axuSSu lmiSriyyiina, ...* 'we, specifically the Egyptians, ...'

B. *The Use of Nominalizers*

The particles *'an* and *'anna* are the only conjunctions which govern *naSb*. Both particles are followed by a sentence which functions as a noun; in addition, both particles specify modality: *'an* designates the following sentence as a frequently-qualified possibility, and *'anna* designates the following sentence as a frequently-qualified statement of fact.

The particle *'an* is frequntly preceded by a term (*'a9idu* 'I promise', *'anSaHu* 'I advise', *'asmaHu* 'I allow', *'anwii* 'I intend', *'uriidu* 'I want', *Daruuriyyun* 'it is necessary', *yajibu* 'must', etc.) which expresses the type of commitment to neutrality (promise, advice, permission, intention, desire, necessity, obligation, etc.). Similarly, *'anna* is frequently preceded by a term (*'a9rifu* 'I know', *'ajzimu* 'I am certain', *'aD^{h}unnu* 'I think', *'uqaddiru* 'I guess', *'araa* 'I see', *'as^{h}9uru* 'I feel', etc.) which expresses the type of commitment to truth (epistemic, sensory, etc.) and which may also express the intensity of commitment to truth.

CHAPTER VI

TYPE III SPECIFICATION

(*naSb*)

The major contexts for Type III specification are listed and discussed below. In some of these contexts, the specifier denotes modality. It will be recalled that in Type I specification modality is synonymous with distance; in contrast, Type III specification never designates distance. Thus in conditional contexts, the features [+ Factive], [+ Non-factive], and [+ Contra-factive] belong to the distance category because the protasis sets up actuality as a point of reference; in Type III specification, on the other hand, actuality is not set up as a point of reference, and for that reason the same features highlight the object of commitment rather than distance. Again, the features [+ Exclamatory] and [+ Qualified], which mark sentences for Type III specification, indicate intensity of commitment rather than distance.

A. *The Use of Objects*

As the following table shows, the number of objects and the type of each object determine the verbal subclass,[1] thus depicting the verb as one member of a distinct set.

Transitive verbs

Verb [D. O.]
[+ Transitive]

Ditransitive verbs

1. Verb [Object_1 + Object_2]
[+ Ditransitive a]

where the string $Object_1$ + $Object_2$ is not derived from a sentence, and where, in most instances, one of the two objects is derived from a prepositional phrase

To this subclass belong:

(a) All causitive verbs of Measures II and IV whose source (Measure I) forms are transitive.

(e) Cardinal and ordinal numerals which precede the counted noun.

Notice that the cardinal numerals in question employ a complicated system of contrasts to show that the following word is a noun rather than an adjective: while an adjective *agrees* with the modified noun in three categories (number, gender, and case), a counted noun *contrasts* with the numeral in at least two of these categories.[2] The ordinals of 1 - 10 (in expressions like *'awwalu baytin* 'the first house', *xaamisu s^hajaratin* 'the fifth tree', etc.) contrast with the counted noun in gender and case.

Thus each of the numerals under discussion is followed by a fully defined tagmeme: the genitive marker designates the slot as nominal, while lack of agreement designates the filler as a noun. The duplicity involved is hardly superfluous since one-to-one correspondence does not always hold between form and function (for example, nouns are not the only forms with nominal function).

Some construct phrases imply a Class II determiner; e.g., *rajulu suu'in* 'a bad man' is equivalent to *rajulun d^huu suu'in*.

3. Class III comprises content forms which occur as the first term of inanimate explicative constructs. The constructs in question are those which satisfy three requirements:

(a) The second term must be a proper noun with inanimate reference.

(b) The first term must occur in Deep Structure as the head of an attributive construction where the modifier is an equational clause.

(c) The Deep-Structure modifier must consist of the first term functioning as subject and the second term functioning as predicate.

An example of inanimate explicative constructs is the phrase *madiinatu lqaahirati* 'the city of Cairo' (= *almadiinatu llatii hiya lqaahiratu*). Other examples are given below (in each, the first word is the determiner):

nahru nniili	'The River Nile'
jabalu lmuqaTTami	'al-Muqattam Mountain'
jumhuuriyyatu miSra	'the Republic of Egypt'
'imaaratu lkuwayti	'the Emirate of Kuwait'
kalimatu kaana	'the word *kaana*'
s^hahru ramaDaana	'the month of Ramadan'

Class III determiners are a distinct group not only because they are content forms but also because they require the following noun to be proper, non-human, and semantically appositional.

Note: Many construct phrases contain no determiner; such phrases are the Surface-Structure realization of Deep-Structure strings which contain a prepositional phrase (the second term of the Surface-Structure construct is the object of a preposition in the underlying string); for example, *kitaabu samiirin* 'Samir's book' is equivalent to *alkitaabu llad^hii li-samiirin* 'the book which belongs to Samir'.[3]

CHAPTER V

TYPE II SPECIFICATION

(*jarr*)

The second type of specification employs a "noun determiner" to define a given syntactic slot. Noun determiners are forms which stipulate that a following slot must be nominal (such stipulation implies that the following expression is *typically* a noun).

[Noun Determiner]	Syntactic Slot
[+ Nominal]	

Noun determiners fall into three classes:

1. Class I comprises the forms commonly known as "prepositions". To this class belong the forms *bi-, fii, Hattaa, 'ilaa, ka-, ladaa, ladun, li-, ma9a, min, mud*^{h}, *mund*^{h}*u, taa'u l-qasami, waawu l-qasami, 9alaa* and *9an*; to the same class also belong the exceptive forms *Haas*^{h}*aa, xalaa,* and *9adaa.*[1] The most frequent of noun determiners, these forms make up a distinct group on account of two peculiarities: they are (invariable) particles, and they restrict the prepositional phrase which they introduce in regard to function. The comments below concentrate on the second peculiarity.

A preposition and its object constitute a sequence which, *by virtue of being a prepositional phrase,* is excluded from certain syntactic slots; this becomes clear when one observes that the object of a preposition is typically a noun and yet, by itself, a noun may occur where a prepositional phrase may not occur. On the other hand, certain slots (e.g., *Time* and *Place*) are more commonly associated with prepositional phrases than they are with nouns. Thus the preposition may be considered a "relater" which identifies the prepositional phrase with certain slots while tending to dissociate it from other slots.

2. Class II comprises certain declinable functors which enter into construct with a following noun. To this class belong:

(a) The adverbial functors mentioned in Chapter II (item 3a).

(b) The quantifiers *'aHad* 'one, a certain one'; *ba9D* 'some, a certain one'; *jamii9, kaaffa(t), saa'ir, 9aamma(t)* 'all'; *kilaa* 'both'; *kull* 'all, each'; *miqdaar, qadr* 'measuring, numbering, amounting to'; *naHw, zuhaa'* 'about'; and *rubba* 'many a'.

(c) The following forms which pertain to identity: *'aaxir* 'last'; *'ahl, d*^{h}*uu, SaaHib, 'uluu* 'of (such and such description)'; *'ayy* 'any'; *'ayy* 'which?'; *d*^{h}*aat, nafs* 'same'; *g*^{h}*ayr, siwaa* 'other than'; and *mit*^{h}*l* 'like'.

(d) The elative form *'aF9aL.*

[Particle$_1$]
S
[+ Remote]

Notes:

1. Sometimes *'anna* occurs immediately after *law*; the protasis then is an elliptical string which lacks the expression *kaana SaHiiHan*. the following is an example:

law 'anna l'arDa murabba9atun..... = law kaana SaHiiHan 'anna l'arDa murabba9atun..... 'Were it true that the earth is square.....'

Notice that, although the conditional sentence as a whole commits the current speaker to the falsity of two propositions, the sentence *al'arDu murabba9atun* commits a different speaker to the truth of its proposition. It would be perfectly acceptable to expand the protasis by adding *kamaa za9ama* 'as he claimed'.

2. If the temporal constituent is realized as zero, a contra-factive clause denotes past time while a non-factive clause denotes future time. Thus *law najaHa la-kaafa'tuhu* is translatable by 'Had he passed (the test), I would have rewarded him'; on the other hand, *'in najaHa kaafa'tuhu* is translatable by 'If he passes (the test), I will reward him'.

3. It was pointed out above that, in conditional sentences, the perfect form of the verb is used to mark non-factivity and contra-factivity. Such usage is not hard to understand since the marker and the marked feature are associated with the idea of remoteness: the perfect form usually expresses remoteness from the moment of speaking; non-factivity and contra-factivity express remoteness from actuality.[5]

4. The following conditional conjunctions govern *jazm*: *'in* 'if'; *'ayy, man* 'who, whoever'; *'ayyuman* 'whosoever'; *mahman* 'whosoever'; *maa* 'what'; *'ayyumaa* 'whatsoever'; *mahmaa* 'whatever'; *'ayna* 'where'; *'aynamaa* 'wherever'; *Hayt^{h}u* 'where'; *Hayt^{h}umaa* 'wherever'; *'ayyaana*, *'ayyaanamaa* 'whenever'; *'id^{h}maa* 'whenever'; *kullamaa* 'as often as'; *mataa* 'when'; *mataamaa* 'whenever'; *'annaa, kayfa, kayfamaa* 'however (in whatever way)'. Though rarely, the conjunction *'id^{h}aa* 'if' also governs *jazm*.

5. A sentence such as *'in tadrus tanjaH* 'If you study, you will pass' can undergo an optional transformation which deletes the conjunction *'in* and places the first verb in the imperative form; the output is thus *udrus tanjaH* 'Study and you will pass'.

The dependency inherent in conditional sentences establishes actuality as a point of reference: in effect, the protasis sets up actuality as a condition. Thus conditional sentences contrast with statements in regard to modality: while the latter are factive and therefore proximate to actuality, the former are either non-factive or contra-factive and therefore remote from actuality. In the following paragraphs, the markers of remoteness are listed and explained.

1. Obligatory markers

(a) Remoteness is marked, in both correlative clauses of a conditional sentence, by the formative *Modal Perfect*. If the temporal constituent is realized as zero, the formative in question combines with the verb to produce a perfect form; otherwise, that formative is realized as a perfect form of *kaana*. Most commonly, the temporal constituents involved are *Perfect, Future, Habitual,* and *Current*. In simple conditional sentences, the temporal constituent *Future* is optionally realized as zero. In hypothetical conditional sentences, the temporal constituent *Perfect* is optionally realized as zero.

(b) In the apodosis of a simple conditional sentence, *fa-* often occurs in place of *kaana*.[4]

(c) In both correlative clauses of a simple conditional sentence, *jazm* may occur in place of *Modal Perfect + Future*. The use of *jazm* with *'id^haa* is rare; otherwise, it is very common.

2. Optional marker

In the apodosis of a hypothetical conditional sentence, *la-* may co-occur with *Modal Perfect.*

The use of *fa-* and *jazm* to designate non-factive but not contra-factive propositions indicates that remoteness comprises two distinct degrees: *intermediate* and *far* (the first being identified with the non-factive and the latter being identified with the contra-factive). The distinction between *intermediate* and *far* is also marked by the use of *la-* and by selection of conjunctions. Thus the specification which employs *jazm* in conditional contexts may be represented as follows (where $Particle_1$ stands for any conditional conjunction other than *law,* and where the degree of remoteness is intermediate):

Imperative utterances like *udxul* 'Enter!' are derived by deleting *li+tV-* from the underlying second-person imperfect verb form. Such deletion differs from imperative particles in regard to distance: while deletion admits of only one feature (proximity), particles admit of two features (proximity and remoteness).

[li+tV+Stem → Stem] [+ Proximate]	S
[Imperative particle:] [+ Proximate]	S (with a second-person agent)
[Imperative particle:] [+ Remote]	S (with a first-person or a third-person agent)

The particle *li-* is rarely used to signal proximity; on the other hand, the particle *laa* is rarely used to signal remoteness.

C. *Conditional Sentences*

Hypothetical conditionals express contra-factivity; simple conditionals, on the other hand, express non-factivity. Compare, for example, the following pair:

law d^{h}ahaba 'ilaa miSra la-d^{h}ahabtu ma9ahu.	'Had he gone to Egypt, I would have gone with him.'
'in d^{h}ahaba 'ilaa miSra d^{h}ahabtu ma9ahu.	'If he goes to Egypt, I will go with him.'

The first sentence implies that neither agent went to Egypt--that the condition and the result are both hypothetical suppositions; the second sentence, on the other hand, implies that both agents *may* go to Egypt.

2. The particle *lam* 'did not' denotes the features [+ Past], [+ Remote], and [+ Negative]; e.g., *yarji9u* means 'he returns', while *lam yarji9* means 'he did not return'. The feature [+ Remote] relates the event to the moment of speaking.

[lam]
S
[+ Remote]

It is noteworthy that *jazm*, a formal designation of mood, marks the temporal features specified by *lammaa* and *lam*. Formal designations of tense and aspect, on the other hand, are sometimes involved in marking mood (the formative *Perfect*, for example, often marks the conditional). These observations underscore a principle which other authors have already explored: that tense and aspect are not always sharply distinct from mood.[2] The distinction is especially blurred when aspect and modality are both defined in terms of distance from a point of reference.

The modal contrasts involved in opposing fact, possibility, and contra-fact may be viewed in terms of distance from actuality (fact would then be co-locational with actuality, while possibility and contra-fact would be relatively remote from actuality). In like manner, the contrast between *lammaa* and *lam* is statable in terms of distance from the moment of speaking; thus the contrast in question may be assigned to mood.

B. *Imperative Expressions*

Imperative constructions impose, or propose, some course of action or pattern of behavior, and indicate that it should be carried out.[3] In most instances, the obligation to carry out the course of action or pattern of behavior is imposed on the addressee; in some instances, however, the obligation is imposed on a first-person or a third-person agent. The following are examples:

(a)	udxul.	'Enter!'
	li-tadxul.	'Enter!'
	laa tadxul.	'Do not enter!'
(b)	li-nadxul.	'Let us enter!'
	li-yadxul.	'Let him enter!'
	laa yadxul 'aHadun minhum.	'Let none of them enter!'

If the addressee is viewed as the point of reference, the first set may be designated as [+ Proximate] and the second may be designated as [+ Remote].

CHAPTER IV

TYPE I SPECIFICATION

(*jazm*)

The specifiers used in this context are known collectively as *jawaazim*; they embrace the negative particles *lammaa* and *lam*, the imperative particles *laa* and *li-*, the deletion of *li+tV-* involved in forming second-person imperative forms, as well as twenty-one conditional conjunctions. The head is a sentence which contains an imperfect verb.

Type I specification designates distance. In all instances, the specifier denotes a combination of features; since only distance is marked by *jazm*, no other feature will be included in the profile.

A. *The Negative Particles lammaa and lam*

1. The particle *lammaa* expresses negation; in regard to temporal denotation, it resembles the English present perfect. Thus the time of negation covers the past and the moment of speaking but not the future; indeed, it is implied that the event, negated up to the moment of speaking, will take place in the future: *lammaa yarji9* means 'he has not returned yet (but he will)'. In short, *lammaa* denotes the features [+ Factive], [+ Past], [+ Proximate], and [+ Negative]; such, in modern terms, is the meaning of the rule laid down by the ancient Arab Grammarians: *lam yaf9al* is the negation of *fa9ala*, but *lammaa yaf9al* is the negation of *qad fa9ala*.[1]

The feature [+ Proximate] relates the event to the moment of speaking: as mentioned above, *lammaa* covers the moment of speaking; besides, the implied prediction amounts to a *current* fact (namely, that the speaker expects the event to take place).

[lammaa]	S
[+ Proximate]	

The specification expressed by this example can be stated thus: The string contains a specifier (the particle *lam*) which stipulates that the sentence expresses relative remoteness (from the moment of speaking).

15. Specification comprises three types:

(a) Type I employs certain particles, called *jawaazim*, as specifiers. The head is a sentence, and the specifier denotes distance (i.e., remoteness or proximity).

(b) Type II employs "noun determiners" as specifiers. The head is a syntactic slot which the specifier designates as nominal.

(c) Type III embraces all other instances of specification. The head is usually a sentence; the specifiers form a small, well-defined set which (if necessary) can be learned as items.

CHAPTER III

THE RULES OF *'i9raab*

PROPOSED BY THIS STUDY

The first type of specification is marked by *jazm*, the second type is marked by *jarr*, and the third type is marked by *naSb*. Where no specification is involved, a *mu9rab* assumes the state of *raf9*. To simplify the discussion, we shall refer to specification as a "governing" set of functions; the remaining functions will be called "non-governing" to underscore our conviction that *raf9* is a matter of "default". We shall use the term "governmental *'i9raab*" to denote *jazm*, *jarr*, and *naSb*; in contrast, we shall use the term "non-governmental *'i9raab*" to denote *raf9*.

As a marker, the state of *raf9* plays a unique role in Standard Arabic: it designates the presence of a function but not the identity of that function; the other three states, on the other hand, mark the presence as well as the identity of the function.

The rest of this study will further clarify and illustrate the statements of Chapter II and Chapter III.

Sadiiqii 9abqariyyun. — 'My friend is a genius.'

'aD^{h}unnu 'anna Sadiiqii 9abqariyyun. — 'I think my friend is a genius.'

'a9taqidu 'anna Sadiiqii 9abqariyyun. — 'I believe my friend is a genius.'

'a9rifu 'anna Sadiiqii 9abqariyyun. — 'I know my friend is a genius.'

'ajzimu 'anna Sadiiqii 9abqariyyun. — 'I am certain that my friend is a genius.'

The qualifier of a possibility expresses the type of commitment. In the first example below, commitment to neutrality is desiderative; in the second, deontic; and in the third, permissive. In each example, the qualifier is italicized.

'uriidu 'an 'ad^{h}haba. — 'I want to go.'
yajibu 'an 'ad^{h}haba. — 'I must go.'
laka 'an tad^{h}haba. — 'You may go.'

13. When consisting of a function form, the specifier is viewed as a "lexical marker"; for example, *'inna* is a lexical marker which attributes certainty to the proposition. A "governing" lexical marker is one which requires *'i9raab*.

14. In diagram form, specification may be represented as follows (where brackets enclose the profile, X stands for the head, and Y stands for the specifier; the symbols + *a* and + *b* represent the determined features embodied in the specifier, assigned to the head, and associated with *'i9raab*):

```
[Y       ]                         [Y     ]
[   + a  ]    X      or    X       [    +a]
[   + b  ]                         [    +b]
```

The following is an example:

```
[lam          ]
                   S
[   + Remote  ]
```

The degree of commitment may be expressed in terms of intensity rather than distance; such is the case in the following pairs:

[+ Colorless]: al-Hadiiqatu jamiilatun. 'The garden is beautiful.'
[+ Exclamatory]: maa 'ajmala l-Hadiiqata. 'How beautiful the garden is!'

[+ Categorical]: al-jiddu faDiilatun. 'Diligence is a virtue.'
[+ Qualified]: 'inna l-jidda faDiilatun. 'Diligence is definitely a virtue.'

Modality often indicates the *type* of commitment; for example, the qualifier *'a9rifu* expresses epistemic commitment to truth in *'a9rifu 'anna samiiran mariiDun* 'I know that Samir is sick', and the qualifier *'uriidu* expresses desiderative commitment to neutrality in *'uriidu 'an 'arji9a* 'I want to return'.

Modality, then, comprises three varieties: the first highlights the object of commitment, the second highlights the degree of commitment, and the third highlights the type of commitment; of these, the second comprises two sub-varieties: one expressed in terms of distance, and another expressed in terms of intensity.

12. A "categorical" proposition does not include a qualifier; a "qualified" proposition does.[8] In this context, qualification is defined as the explicit expression of the speaker's commitment to truth or to neutrality.

The qualifier of a fact may express the intensity of commitment, the type of commitment, or both. Of the following examples, the first expresses categorical fact and the rest express qualified fact. In the second example, the qualifier expresses intensity (but not type) of commitment to truth; in the third, the qualifier expresses type (but not intensity) of commitment to truth. In each example, the qualifier is italicized.

al-maraDu yuD9ifu jasadii.	'The disease is weakening my body.'
'inna lmaraDa yuD9ifu jasadii.	'The disease is definitely weakening my body.'
'as^{h}9uru 'anna l-maraDa yuD9ifu jasadii.	'I feel that the disease is weakening my body.'

Of the following examples, the first expresses categorical fact and the rest express qualified fact. Notice that each qualifier expresses epistemic commitment to truth as well as the intensity of such commitment. In each example, the qualifier is italicized.

The specifier (*layta*) designates the head as a wish; thus a performative purpose is indicated for the head. Simultaneously, the specifier designates the head as contra-factive; thus a constative purpose is indicated for the head. The binary role is also evident in hypothetical conditionals (where both propositions are contra-factive):

law darasa la-najaHa.	'Had he studied, he would have passed the test.'

The following sentence has a binary communicative role:

'alammaa ta9lamuu minna l-yaqiina?	'Are you as yet uncertain about us?'

As a question, the sentence is performative; but the implied fact ('You will be certain about us') is constative.

When both are assigned to the same Standard Arabic utterance, the performative purpose dominates the constative. Condition, for example, may be non-factive or contra-factive (compare *'id^haa* with *law*); thus condition is a higher-level feature in comparison with non-factivity and contra-factivity. In Standard Arabic, therefore, communicative roles can be restricted to two, the constative and the performative, with the understanding that the binary role is a sub-type of the performative.

(d) The speaker's commitment (or subscription) to the illocutionary force, the communicative role, or some other feature of the proposition. Included here are: (i) the designation of propositions as fact, possibility, or contra-fact; (ii) the designation of propositions as colorless or exclamatory; (iii) the designation of distance (from actuality, the addressee, or the moment of speaking); and (iv) the expression of propositions in categorical or qualified terms.

We shall employ the term "modality" in referring to the speaker's commitment; thus, as used here, modality is a sub-category of mood.

11. The terms "factive", "non-factive", and "contra-factive" may indicate the *object* of commitment without indicating a gradation in the *degree* of commitment: truth, neutrality, and falsity can draw commitment in equal measure. If, on the other hand, actuality is viewed as a point of reference, factivity may be considered proximate while non-factivity and contra-factivity may be considered relatively remote. For example, the dependency inherent in conditional sentences establishes actuality as a point of reference: in effect, the protasis sets up actuality as a condition. Thus conditional sentences contrast with statements in regard to modality: while the latter are factive and therefore proximate to actuality, the former are either non-factive or contra-factive and therefore remote from actuality. Distance is one way of expressing the degree of commitment.

9. Lyons draws a distinction between a sentence and an utterance, associating the former with structure and the latter with use:

> ".....in the first place.....the same sentence may be uttered to perform various speech-acts. Another reason is the related fact that the utterance or the context-of-utterance may contain non-linguistic information which contradicts the information that is linguistically encoded in the utterance-signal. For example, the meaning of a sentence like 'John is a brave man' is not affected by its being uttered ironically."[5]

This study draws no such distinction between sentences and utterances; instead, an utterance is used with its traditional definition as a stretch of speech which begins with silence and ends with silence.[6]

10. In this study, the term "mood" denotes the speaker's perception of what he is saying; specifically, the following four distinctions, controversial as they are, pertain to mood.[7] Notice that we view the four distinctions as separate components although they are certainly connected.

(a) The illocutionary act; i.e., the act performed by the speaker in saying something. Making a statement, issuing a command, and asking a question are examples of illocutionary acts.

(b) The illocutionary force; i.e., the status of an utterance as a statement, a command, a question, etc.

(c) The communicative role; i.e., the use of utterances for *constative* or *performative* purposes. Purely constative utterances are statements; their role is descriptive, and they can be characterized as true or false. In contrast, purely performative utterances have no truth-value; their role is to *do* something rather than to say that something is or is not the case. Thus "I work eight hours a day" is constative, while "I pronounce you husband and wife" is performative. Sentences which follow *'an* are performative since their role is to name an event (e.g., *'uHibbu 'an 'aqra'a s^{h}-s^{h}i9ra* 'I like to read poetry' = *'uHibbu qiraa'ata s^{h}-s^{h}i9ri* 'I like reading poetry'); on the other hand, sentences which follow *'anna* are constative since their role is to define the truth value of a proposition (e.g., *'a9rifu 'anna l-karama faDiilatun* 'I know that generousity is a virtue').

In some instances, the utterance has a *binary* communicative role: on the one hand, it performs an act which cannot be characterized as true or false; on the other hand, it states a proposition which can be characterized as true or false. The following sentence is a case in point:

layta 9aliyyan g^{h}aniyyun. 'I wish Ali were rich.'

(c)	laa 'a9taqidu 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra ghadan.*	'I do not think that Kamal will return from Egypt tomorrow.'
(d)	taDhunnu su9aadu 'anna *kamaalan sa-yarji9u ghadan,* laakinnahaa muxTi'atun.	'Su'ad thinks that Kamal will return tomorrow, but she is wrong.'

Notice that in Group 1 the italicized sentences are affirmative while in Group 2 the italicized sentences are negative; thus commitment may be to the truth of an affirmative proposition or to the truth of a negative proposition.

In Group 3, commitment to the truth of the embedded proposition is secondary. Sentence 3a states that, at some point in the past, the current speaker did not know that the embedded proposition is true and implies that, since then, he has been told that the proposition in question is true. Sentences 3b, 3c, and 3d negate primary commitment, but affirm secondary commitment, to the truth of the embedded proposition.

A sentence expresses a *possibility* if it is non-factive; i.e., if it commits the speaker neither to the truth nor to the falsity of the proposition. The embedded sentence in *'arju 'an yarji9a kamaalun min miSra ghadan* 'I hope Kamal will return from Egypt tomorrow' expresses a possibility since it neither asserts nor denies that Kamal will return from Egypt tomorrow. Again, the deontic term is followed by a possibility (rather than a fact) in the following sentence since the speaker is stating an obligation, which may or may not be carried out, rather than expressing commitment to truth or falsity: *yajibu/laa-budda 'an yarji9a kamaalun min miSra ghadan* 'Kamal must return from Egypt tomorrow'. The following paraphrase may further clarify the definition: a sentence expresses a possibility if it indicates primary or secondary commitment to a neutral position. In *yuriidu 9aliyyun 'an yazuura miSra* 'Ali wants to visit Egypt', the embedded sentence expresses a possibility; notice that the desire associated with that possibility constitutes secondary rather than primary commitment.

A sentence expresses a *contra-fact* if it commits the speaker exclusively to the falsity of the proposition; the exclusion in this context rules out secondary as well as primary commitment to the truth of the proposition. Thus *law darasa kamaalun la-najaHa fii l-imtiHaani* 'Had Kamal studied, he would have passed the test' is contra-factive since it states that Kamal did not study and did not pass the test.

A fact is designated as [+ Factive], a possibility is designated as [+ Non-factive], and a contra-fact is designated as [+ Contra-factive]. The terms *factivity, non-factivity,* and *contra-factivity* refer to the features [+ Factive], [+ Non-factive], and [+ Contra-factive] respectively.

Sometimes a feature, though embodied in the specifier, is not associated with *'i9raab*. Such features will be excluded from the profile since *'i9raab* is the subject of this study.

8. At this point we need to define the following terms: "fact", "possibility", and "contra-fact".

A sentence expresses a *fact* if it commits the speaker to the truth of the proposition. The commitment is "primary" if it is attributable to the current speaker, and "secondary" if it is attributable to some other speaker. In the following examples, the italicized sentences are factive:

Group 1

sa-yarji9u kamaalun min miSra g^hadan.
'Kamal will return from Egypt tomorrow.'

'u'akkidu laka 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra g^hadan.*
'I assure you that Kamal will return from Egypt tomorrow.'

'a9rifu 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra g^hadan.*
'I know that Kamal will return from Egypt tomorrow.'

'a9taqidu 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra g^hadan.*
I think that Kamal will return from Egypt tomorrow.'

Group 2

lan yarji9a kamaalun min miSra g^hadan.
'Kamal will not return from Egypt tomorrow.'

'a9rifu 'anna *kamaalan lan yarji9a min miSra g^hadan.*
'I know that Kamal will not return from Egypt tomorrow.'

'a9taqidu 'anna *kamaalan lan yarji9a min miSra g^hadan.*
'I believe that Kamal will not return from Egypt tomorrow.'

Group 3

(a) lam 'akun 'a9rifu 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra g^hadan.*
'I did not know that Kamal will return from Egypt tomorrow.'

(b) laa 'uSaddiqu 'anna *kamaalan sa-yarji9u min miSra g^hadan.*
'I do not believe [the assumption] that Kamal will return from Egypt tomorrow.'

The profile consists of (a) a single grammatical feature, or (b) a combination of grammatical features. Such features are always nuclear; peripheral features have no place in the profile.

A nuclear feature is diagnostic: it is necessary and sufficient for identifying the head; thus tense is a nuclear feature since without it an entity cannot be classified as a verb or a sequence containing a verb, and since only a verb or a sequence containing a verb possesses tense. Features other than nuclear ones will be called "peripheral": thus negation is a peripheral feature since it can apply to various constituents of the sentence; for the same reason, interrogation is a peripheral feature.

With respect to verbs, the only feature involved is *transitivity*. With respect to sentences, the features involved are, *modality* (the contrasts being *factive, non-factive, contra-factive; colorless, exclamatory; remote, intermediate, proximate; categorical, qualified*), *tense, aspect,* and *adjunction*. With respect to slots, the only feature involved is *function* (specifically, the nominal).

The determined features are usually embodied in a word or a longer expression which modifies the head and which we shall call the "specifier". Thus in the sentence *'inna lqaaDiya mutaHayyizun* 'The judge is definitely partial', the specifier is *'inna* (notice that the specifier denotes certainty and modifies the head). Again, in *raja9a samiirun wa-huwa yabkii* 'Samir returned weeping', the specifier is *wa-huwa yabkii*.

In a handful of instances (which will be covered later), sentence structure plays the role of specifier.

It is thus clear that:

(a) Specification is defined by two obligatory components: the profile, and the head.

(b) The profile is defined by the obligatory presence of a specifier which embodies at least one (nuclear) feature.

(c) The head is defined by obligatory restriction to three entities: the verb, the sentence, and the syntactic slot.

(d) Specification is a particular realization of the universal function known as the adverbial.

(e) *'i9raab* is no more than a morphological device for marking specification.

State	*Domain*	*Suffix of 'i9raab*	*Examples*
naSb (Cont.)	Other adverbial functors	-a	qabl-a ba9d-a waraa'-a
	Imperfect verbs with *-aa*, *-uu*, or *-ii*	zero	yaktubaa, yaktubuu, taktubii
	Other imperfect verbs	-a	yadrus-a, yata9allam-a, yasta9mil-a
raf9	Dual nomens	-aa	kitaab-aa-ni
	Sound masculine plural nomens	-uu	mu9allim-uu-na, muraasil-uu-na, musaa9id-uu-na
	The 5 nomens	-uu	'ab-uu-ka
	Other nomens	-u	al-kitaab-u
	Imperfect verbs with *-aa*	-ni	yaktubaa-ni, yata9allamaa-ni
	Imperfect verbs with *-uu* or *-ii*	-na	yaktubuu-na, yadrusuu-na, taktubii-na
	Other imperfect verbs	-u	yaktub-u, yadrus-u, yatakallam-u

7. Specification is a major set of functions marked by *'i9raab*; it is defined as the determination of a profile which pertains to a verb, a sentence, or a syntactic slot. The verb, sentence, or syntactic slot will be called the "head".

State	*Domain*	*Suffix of 'i9raab*	*Examples*
jazm	Imperfect verbs	zero	yaktub, yaktubaa, yaktubuu, taktubii
jarr	Dual nomens	-ay	kitaab-ay-ni
	Diptotes	-a	qawaa9id-a
	Sound masculine plural nomens	-ii	mu9allim-ii-na, mudarris-ii-na, mufakkir-ii-na
	The 5 nomens	-ii	'ab-ii-ka
	Other nomens	-i	al-kitaab-i
	The adverbial functor d^h*ii* (rare[4])	-ii	d^h-ii
	Other adverbial functors	-i	qabl-i ba9d-i taHt-i
naSb	Dual nomens	-ay	kitaab-ay-ni
	Sound masculine plural nomens	-ii	mu9allim-ii-na, mufakkir-ii-na, mudarrib-ii-na
	Sound feminine plural nomens	-i	al-mu9allimaat-i, at-Taa'iraat-i, as-sayyaaraat-i
	The 5 nomens	-aa	'ab-aa-ka
	Other nomens	-a	al-kitaab-a
	The adverbial functor d^h*aa*	-aa	d^h-aa

CHAPTER II

DEFINITIONS

1. The term *nomen* (*ism*) denotes a part of speech which can function as a noun. Nomens comprise two classes of content forms as well as certain classes of function forms: the content forms are nouns and adjectives; of the function forms, the most common are substitutes, numerals, and quantifiers.[1]

2. The term *'i9raab* denotes the use of suffixes to designate grammatical function. Orientalists associate the contrasts involved with case and mood.

3. Arabic stems are divisible into two groups: those which are subject to *'i9raab*, and those which are not; the former are known to Arab Grammarians as *al-mu9rab* 'the declinable', and the latter are known as *al-mabniyy* 'the indeclinable'. The following constitute *al-mu9rab*:

(a) Certain adverbial functors, when used in construct with a following form; of these the most common are: *'amaam, bayn, duun, fawq, Hawl, Hiyaal, 'izaa', naHw, qibal, quddaam, taHt, waraa', waSt, xalf, 'athnaa', ba9d, dhaa* (e.g., *dhaa SabaaHin* 'one morning'), *dhaat* (e.g., *dhaata yawmin* 'one day'), *qabl, qubayl*, and *9ind*.[2]

(b) Imperfect verbs, when attached neither to the energetic suffix nor to the third-person feminine plural suffix.

(c) All but a handful of nomens. The exceptions are almost restricted to mixed compounds (*al-murakkabu l-mazjiyyu*) and most of the pronominal forms.[3] In mixed compounds, the first constituent is usually indeclinable; in some, both constituents are indeclinable.

4. The term *mufrad* denotes (a) a nomen or (b) an attributive phrase with a nomen as head.

5. The term *naSb* denotes the occurrence of a form with an accusative or a subjunctive marker; the term *raf9* denotes the occurrence of a form with a nominative or an indicative marker; the term *jarr* denotes the occurrence of a form with a genitive marker; and the term *jazm* denotes the occurrence of a form with a jussive marker.

6. The suffixes of *'i9raab* are listed and illustrated below. Needless to say, the domain is restricted to *al-mu9rab*.

2. The ancient Arab grammarians failed to satisfy the requirement of adequacy since they achieved only partial success in identifying the governors. They looked for lexical concomitants of *'i9raab*. In some instances such concomitants were identified and considered the motivation when a closer investigation would have shown them to be (redundant) markers which designate the presence of certain features. In other instances, no lexical concomitants were found and the ancient grammarians therefore looked for parts of speech or grammatical functions; unfortunately, no effort was made to relate *'i9raab* to features such as modality, tense, aspect, and adjunction.

3. The ancient Arab grammarians failed to satisfy the requirement of simplicity:

(a) Only partial success was achieved in stating the domain of *raf9*. Given the fact that *'i9raab* in Standard Arabic comrpises four states (*jazm, jarr, naSb,* and *raf9*), it behooves the linguist to explore the possibility that three of those states are motivated by certain grammatical features, and that the fourth state is motivated by the *absence* of those features. In studying verbs, the ancient Arab grammarians scored some success in exploring this possibility: they stipulated that a verb assumes the state of *raf9* if there is no motivation for *jazm* or *naSb*; at the cost of reducing simplicity (and, for that matter, generality), the motivation they postulated consisted of lexical elements rather than grammatical features. In studying nomens, on the other hand, they achieved no success in exploring the possibility under discussion; consequently, the rules are excessively numerous.

(b) The rules are largely unrelated and frustratingly encumbered with exceptions.[6]

In his famous book *ar-raddu 9ala n-nuHaati*, ibnu maDaa'i l-qurTubiyyu (513 - 592 A. H.) expressed frustration with his predecessors' motivation theory: in his view, the speaker's will is the only governor of *'i9raab*, and none but explicit structural elements can play a role in such government (the role in question being merely to indicate the speaker's intention). As seen from the above discussion, the present author is even less satisfied with the theory.

The present study represents an attempt to remedy the defects. In the interest of reaching as many readers as possible, technical terms are deliberately minimized, and technical discussion (when inevitable) is deliberately simplified. All the same, it must be emphasized that the present study is not addressed to beginners: it is only practical to presuppose that the reader is thoroughly familiar with the structure of Standard Arabic as formulated by ancient and modern scholars. One would be unreasonable, for example, to insist that certain already well-established lists and definitions must be repeated before new insights can be presented (those lists and definitions pertain, for example, to the parts of speech and the various sentence types).

Of the references cited, Wright's *Grammar* proved to be the most helpful not only in providing the raw grammatical information but also in supplying examples. Lyons' work was very helpful in the process of defining the relevant semantic concepts.

Evaluation

A grammatical analysis should be evaluated by three criteria:[4]

1. *Adequacy*: The rules must account for the data.

2. *Generality*: The rules must be related to a general theory of human language. Conformity with this requirement promotes "explanatory power": the rules are deemed "natural", "logical", and "plausible"; the learner finds those rules easy to grasp and easy to remember.

3. *Simplicity*: Of two grammatical theories, the simpler one postulates less rules, imposes less diversity on those rules, and generates less exceptions.

As formulated by the ancient Arab grammarians, the theory of *'i9raab* leaves much to be desired:

1. The ancient Arab grammarians achieved little, if any, success in regard to generality and explanatory power:

(a) They failed to postulate motivation which can apply to verbs and nomens alike, with the result that the same state of *'i9raab* is presumed to designate unrelated features; using the same marker to designate unrelated features is hardly a universal characteristic of human language. In addition, they failed to show why certain particles govern *'i9raab* while others do not, why a governing set of particles comprises certain forms but not others, and why different sets of particles govern different states of *'i9raab*; in such matters, human language is systematic rather than arbitrary.

(b) Some of the explanations they proposed are far-fetched, and others are circular; the following are examples:[5]

(i) The objects of verbs are typically marked by *-a* while the agents are typically marked by *-u*; this results from two premises: *-a* is easier to pronounce than *-u*, and nomens function as objects of verbs more often than they function as agents. The easier marker is assigned to the more common function.

(ii) Diptotes are less common than triptotes, and verbs are less common than nomens; it follows that diptotes are analogous to verbs and that, like verbs, they reject *-i* as well as nunation.

(iii) The third-person feminine plural suffix *-na* has a final vowel since the stem ends in a consonant and since a cluster of two consonants is barred in non-pausal word-final position. The stem of *katab-na* 'they (feminine) wrote', on the other hand, has no final vowel in order to avoid a non-lingual sequence of four open syllables. Thus the final vowel of *-na* is both cause and effect.

(l) Four verbs--two of praise and two of blame--which govern a definite nomen in the nominative: *ni9ma* 'to be good', *Habbad^haa* 'to be pleasing', *bi'sa* 'to be bad', *saa'a* 'to be displeasing'.

(m) Seven verbs of the heart which govern two objects in the accusative: *9alima* 'to know'; *ra'aa* 'to see, think, know'; *wajada* 'to find, perceive'; *D^hanna* 'to think, believe'; *Hasiba* 'to think, reckon, suppose'; *xaala* 'to think, imagine'; *za9ama* 'to think, deem, claim'.

2. The seven open-list classes are: the verb, the active participle, the passive participle, the adjective resembling a participle (*aS-Sifatu l-mus^habbahatu*), the verbal noun, the *muDaaf*, and the disambiguated noun (*al-mumayyaz*).

3. The two "concepts" are:

(a) the Subject function; it governs the filler of the Subject slot as well as that of the Predicate slot.

(b) The absence of subjunctive and jussive governors; such absence governs the indicative.

The Principle of Implication

A governor may be explicit or implicit; this fact led the ancient Arab grammarians to lay down a principle which they called *at-ta'wiil* 'implication' and which bears striking resemblance to the modern grammarian's Deep Structure. In this context, the following distinctions were drawn (the terms *actual* and *theoretical* are used in opposition to each other):

1. *Deletion (al-Had^hf)* is the omission of a constituent from an actual string to produce another actual string. In the following examples, the governor is deleted from each response:

Question: man qaabalta? 'Whom did you meet?'
Response: 9aliyyan. 'Ali.'

Question: 'ilaa man katabta? 'Whom did you write to?'
Response: 9aliyyin. 'Ali.'

2. *Postulation (l-istitaar)* is the absence of an element from an actual string while present in a theoretical, underlying string. Postulation was restricted to: (a) the assumption that a pronominal agent is implied in sentences like *9aliyyun raja9a* 'Ali returned' and *nanaamu mubakkiran* 'We sleep early'; (b) the assumption that, if not actually expressed, *'an* is implied before subjunctive verbs.

3. *Equivalence* is the interchangeability of two expressions in the context of an actual utterance. Thus a sequence consisting of *'an* and the imperfect verb was deemed equivalent to the corresponding verbal noun; again, a sentence was deemed syntactically equivalent to a single word when it functions as a predicate, an object of *D^hanna* 'to think or believe', a *Haal*, or an adjective. Thus the *'i9raab* required by certain slots may be associated with an implied form rather than the actual filler.

(a) Seventeen particles which govern the genitive: *min* 'from'; *'ilaa* 'to'; *fii* 'in, into'; *li-* 'to, for'; *rubba* 'many a'; *9alaa* 'over, on, above'; *9an* 'about, away from'; *ka-* 'like, as'; *mud*^{h} 'since'; *mund*^{h}*u* 'since'; *Hattaa* 'till, up to'; the oath particles *wa-*, *ta-*, and *bi-* 'by'; the exceptive particles *Haas*^{h}*aa*, *xalaa*, *9adaa* 'except, besides'.

(b) Six particles which govern the subject in the accusative while governing the predicate in the nominative: *'inna* 'that, indeed'; *'anna* 'that'; *ka'anna* 'as though', *laakinna* 'but'; *layta* 'would that'; *la9alla* 'perhaps'.

(c) Two negative particles which govern the subject in the nominative while governing the predicate in the accusative: *laa, maa*.

(d) Seven particles which govern the accusative: *wa-* 'whilst'; *'illaa* 'except'; the vocative particles *yaa, 'ay, hayaa, 'ayaa*, and *'a-*.

(e) Four particles which govern the subjunctive: *'an* 'that', *lan* 'will not', *kay* 'in order to', *'id*^{h}*an* 'in that case'.

(f) Five particles which govern the jussive: *'in* 'if', *lam* 'did not', *lammaa* 'has not yet', the imperative *li-* 'let', the prohibitive *laa* 'do not'.

(g) Nine nomens (*'asmaa'*) which govern the jussive in conditional sentences: *man* 'whoever'; *'ayy* 'whichever'; *maa* 'what'; *mataa* 'when'; *mahmaa* 'whatever'; *'aynamaa* , *'annaa*, *Hayt*^{h}*umaa* 'wherever'; *'id*^{h}*maa* 'whenever'.

(h) Four nomens which govern the accusative: the morpheme for the numeral 10 when combined with the morphemes for the numerals 2 - 9; *kam* 'how many?'; *ka'ayyin* 'many a, how many a'; *kad*^{h}*aa* 'so and so much, so and so many'.

(i) Nine forms, known as *'asmaa'u l-'af9aali*, of which six govern the accusative and three govern the nominative. The first set consists of: *ruwayda* 'slowly, gently'; *balha* 'let alone'; *Hayyahala* 'come quickly'; *haa-*, *9alay-*, *duuna-* (with a seond-person pronoun appended to each) 'take, seize'. The second set consists of *hayhaati* 'how far...!', *s*^{h}*attaana* 'how different...!', *sur9aana* 'how quickly...!'.

(j) Thirteen incomplete verbs which govern the subject in the nominative while governing the predicate in the accusative: *kaana* 'to be'; *Saara* 'to become'; *'aSbaHa* 'to be or do in the morning'; *'amsaa* 'to be or do in the evening'; *'aDHaa* 'to be or do in the forenoon'; *D*^{h}*alla* 'to be or do during the whole day'; *baata* 'to be or do during the whole night'; *maa zaala, maa bariHa, maa fati'a, ma nfakka* 'still'; *maa daama* 'as long as'; *laysa* 'not'.

(k) Four verbs which govern a single nomen in the nominative: *9asaa* 'may'; *kaada, karaba, 'aws*^{h}*aka* 'to be about to (do something)'.

CHAPTER I

INTRODUCTION

THE ANCIENT GRAMMARIANS' THEORY

To account for *'i9raab*,[1] the ancient Arab grammarians developed an elaborate theory known as *at-ta9liil* 'motivation'; the theory in question is summarized below,[2] and the summary is followed by a brief evaluation.

Types of Motivation

The ancient Arab grammarians defined three types of motivation which they called "causes" of *'i9raab*:

1. *al-9ilalu t-ta9liimiyyatu* 'pedagogical causes': Also called *9awaamil* 'governors',[3] these "causes" are defined as structural elements which accompany *'i9raab*. Thus *'inna* "causes" the occurrence of the subject in the accusative and the predicate in the nominative; in other words, *'inna* "governs" the subject in the accusative and the predicate in the nominative.

2. *al-9ilalu l-qiyaasiyyatu* 'analogical causes': The ancient Arab grammarians appealed to analogy in order to explain certain aspects of *'i9raab*. They discerned, for example, a similarity between *'inna* and its sisters, on the one hand, and transitive verbs on the other; to this alleged similarity they attributed the fact that *'inna* and its sisters govern the accusative. Because they seek to explain a fact which is itself a cause, *al-9ilalu l-qiyaasiyyatu* are sometimes called *9ilalu l-9ilali* 'causes of causes'.

3. *al-9ilalu l-jadaliyyatu* 'argumentative or philosophical causes': These embrace "causes" which answer questions such as the following:

> In what respect do *'inna* and its sisters resemble verbs?
> Do *'inna* and its sisters resemble perfect verbs or imperfect ones?
> If *'inna* and its sisters resemble verbs, why must their subject resemble a *transposed* object?

Like those of the second type, *al-9ilalu l-jadaliyyatu* are sometimes called *9ilalu l-9ilali* 'causes of causes'.

In his book *al-9awaamilu l-mi'atu*, 9abdu l-qaahiri l-jurjaaniyyu (c. 377 - 471 A.H.) states that the "governors" consist of ninety-one lexical items, seven open-list classes, and two "concepts":

1. The lexical items fall into thirteen groups:

=	equal sign, indicating equivalence
[ ]	brackets, enclosing features
/ /	slanting lines indicating phonemes
+	plus sign, indicating presence of the feature named immediately after it; e.g., [+ Remote]
S	standing for a sentence
V	standing for a vowel
N	standing for a noun
VN	standing for a verbal noun
D.O.	standing for a direct object
I.O.	standing for an indirect object
Prep	standing for a preposition
Conj	standing for a conjunction

4. In a string which states the abstract structure of an utterance, the symbol + is used to separate consecutive constituents; e.g., *N* + *Verb* + *N*. Some strings employ + as well as - , the former indicating relatively close association; e.g., *Verb* - *D.O.* - *li*+*I.O.*

5. The works listed in the *Bibliography* are numbered consecutively. Cross-references in the footnotes employ a code which combines one of those numbers with the letter *B* (for *Bibliography*); *B3*, for example, refers to item 3 in the *Bibliography*.

This study is dedicated to the author's wife Hasmik, his two daughters Linda and Deana, and the memory of his sister Linda.

PREFACE

The symbols employed in this study are listed below.

1. To transcribe Arabic utterances other than names and titles, the following symbols are used; to some extent, the transcription was dictated by typesetting restrictions rather than preference.

(a) Consonant symbols (in the order of the Arabic alphabet): *' b t t^h j H x d d^h r z s s^h S D T D^h 9 g^h f q k l m n h w y*. A droppable glottal stop is not represented in the transcription.

(b) Short vowel symbols: *i a u*

(c) Long vowel symbols: *ii aa uu*

(d) Morphophonemic symbol: *-(t)*, representing a macrosegment-final zero or /h/ which alternates with a macrosegment-medial /t/ (and which is represented in Arabic script by *at-taa'u l-marbuuTatu)*

2. Arabic names and titles are written as follows:

(a) The Arabic writing system is employed in the *Bibliography*.

(b) The conventional English spelling is employed in glosses.

(c) The transcription defined in the foregoing item is employed elsewhere.

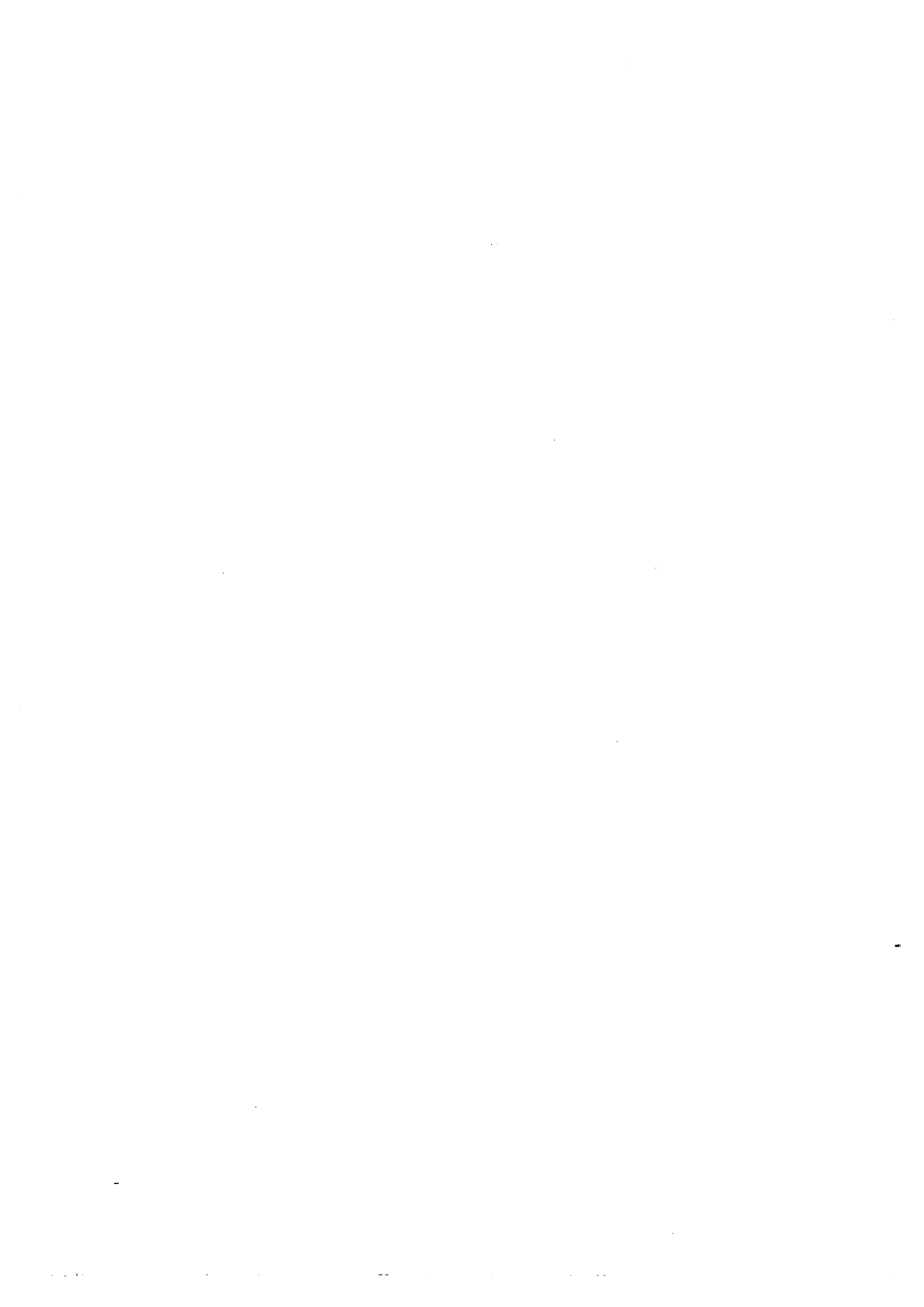
3. In addition to those of item 1, the following symbols are used:

*	asterisk, identifying non-lingual utterances
-	hyphen, occurring at the boundary between stems and certain affixes
→	arrow, indicating a structural transformation
' '	single quotes, enclosing English glosses

THE PHENOMENON OF '*i9raab* IN STANDARD ARABIC

by Zaki N. Abdel-Malek

OUTLINE

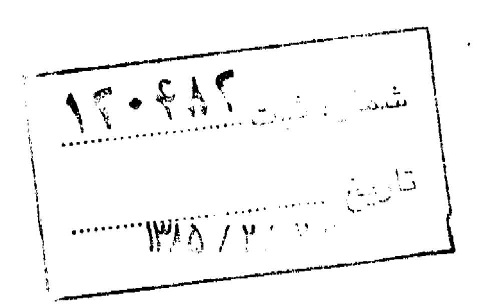


Researches and Studies
Recherches et Etudes

ARAB LEAGUE EDUCATION, CULTURE AND
SCIENCES ORGANIZATION
(ALECSO)
Coordination Bureau of Arabization
RABAT (MOROCCO)

P.O.Box : 290

AL-LISSAN AL-ARABI



N° 33